رايات

المؤلف	طلال سليم آل جعفر	البلد	العراق
الكتاب	رايات	نوعه	رواية
الحجم	١٤.٥*٢٢.٢	عدد الصفحات	٢٤٠
الطبعة	الاولى		

ISBN-978-9922-9255-0-9

تصميم الغلاف   علي صميم



دار ماشكي للطباعة والنشر والتوزيع

العراق – الموصل - المجموعة الثقافية

ص. ب ١١٠١٩

هاتف: +9647701664335

E.mail: mashky2019@gmail.com

رايـــــــــــات

طلال سليم آل جعفر

رواية

الطبعة الأولى ٢٠٢٠

تمهيد

بين ثلاث مدن منكوبة رابعتها (سلستا) كتبت هذه الرواية ونسجت احداثها لتؤرخ لأسوأ حقبة مرت بها هذه المدن خاصة ، والعراق عامة. فيها من الواقع شيء ومن الخيال اشياء ، غير انها تنقل الصورة الحقيقية التي تعيشها هذه المدن .. اما بخصوص شخصياتها فثلاثة ارباعها من نسج الخيال ويتقلب الربع الآخر بينه وبين الواقع ، فلا يتصور شخص قد يمر ذكر عمل مشابه لما يعمل او صفة من صفاته في ممارسة لشخصية من شخصيات الرواية انه المقصود او المعني...

ارجو ان تنال رضا القاريء..كما ارجو ان تكون قد ساهمت في توثيق شيء من تأريخ هذا البلد المغلوب على امره ...

المؤلف

العراق ٢٠/ ٢٠١٩/١١

الإهداء

الى : أنا .. الواقع بين نارين

وبلدي.. المنكوب باحتلالين

وسلستا .. الغارقة في ظلام الطائفية

القســـم الأول

الأميبا

من ١٥/٩/٢٠١٤ ـ ١٥/١١/٢٠١٤

(١)

الفاتحـــة

سـبع رديفيـات لمـن يقـرأ

١- ليس فينا من لا يعرف الله في الشدة .. وليس فينا من يفيه حقه في الرخاء لذاك نراه قد أسلمنا جلّت قدرته لمن لا يخافه ولا يرحمنا .

* * *

٢ـ عندما تتقطع بالمرء السبل ويقع بين فكي كماشة وتتصارع بداخله الروح والجسد على البقاء ويحار بأيهما ينجو ، يدخل في دهاليز مظلمة لا ينجيه منها الا الله وقوله (حسبنا الله ونعم الوكيل) عساه يجد على ذلك الجواب الشافي منه تعالى بقوله (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) ... ولا مخرج له إلا من عنده وبأمره .

* * *

٣ـ لا تركن الى من لا يعرف الله ممن يعمل على هدم بنيانه ، وبنيانه على الأرض ... أنت .

* * *

٤ ـ اذا آلمك جرح ما استطعت الوصول الى كنهه لتطبيبه ، او أنينا تجتهد في إخفائه فاعلم أن فيك شعاعا من نبي .

* * *

٥- تودد لصخرة الشاطيء التي تتخذ منها مقعدا او متكأ كلما حاصرتك الهموم ، وتيقن من تماسكها لتتمتع بمنظر النهر أمامك ، وإياك من زحزحتها عن مكانها فقد تنقلب الى عدو لك فتلقي بك في النهر .

* * *

٦- حين تمسك بالطبل وتقرعه بعصاك فارفق به لأنك لا تقرع فارغا وإلا ما كان لصوته أن يعلو ويسمعه الآخرون

* * *

٧- لا تستظل براية لا ترى فيها صورتك وأمانيك وحقيقتك ، لأنها قد تتحول الى كفن لك .

(٢)

ماذا سأكتب عن أوجاع سلستا

عشاقها رحّلوا وأهلها موتى

- طلال السليم -

لم يكن قد مرّ عليه سوى عامين حين وطأت قدماه تراب المدينة التي حل بها مجاورا واديها الناضب المياه الا في بضع ايام من موسم الشتاء مبدلا اياها بأقامة قلقة كانت له على ضفة نهر شهد مولده وتعمد بمائه ، وكان يتمنى لوغسله قبل رحيله الى العالم الآخر المجهول الذي يسير اليه مع الآخرين معصوبي الأعين الا من نظم اخلاقية وموازين حق التزم بها معظم الناس كارهين او محبين آملين ان يكون لهم بها شعاع امل يصد عنهم ما يتخوفون منه حين المثول بحضرة الخالق الذي سيحدد مصائرهم الى الجنة او النار .

كان يقرأ في حجارة وحصى الوادي وترابه في اطراقته وهو يقف على جسره متكئا على سياجه الآيل الى السقوط مطلا على ضفتيه اللتين تزخران بالقمامة وبقايا ما يخلفه الأنسان من قذاراته التي يلقي بها على كاهله منتظرا منه التكفل بنقلها الى جهات بعيدة حين تجود عليه السماء بمائها لتغسله من ادران الآدميين الذين لا يحسنون الا ادخال ما تنبته الارض وتصنعّه المصانع من طيبات الى بطونهم والقائها واوانيها وعلبها الفارغة

على اكتافه معاقبة اياه على ذنبه بجفاف يأكله ما اختاره لنفسه بل اختارته له اقداره ومروره في وسط هذه المدينة .

طال صمته وهو يقلب نظره فيه مرتديا صبرا تعلمه مذ كان صغيرا يتمنى الكثير الذي ما نال منه الا القليل الذي اعانه على ان يظل حيا يتلقى الضربات ولا يحسن الرد عليها الا بالتمعن في اسبابها وعلام تقع عليه دون غيره وهو الذي عاش مذ وعى مؤثرا الآخرين على نفسه حاملا لهمومهم وكأنه ما وجد على وجه هذه الأرض الا ليمثل هذا الدور لا سواه .

سنتان مرّتا وما يزال كما كان بل زادت نظارته على ما كان عليه قليلا رغم جفاف الأجواء التي يعيش فيها ومكابدات آلام البعد والنفي الذي اختاره لنفسه مرغما اذ هو أهون شرّين وجب عليه اختيار احدهما وآثره على الثاني حبا بصغيرين لم يعيا شيئا بعد ، وما قدر على تركهما لأياد لا يهم اصحابها سوى انفسهم متخذين من الأنتهازية سبيلا لوصولهم الى ما يبغون بغض النظر عن الطريق الذي يسلكونه متنكبين مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة) عن ادراك مسبق او دون ذلك ، عكسه تماما حين كان لا ينادي الا بـ(المبدأ قبل الخبز)، ولعل هذا ما اوصله لهذه المدينة التي رحبت به واحتضنته حتى وان القت به على ضفة واديها الممحل . لا بد من القراءة لتصل الى فك اسرار يحيّرك حدوثها ، وان اعوزك الكتاب في بلدة لا يهمها وجود

الكـتـاب مـن عـدمـه فاقـرأ فـي اوجـه العـابريـن على الجسـر والـضـاربين في الأسـواق دون هـدى ، فـقـد تجـد مـا يوصلك الى مـا تبغي ففـي ملامـح وجـوه النـاس الكثير مـن التشابـه حتى وان اختلفـت الـصـور وتغيرت السـحنات إذ أن همـوم الـجميع تكـاد تكون متطابقة رغم بعد الشقة بين هذا وذاك ، فالأنسان واحد والمعانـاة متقاربـة ان لـم تكـن هي الأخـرى واحـدة . كان يحـدث نفسـه بذلـك وما كـان يجـزم بصـواب رأيـه من عدمـه لكنـه اعتقـد ذلك مذ رأى امرأة بثياب بالية تجرجر طفلها على رصيف الشارع مادة يدها بالسؤال الى وجوه تراها نضرة باشـة حتى اذا ما سؤلت العطاء اكفهرت وتغيرت سحناتها ...

(رديف) يحدث نفسـه بذلك ويصغي لها منتظرا ردها حين قرع سـمعه سـؤال مبهم لطفلـه الصغير : (لماذا نحن هنا يا ابي ؟؟) . لـم يكـن الـوادي قـد سـال بـالظلام بعـد حين مـرت قبّـرة بجانبـه مستقبلـة طلائـع ذلـك الظـلام مثقلـة بخـوف يتـأرجح في حركات جناحيهـا المضـطربين وهي تكافحـه قاصـدة عشـها عندمـا الـقى صغيره بسـؤاله المحيّر (لماذا نحن هنا يا ابي؟) ولا درى هـو فحوى السـؤال ليجيبـه عليـه . وهـل عنى الصـغير بسـؤاله المربك بقـاءهم على الجسـر حتى هذه السـاعة ؟ ام وجـودهم في المدينـة ؟ غير انـه فسّـر السـؤال على

هـواه فـأجـاب هـاربا من حقيقـة ما كان يتجاهلـه وهـو يدريـه ، انـه يريـد لكـم التمتـع بمنظـر الشـفق اول ظهـوره مـع انحـدار

الشمس الى مستقرها في الغروب وما في ذلك من جمالية تحمل للصغار الوانا مبهجة وجميلة بين الابيض والازرق والبنفسجي التي يخلّفها قرص الشمس المنحدر نحو الغروب في انسحابه وان حملت له الكثير من الحزن والكمد .

كان رديف حتى تلك الساعة التي يحرك فيها يديه بأشارات بطيئة تصحبها همهمات يدري بها ومن خلالها انه يعاتب او يجادل طيف من تسبب له بالمكوث في مدينة لا تحمل له من المعاني غير العزلة ومعاناة المنفى . ما تركه لوحده اصدقاء له في المدينة .. احاطوه بفوق ما قدّر من الرعاية والاهتمام اللتين ما استطاعتا على ما بهما من حرارة وطيب وصدق مودة ان تقفا دونه ودون احساسه وما يعانيه وان خففتا بعض الشيء . خرج من صمته اخيرا .. أوتخشى الظلام يا ولدي؟.. هيا بنا الى البيت اذن . ومد يده اليه ليمسك بها صغيره فصدمته كلماته بأنه يعني : لماذا نحن في هذه المدينة ؟؟.

عبر رديف الجسر ولم يجب بعد على تساؤلات صغيره . اعد عدة اجابات في داخله منها .. (لأننا طيبون) ..

و (لأننا لا نستطيع أيذاء بعوضة) و (لأننا ممن

يؤثر ون السلامة على الصدمات والتصادم مع من لا يخافون الله) أو (لأننا جبناء) أو وهو الأصح (لأننا طعنّا ممن احببنا ويسّرنا لهم سبل العيش على حساب أنفسنا من كذابين علت اكاذيبهم على صدقنا مذ كتب علينا ان نعيش في الزمن

الـذي (يصـدّق فيـه الكـاذب ويكـذّب فيـه الصـادق) ، لكنـه حـين تكلم كان حديثـه مع طفليـه السـائرين بمعيتـه غير كل ما ذكـر . قـال : انـه حـب التنقـل والترحـال واكـتشاف المـدن ومـا فيهـا ، قـد نترك هـذه المدينـة الى اخـرى وقـد نمكـث فيهـا طـويلا ، وفي كـل الحـالات سـنعود . سـنعود يا صغيري عنـدما تطلع الشـمس ويجـد كل مخلوق مكانـه الحقيقي الـذي لا يزاحمـه عليـه معتد او آثم او مدّع لـه من يصدقـه لأنـه نـزع برقـع الحيـاء وأتقـن الحيـل ورضـي لنفسـه ان يطعـن صاحبـه ليبرر سـوء خلقـه وينجـو من المسـاءلة . مـا اقتنـع صغيـره ولا اخـاه بمـا سـمعا ولكـن كبيرهمـا قـال : حـين تطلع الشـمس ؟ سـتطلع الشـمس فما بينها وبين الـظهور ثانيـة الا غياب القمر الـذي بدأ يتلألأ في السـماء .

نعم يا ولـدي . سـتطلع الشـمس حتى وان امتـد الليـل لسـنين لا سـاعات .

قـال رديـف ذلـك وقـد دخـل فـي الشـارع الـمؤدي الى سكنـه والمـار بمقبـرة المدينـة المجـاورة لوحـدة عسـكرية اسـتولى عليهـا الاثريـاء بعـد سـقوط سلسـتا واحالوهـا الى حي سـكني حـديث متجنبا المرور في سـوق المدينـة الأقرب الى بيتـه تحاشـيا لمناظـر الباعـة من كل الأصنـاف ومـا يوحي لـه السـوق من افكار وصـور لا يوّد الخوض في تفاصيلها اذ ان الكثير منها يبعث على الغثيان .

آه لهـذا المعـذب الـذي مـا عـاد يسـتطيع المكوث في البيـت ولا مفارقتـه اذ ان مفارقتـه لا بـد ان تفضي بـه الى ذات الـوادي وذات

المكان . كانت الساعة حين سلك طريق العودة قد اقتربت من الثامنة مساءا وقت مرت في ذاكرته سلستا التي حطت على عينيه وذاكرته بغتة لتعود به الى لياليه الآفلة فيها مذ كان يصارع كل ليلة على سرير بال مغطّى بفراشه المتهريء في شقة معزولة في احد احيائها ارقا مستديما يتشلبى حدقتي عينيه آنذاك كان .ومايزال .فما ان يضع رديف رأسه على الوسادة حتى يمتلأ ذاك الرأس المتعب بـ (الجن) و(الشياطين) . كل جن وسعالي واساطير العجائز تستضيف رأس رديف في آن واحد لتحيل محاولات نومه الى قلق وارق لا حول له عليه ولا قوة . لأكثر من الف مرة حاول التغلب على تلك الشياطين وعالم الجن او(الجنون) بلغة العامة والتي سماها العلم الحديث بالكوابيس ، ودائما كان الفشل من نصيبه . في احايين كثيرة اخذ رديف يهرب من سريره الى مناضد العرق باحثا فيها عما ينسيه ارق الليل فلم يفلح . قالت والدته مرة محدثة اياه وقد اوجعها ما يعانيه :

ـ انها يا ولدي متاعب النهار تتكاثف هكذا في الليل فتسلبك نومك ، فاستعن عليها بآيات من الذكر الحكيم ، ونم نظيفا . وان لم تهجرك فضع تحت وسادتك (مسمارا) او(مقصا) ، تقول جداتنا ـ قالت ام رديف . انها تطرد الأبالسة وتحول دونها والتقرب منك .

واخذ رديف بنصيحة امه واستعان بعلاجها غير انه اخذه منقوصا . لم يستطع ان ينام ليلة من لياليه نظيفا .. ومن اين

تأتيه النظافة وطيف ناهدة يغرقه حتى اذنيه في الأثم وفي القذارة احيانا ؟! كيف تصله النظافة وهو الذي يحلم ان تخلو غرفته لساعة من قناني العرق والمسكرات؟؟.

كليلا وضعيفا كان رديف امامها . جمع كل ما في شقته البائسة من مسامير وسكاكين وقطع معدنية توفرت له ودسها تحت وسادته قبل ان يلجأ الى سريره ، وضحك كثيرا . اخيرا اخذ الرجل العلماني يؤمن بالخرافات وبقوى الروح او سمّها الروحانيات . لم ترهب مساميره تلك شياطينه الملعونة . فاجأته لليال عديدة وبأشكال غريبة : خراف ، اقزام . قطط وجرذان ...عالم متناقضات كان عالمه حتى في احلامه وكوابيسه ، وحتى حين قرر الأستعانة بآيات من الذكر الحكيم لم تسعفه ذاكرته الا بآيات ثقيلات - استغفر الله - انا لا اعني ما قد يرد على الذهن من تفسير لمفردة (ثقيلة) وانما اعني بها آيات طافحات بصور الجحيم والعذاب والسلاسل والغسلين وشبيهاتها مما يحفل بها كتاب الله من مفردات الترهيب .

اسبل رديف رمشيه وقرأ : (بسم الله الرحمن الرحيم ...الهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر...) ثم توقف وأطرق قليلا وقال : ما لنا والمقابر ؟؟ اما يكفي ما نراه منها وحتى داخل شوارعنا بل ومنازلنا ؟؟ مدينتنا غدت كلها مقابر . ثم احجم عن اتمام ما بدأه وابدل ما يقرأ وقال : (اذا زلزلت الارض زلزالها ...) وعاود توقفه ثانية واستعاذ بالله من الزلازل وانقلب الى (ومن

شر النفاثات في العقد) . وحدّث نفسه .. النفاثات .. النفاثات .. الطائرات .. الحروب والموت . لا يعني القرآن الكريم هنا نفاثات الامريكان ولا قاذفات الروس بالتأكيد . البون شاسع بين المعنيين ، الا انها .. هذه الآية الكريمة بالذات دفعت الى ذهنه بهيروشيما وديرياسين وكروزني وصبرا وملجأ العامرية وسواها من نتاج الحروب التي من بعض اسبابها توفر النفاثات . نفاثات الموت .. ونفاثات الحقد .. ونفاثات السحر والحسد . كلها سواء .. لذلك صد عن هذه الآية متوجسا وقرأ (وآية لهم ان الارض ... ...) ثم اكمل دون وعي منه :-

قالـــوا لنابليـــون ذات عشـــية

مـذ كان يرقـب في السـماء الأنجمـا

وقهقه بأعلى صوته . ملأت قهقهاته فضاء غرفته المعتمة . ما الذي دفع بنابليون الساعة الى ذاكرته ؟؟ . انه يستذكر آية من كلام الله يطمئن بها قلبه ويمنّي نفسه من خلالها بالطمأنينة والسكون وبالجنة التي بها يوعدون فيطل عليه نابليون بجنونه وطموحاته اللا مشروعة بامتلاك الارض والسماء !! يا لها من مفارقة غريبة جاءت في غير أوانها . حدث نفسه : اكيد نابليون صورة من صور الشياطين التي تسلب من عينيه اغماضتها . جنّي آخر يقف امامه الساعة وهو صاح اسمه نابليون . . تخلى رديف عن وصية امه له والقى بكل اساطير الأولين ومعتقداتهم جانبا وعاد الى عالمه الخاص به . عالمه غريب . انه رجل ذكي . وهو

سليل اسرة ذكية ، وامه عميدة تلك الأسرة كانت شعلة من ذكاء رغم اميتها . عندما حدثته عن (المسامير) وكان قلبه مملوءا بها ضحك حينها وردد على مسامعها : (بأديّ المزامير ... وبقلبي المسامير ... الدنيا بهذلتني ... وانا الشاب الأمير) لكنه جربها . جربها متيقنا من ثقافة امه وصدق حديثها حين حدثته عن العقل الباطن باسلوبها البسيط وهي تناجيه قائلة بحرص لا تشوبه شائبة :

يا ولدي .. انه تعب النهار ينقلب عليك في الليل صورا لجن وشياطين . عكسها تماما كان قريبه الجامعي الجاف الذي يشاركه السكن في شقته والذي كان يجادله كثيرا في موضوع

أرقه ليقول له مرة وبلسان المشفق الذي لم يتعوده منه حيث كان كثير الانفعال سريعه : يا رديف .. انه تأنيب الضمير . انت ترتكب من الموبقات ما لا تقدر عليه وحين تأخذ طريقك الى الفراش يصحو ضميرك ويتحرك فيكون نتاج صحوه وحركته تلك الكوابيس التي تداهمك فتسلبك راحتك وراحتنا . هو يقرن نفسه به دائما رغم انعدام التوافق بينهما في اي شيء . رديف يعتبره انانيا وجاهلا حتى لو نال أعلى الشهادات ، ولو لم يكن كذلك ما حاسبه على آلامه لأنها تتسبب له ببعضها او بشيء من القلق فعمر الجرح ما اوجع الا صاحبه .(لا يؤلم الجرح الا من به ألم) . تلك بديهية قال بها السابقون ويؤمن بها رديف وبشكل مطلق .

الساعات تهرول نحو الفجر بخطى بطيئة ورديف ابعد ما يكون عن النوم . بذل حينها كل ما امكنه من محاولات قد تفضي به الى غفوة قصيرة مطمئنة فباءت بالفشل . كانت تبوء جميعها بالفشل . فاليوم ، إتفان .. تذكر ذلك وكمن صدر له ايعاز فوري بالتنفيذ لا يدري من اصدره وكيف . كل ما يتذكره ان يده امتدت الى علبة صغيرة تجاور رأسه لتتناول ثلاثة اقراص من (الإتفان) التهمها دفعة واحدة متيقنا انها لن تنيمه هي الأخرى ، لكنها العادة والعادات كما يقولون قاهرات فمثلما ادمن التدخين من قبل ادمن فيما بعد تناول اقراص المهدئات او (المنومات) تلك . سبق له ان التهم سبع اقراص في ليلة سابقة متيمنا ومتفائلا بالعدد (سبعة) .. السماوات السبع .. والأرضون السبع .. وعجائب الدنيا السبع .. والقراءات السبع .. وسبع مثان .. و(سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف * وسبع سنابل خضر واخرى يابسات) .. وسبع .. وسبع .. وسبع اقراص (اتفان) يلحقها بسبع اخريات والارق هو الارق .

اكتفى في آخر مرة يذكرها بثلاثة اقراص فقط لأنه وكما تمتم محدثا نفسه سبقها بزجاجة (عرق حداد) كان قد افرغ ثمالتها في جوفه قبل الثانية بعد منتصف الليل بقليل . لتكن هذه على تلك ، العرق على الاتفان محاولة علاجه الأخير من ذلك الأرق الظالم ـ قال رديف ذلك ـ وابتسم . ابتسم حين تذكر : (چان هذي مثل ذيچ ... خوش مرگه وخوش ديچ) . هو واثق ان

هـذه (مثـل ذيـچ) غير ان الحيلـة تعـوزه وتضـطره لأخـذ اي وصـفة تعينه على ارقه .

في ليال عـدة عجزت كل المسكرات والمهدئات والمنومات عـن إنامتـه كمـا عجـزت مـن قبـل آيـات الذكـر الحكـيم وخرافـات العجائـز واسـاطيرهن ، ومـن قبـل الاتفـان والفـاليوم الـذي جربـه تصـاعديا (٢ ، ٥ ، ١٠ ، ٢٥) ... ولـم يصـل بـه الى اي مـن شـواطيء النعاس . اشـتاق لإغفاءة هادئة في حضن امه ،

لكنـه كبر على ذلـك . هـذه مصيبـة اخـرى ، كبـر ومـا يـزال صغيرا يسترجع على الدوام وفي آلة تسجيل دماغه المرهق تنويمة امـه الحنـون : (دللـول .. يـا الولـد يـا ابني .. دللـول ..عـدوك عليـل وسـاكن الچـول) . عـدو رديـف يـا امـه الحنـون سـكن مقلتيـه ولـم يسكن (الچـول) كما تـودين ويتمنى . لـقد اقلق وضـع رديـف وارقـه الـدائم الكـثير مـن محبيـه ، حتى انـه اسـتضاف اصـدقاءا مـن المصـريين قـديما في شقتـه اوجعـتهم علتـه فأعـانوه بوصـفهم (البرشـام) لـه . لـم يكن يعرف البرشـام ولـم يسـمع بـه من قبل وما كـان يدري انـه ليس بـأكثر من تسميـة لأقـراص من المهدئات حين تصـوره آنـذاك ماركـة لمخـدر كالأفيـون مـثلا او الحشيشـة ، وهـو حين تناولـه للمرة الوحيـدة ولـم يعـاود الكـرة ثانيـة لـم يكـن يعـرف عن تلك البرشـام او الاقـراص اسـما لها . قـد تكـون عجينة مجففة من الافيـون او القـات او اي شيء آخر . المهم انه يتذكرها (برشـام) فلتكن كذلك .

اعطاه احدهم قرصين اخذهما واستسلم لنوم عميق غير طويل . كان لحبتي البرشام طعم ضفادع لم يحسن الطباخ طهيها . لزجة ورطبة كانت . صوّر له رأسه المتعب ذلك فتخيل نفسه وهو يمضغ سندويجا من الضفادع . ضحك لهذا الخاطر الغريب واستساغ طعم الضفادع في حبات البرشام فنام . يعترف رديف انه نام عميقا لساعتين ما استفاق

بعدهما الا على مطرقة كادت تهوي على رأسه فتهشمه مذ رفعها (جني) له انف معقوف طويل طويل ، وذقن فاقت قذارتها قذارته وقدمي بطة وشعر قرد وزعانف حوت فحرم على نفسه البرشام منذ تلك الليلة رغم الخدر اللذيذ الذي اعطته حبتاه له آنذاك . انقلب رديف على نفسه وساح في فوضاها كثيرا . لا علاج لك يا رديف سوى ناهدة وغيابها لا يمنع من استحضار طيفها . لرديف باع طويل في علوم احضار الارواح . انه ملم بكل شيء . فلماذا لا يجرب استحضار طيف ناهدة الحلوة ؟؟ بل استحضرها فعلا وانشغل بها حتى نسي نفسه وما احس الا بجسدها الرائب كالزبدة ممددا بجانبه فتمتع به . لقد تمتع تلك الليلة بطيف من يهوى وكأنه يتمتع بجسد اجمل امرأة ... ونام .

غدت العادة هذه منومه الجديد . يضحك رديف ملء شدقيه ويقبّل خيالا لناهدة رسمه وسط ظلام غرفته وظلمة الليل البهيم . ليس لناهدة صورة واحدة من صور سلستا لكنه يقرنها بها على الدوام . يتذكر في سلستا ناهدة ويذكر في ناهدة

سلستا . سلستا تختلف كثيرا عن ناهدة . انها مثل كل المدن ، وكل المدن هكذا .. تنمو وتكبر وتشيخ ثم تموت . لا فرق بين مدينة واخرى . يذكر رديف عن سلستا انها تدلهت في مراهقتها بطاغ جبار كان يحلو له اذلال الآخرين عن قصد سادي لكنه كان انيقا ، مفرطا في الأناقة ، شد

انتباه سلستا فعشقته . ركضت بأثره . ضاجعته . اتخذت منه مع سبق الأصرار الها . تركت نفسها أمة بين يديه . وكان كل ذلك في مراهقتها ، لكنها حين كبرت ووعت وميزت الابيض من الاسود .. لفظته . اصطدمت به لأكثر من مرة .. تمردت عليه وان لم تعد تستطيع خلاصا منه ولا هي قادرة على حبه كما كانت من قبل فتركت الحبل على غاربه وفتحت فخذيها لكل عابر سبيل . استغفلته وتبرجت وتزينت ونامت بأحضان الكثيرين . لا داع لأظهار مثالب مدينة ارادت الأنتقام من ربها الذي صنعته ومن ساكنيها بفضح عيوبها . انها انثى .. وكفى . اخطأت ومن لم يخطيء فليحمّل سلستا وزر آثام العالم كله

لا تثريب على من فقدت بكارتها جهلا . لقد غرر بها وكانت مراهقة حينها ، قل طفلة فالأنثى تصل الى أرذل العمر وحين يمر ذكر عمرها تعود طفلة صغيرة . كل انثى معقود بنواصيها التدله بتصغيرعمرها وبالبعد عن الواقع والجنوح الى الخيال ان لم يكن في كل شيء ففي سني عمرها على الأقل ، وسلستا انثى . ولدت في وطن متحضر وبين مدن عديدة ، خالطت مدنا شرقية ومدنا

غربية ولم تستطع او حال تفتحها وتحررها وسلاسة انقياد اهلها لرغباتها دون ان تخط لنفسها طريقا خاصا بها فحملت هموم سواها عكس اخوانها واخواتها تماما . لا لوم عليها . انها نشأت بين اياد غريبة

وافكار اغراب واجواء متحررة ففهمت التحرر على غير حقيقته وتدلهت بذلك الجبار ممنية نفسها ان تكون أماً للجميع غير انه ما ان اخذ بغيته منها حتى تحول الى سواها بعد ان صيّرها جارية له ولأزلامه . انا اعتبرها شهيدة وان لم تحسن اختيار حبيبها وسيدها في البدء وحتى بعد ان تركت حبلها على غاربه رغم كهولتها .

اخذت سلستا ككل المدن تكبر وظلت ككل انثى تصغر . ترهل فخذاها وملأت التجاعيد بشرتها . تزوقت و(تمكيجت) واسرفت في ذلك لكنها لم تعد في نضارة شبابها . انها تسير نحو طريق البوار والجدب بسرعة مذهلة . تكاد ان تموت قبل ان تشيخ عكس الكثير من المدن التي لا تموت الا بعد ان يبلغ بها الكبر عتيا .. قسمتها هكذا وانا أحبها رغم انحرافاتها . لي معها ذكريات ولا كل الذكريات . حلوة رغم مرارتها . سلستا .. يا سلستا .. ستظلين في ذاكرة العشاق المدينة الأحلى وستظل تجاعيد بشرتك خطوط قدر واصرطة غير مستقيمة نسير بين تعرجاتها الى عالمنا المجهول .

من فهم شيئا عما دونته عن سلستا ـ كان رديف يقول ـ ؟. لا احد بالتأكيد . لا احد . لكني اعدكم بالكتابة عنها .. خواطرها .. غرابتها .. وحتى شذوذها . سأكتب الكثير وسأستعين

على مغاليق ابوابها بكل ما في ذاكرتي من البومات صور طفولتها .. صباها .. مراهقتها قبل وبعد ان تدلهت بطاغ مجنون افتض بكارتها واستعبدها ثم عافها لغربان الليل وكلاب الطرقات السائبة . انا وانتم وسلستا على موعد في ذلك وبالقريب ان طال العمر وأذن الوقت ، فقط .. اسمحوا لي ان اعود قليلا الى رديف . رديف حبيب ناهدة التي لا حبيب لها سواه . وناهدة وسيلستا يختلفان في كل شيء . قطعا لا يتشابهان لكنهما وذلك من غريب ما يحمل رديف . انهما يردان معا الى ذاكرته فهو لا يذكر ناهدة الا وعرّج على سلستا ولا يستعيد صور سلستا الا وتنهض امام ناظريه ناهدة . تزاوج اضداد غريب يحمله رديف في ذاكرته ورديف مثل كل الفقراء يختزن في ذاكرته اعتى صور الغرابة . انه فقير . يكاد ان يكون مدقعا وتلك حالة لا ادري متى كان اوان اكتشافي وتثبتي منها الا اني احس بعنفوانها . قد اكون وحدي من يحس بأن ذاكرة الفقراء مرفأ لكل غريب لكن الجميع يجمعون معي وانا متيقن من ذلك على انها مرفأ لكل الأماني كما ثبت عندي ان عيون معظمهم مرافيء لا تنتهي للأرق وان من الأرق نوعا خبيثا لايجد منفذا يدخله لعين ما الا

ويستوطنها فيغدو ثقيلا مملا كظهيرة تموز في سلستا وكصمت الفقراء لمن تمعن في صمتهم .

كان كيان رديف ابعد ما يكون عن الأنسجام مع الأيقاع الذي حوله والذي تتمرن عليه سلستا بمواظبة لا تحسد عليها لذلك ظل رديف يواجه التناقض بين شوارعها العريضة المزدهرة وبين ازقتها الفقيرة الضيقة وبين اطياف ناهدة التي ما عاد يغفو الا على اطيافها فظلت مقلتاه مرفئا دائما للأرق الذي ما عاد يرى عنه محيدا.

لا يزال الطريق يسير به الى بيته . صار طويلا وعريضا كعرض السماوات والارض . لا يريد ان ينتهي هذا الطريق المقفر وما زال كبقية طرق المدينة موحشا مثيرا للاشمئزاز وللغرابة احيانا . انه كالمدينة التي فرّخته وغيره من الطرق في سنواتها الأخيرة .

كل المدن تنمو وتكبر وتشيخ قبل ان يداهمها الموت الا هذه المدينة التي حط فيها رديف ركابه . هي عكس سلستا تماما . انها ولدت من المحاق والتحقت بالشيخوخة فورا . لم تمر بمراهقة ولا بشباب او كهولة . شابت مذ شبت من المهد . ولدت صدفة وبخطأ غير محسوب فلا تأريخ لها ولا جغرافيا . بئر معطّلة يحيها بضع رجال من البدو وشرطيا مخفر بائس في الصحراء تحول فيما بعد الى قلعة من ارصن القلاع واجملها تمر بها بين الحين

والحين مجاميع صغيرة من المهربين على حميرهم ليتسببوا معا في ولادة

مدينـة لا تحمـل مـن سـيما المـدن ولا حتى القـرى اي ملمـح يؤشـر اليـه ايجابا . هكـذا ولـدت المدينـة التي صـارت لرديـف مأوى في غفلـة مـن الـزمن . نمـت بسرعـة على ضفـة واد غيـر ذي زرع خـال مـن الميـاه الا في مواسـم محـدودة ومعلومـة ونشـأت وكبرت وشاخت وعلى حين غرة تحـول المخفر الى مركـز مدينـة وصار البئر آبارا شـقّت حولها شـوارع واقيمـت جسـور وشـمخت قصـور وأمها النـاس من مدن مختلفـة وبهيئـات وطبائـع مختلفـة لاجامع بينهم . كل من التقى بهم وسألهم كما سـألوه هـم : ما الـذي جاء بكم الى هنا ؟؟ كان الجميع يجيبـون بأجابـة واحـدة مبهمـة : لا نـدري .. ان مـن يـذوق ماءهـا مـرة يعـود اليهـا لا محالـة . وعـلام تعـيش هـذه المدينـة الخالية من اي مورد ؟؟ لا احد يدري ايضا غير انها وكما يقول اهلها (مدينة مرزوقة) .

نعم انها مدينة مرزوقـة يأمها المسافرون ويحـط رحالهم فيها العـابرون فيقيمـون ويبنـون ويعملـون وينشـأون . المدرسـة غـدت مـدارس ومعاهـد وكليـات اهليـة ومسجدها الـوحيـد فـرّخ جوامـع حديثة وانيقة والمركز الصحي غدا مستشـفى كبيرا ومراكز تفتقر لـو زرت ايا منها الى طبيب معالج في معظم الاحيان . بالرغم من ان ملاكها الـوظيفي يزخر بأسماء لأطباء وموظفين لا يراهم احد . لا

احد يضحي بها او يستغني عنها ولا احد يريد ان يستقر بها .. سيئة الطالع مأكولة مذمومة هذه

المدينة التي قفزت من المهد الى الشيخوخة بسرعة مذهلة اجتذبت في اواخر ايامها مجاميع من القتلة والمرتزقة المتاجرين بالدين ليحطموا اجمل ما فيها .. واجمل ما فيها هدوؤها وبعدها عن الصخب وقلعتها الجميلة العصية على المقتحمين والتي أعمل فيها شذاذ الآفاق واصحاب اللحى آلاتهم ومكائنهم ومعداتهم فأزالوها عن الوجود ورفعوا مكانها اعلامهم وراياتهم السوداء وشعاراتهم البعيدة عن التطبيق وكأنهم بها ينعون لأهل المدينة مدينتهم بـ: (كل من عليها فان) او (ما يدوم إلا وجه الكريم).

اقترب رديف من منزله وأقام في داخله هم لا آخر له .

العتمة والضجر المصحوبان بالخوف من المجهول يتحكم في لياليه الطويلة ونهاراته القلقة المضجرة وهو ما يزال يبحث عن جواب مقنع لصغيره ... لماذا نحن هنا ؟؟؟!

(٣)

ظلي تكلم عني بالذي وقعا
وصاغ من وجعي درسا لمن سمعا
- طلال السليم -

لقد تأخر كثيرا .. اين مضى ؟؟ لو لم يأخذ معه الأولاد . ليته لم يأخذ معه الأولاد .. انهم سلوتي . هم جزء مكمل لي .. اين مضى يا رب ؟؟ لا اظنه ابتعد كثيرا عن الوادي . اراه الساعة رأي العيان يحدق في ظلمته متكئا على حافة الجسر القديم مرسلا طرفه في ظلامه المعتم ، في ذات المكان . هو كل يوم وانا واياه ، الا اليوم . يقف .. يتأمل شعارا مفرغا من معناه مرفوعا بجانب الجسر يقول فيه كاتبه : (لا إكراه في الدين) . الحالة الوحيدة المتغيرة اليوم في رديف هي تركه اياي وحيدا . كيف تركني وسار بمعية صغاره ؟ كيف استطاع الانسلاخ مني ونزعي عنه وانا ظله ؟؟ كيف للظلال ان تغادر اشياءها ؟ يا لها من حيرة مربكة ومقلقة !.

لقد استطاع رديف بعمل خارق لا اجد له تفسيرا الانسلاخ عني وتركي مسمرا في مكاني وسارع بأولاده وظلالهم الى ذات المكان . كل هذا قد يكون ممكنا ، بل كان .. الا ان ما يشغلني هو فشلي في اللحاق به !. سأذهب اليه الان فهو في ذات المكان كما في

كل يوم يقف محاذيا لشعار افرغوه من معناه ورفعوه بجانب الجسر يقول فيه من كتبه : (لا إكراه في الدين).

لا اكراه في الدين .. وقبل ايام استدعي جارنا المسيحي مع زوجته وصغاره الى وكر الثعابين وخيّر بين تغيير معتقده او مغادرته المدينة بملابسه وحسب . لا اكراه في الدين وقد قتل رجال طائفة اخرى وسبيت نساؤهن وارسلن الى جهات مجهولة في بلد آخر ومدن اخرى . لا اكراه في الدين وانت مخيّر بين الذبح او مبايعتهم على ما يرتأون ويعتقدون وكل ما يرتأونه ويعتقدونه غلط في غلط . لا اكراه ... وحقيقتي المسماة رديف بجوار شعارهم كل يوم ولا ادري اهو اعجاب به ام اشمئزاز من كاتبيه الذين خرجوا عن معناه ، كم من الخطايا تقترف باسمك ايتها العقائد السمحاء التي عاف اهلها لبّها الى القشور فتحولوا الى ارهابيين وقتلة وشذاذ آفاق وتغلغل اعداؤها الى لبها فعملوا به ووصلوا الى ما وصلنا اليه ايام كنا نعمل بروحها لا نحملها اسما وشعارات وحسب لنجلب اللعنة لها ، ولرجالها الصادقين البغض ولتأريخهم التجاهل وسوء الظن ولو حاججنا وانكرنا عنها وعنهم بنصوص منها واعمال من سيرهم لقال لنا القائل :-

نظرنا بأمر الحاضرين فرابنا

فكيف بأمر الغابرين نصدق

وهم محقون . من يتمثل بهذا محق لأن حاضرنا لا ينبي الا عن سواد ماضينا وحاشاه من السواد الذي رفعه الشاذون

شـعارات ورايـات . السـواد فينـا نحـن ، في سـكوتنا على هـؤلاء المارقين الذين تغلغلوا داخلنا متسترين

بـراياتهم وشـعاراتهم المزيفـة وشـذوذهم ومتناقضـاتهم . منهم اكثر من سـواهم اخاف على رديف ، هـم واسـلافهم من تسـبب لنا ولعقائـدنا بمثـل مـا يشـوّه المشـوهون ويسـتدل بـه الحاقـدون وضعيفوا الحجـة في مقارعـة حقائقنـا بحجج واهيـة ، منهم اخـاف عليه ، من عبوات يزرعونها في طريقه وقد تتفجر فتودي به ، اين سيذهب الظل ـ انا ـ لو ماتت حقيقتـه ؟؟ اخـاف عليـه منهـم ومن خصومهم السـائرين واياهم على نفس النهج . من قصـف طائرات مغرمـة بنسـف الجسـور وتقطيع الطـرق ، اخـاف عليـه واولاده ان يتناثروا اشلاء تغدو طعاما لكلاب الوادي السـائبة . كيـف سـأحيا لـو مـات وانـا ظلـه ؟ ؟ سـؤال دخـت بـه وسـأرفعه امـام سلطـة اتخـذت هي الأخـرى وتتخـذ مـن انتشـارهم بيننا حجـة لقتلنـا . قـد يرى الـميليشـياويون الأوبـاش ومجـاميع الحشـود الطـائفيـة المسيّرة بفتاوى تضليل من مراجع غريبـة عنّا لا دين لها ولا ترقب فينـا الاُ ولا ذمة المدججة بأسلحـة كل الحاقـدين من جيران قـذرين وقـادة مخانيث إمعات الجسـر الـذي تقف عليـه حقيقتي المسماة رديـف يؤدي غرضـا يخـدم المدينـة المكسـوة بالسـواد فيفجـروه بمـن فيـه وعليه وما عليه اعز منه . انه حقيقتي التي تقف على صراط مهتز وشـريان مهدد بالقطـع مـن سـلطة غـدت مغرمـة بتقطيـع اوصـال المدن وشرايينها ضمن مخطط رسـم لها ولن تحيد عنـه الى سـواه .

من كل هؤلاء واولئك اخاف عليه ويقلقني غيابه ، ليته لم يأخذ الاولاد الذين اجهدني عشقهم حتى بت احسبهم جزءا مكملا لي ان لم يكونوا اهم جزء مني . لقد اقتادهم معه وضم اليهم ظلالهم ولم يبق لي او معي ظلا لأي منهم . كيف لي ان اطمأن لسلامتهم حتى وهم بمعيته وقبل كادوا ان يضيعون منه ومن داخل سكنه ذات يوم حين تعرض لهجمة غادرة من ارهاب لا يحمل معتنقه ذرة من خلق او شرف او دين . في بلد الذئاب نحن نعيش ونجاور اوجارهم ونخشى ان يقتص اعداؤهم منّا بسبب جوار ما اخترناه ولا ناقة لنا فيه ولا جمل . رؤوسنا مطلوبة للجميع لأننا وكما سمعته ذات مرة يقول (جبناء) .

ماذا تريد يا رديف منّا ان نعمل ؟ وعلام جئت بنا الى هذه المدينة التي ما احببتها وبالعكس منك تماما ؟ لا ادري ما الذي اعجبك فيها وعلام اخترتها لأقامتك دون سواها ؟ ولا ادري كيف لظل جسد ان يختلف عن صاحبه وحقيقته كما اختلف الآن معك ؟؟!.

سيذوب ما تبقى مني ان لم يعد الساعة رديف الذي هرب من الارهاب والسقوط والأنحراف في مدينته الأولى لنعاني ذات المعاناة هنا ونحاصر بكل ما هرب منه وما برره وادعاه لهروبه او لضيق ذات يده كونه لم يثر على حساب الآخرين ومباديء يتبناها املت عليه رفض ان يكون انتهازيا او لصا رسميا كبعض المقربين منه كما ادعى وما استطعت اقناع نفسي بتصديقه ولا

اراها مسوغة لما فعل . يتمنى عبور الحدود ولا قدرة له على ذلك ، يصده امران هما تمسكه بالأرض وفقره الذي يحجبه عن الظهور راتب لا يكاد يفي باحتياجاته اذ ما هو الا موظف بسيط في هيكل مؤسسة لدولة تتداعى . انه يكذب احيانا ويظهر غير حقيقة ما يخفي فلو قدر على السفر لفرط بالارض التي دنسها الفوضويون وأهلها الوصوليون كما فرط بسمائه الأولى فانا من يعرفه اكثر من سواه مذ اداخلت واياه ولازمته في غدوه ورواحه منذ دب على الارض الى اليوم وانا شاهد اثبات عليه ولن يستطيع تسفيه شهادتي او ردها حتى بعد ان استطاع الأنسلاخ عني ومغادرته اياي وحيدا بانتظاره لمفردي . انه حقيقتي التي احببت فيها هيامه بوطن ما ود المكوث فيه ولا استطاع التخلي عنه ، وتمسكه بمثل واخلاقيات غدت عيبا في زمننا ومجتمعنا الذي نعيش فيه وبين بيوتاته واهليه .

يقولون (ما تضيگ الا تفرج) ويردد هو (قد آذن صبحك بالبلج) غير ان الليل يطول ولا ضوء في آخر النفق بل لم نعد نر النفق اساسا لنفتش في آخره عن ضوء لو حصلنا عليه لاتخذنا من بصيصه سببا للوصول الى تسلق جدران هذا النفق والخروج منه . سقطنا في قاع بئر معتمة تضج بالافاعي والهوام والليل ما زال في اوله ، لم نتجاوز ربعه الاول بعد ويجري فيه ما يجري لنا فكيف بحالنا حين نعلق في منتصفه ؟! ليته اخذني معه للتفرج على حفل رجم زناة اكتشفوهم كما يدّعون في اطراف المدينة

لكنه .. هل فعلها وذهب الى هناك ؟ وهل يعقل ان يصطحب صغاره وظلالهم الطرية معه ؟ وعلام يأخذهم لمثل هذا القرف في مهرجان دموي ؟؟ لا ..لا.. مستحيل .. لن يفعلها رديف انه اوعى واكبر من ذلك . تلصصت عليه ذات مرة وكان يتابع شيئا ما في حديقة منزله فوجدته يسوّي طريقا لنملة تنوء بحبة ارز مطبوخ تجاهد في ايصالها الى سكنها . من يهتم بتسوية طريق نملة ليسهّل عليها نقل غذائها لن يسلي نفسه بمهرجان دم قميء . انه ابعد ما يكون عن ذلك لأنه (خوش رجال) كما يصفونه واقر بذلك انا ظله الدائم الشاهد على استقامته ووسوسة نفسه وشياطينه احيانا . مرحى لك يا حقيقتي الثابتة يا رديف ، احمد لك استقامتك واحمد لله اني صرت ظلك لا ظل سواك رغم هنات وشطحات فيك تقلقني ولا اود الحديث عنها . هو يعرف نفسه كما اعرفه انا ولا يهتم لمدح المادحين ولا لقدحهم . ما يراه صوابا يعمل به حتى لو حشد العالم كل حشوده ضده على شاكلة حشدها ضدنا تحت مظلة مكافحة الارهاب ولا ارهاب الا ما تقترفه اياد المدعين العمل ضده . قراره واحد ولا يتراجع عنه لو اتخذه . عيبه انه ما ينفك يقارع الآخرين بالمثل والخلق والرأي وكأنه يعيش في مدينته الفاضلة التي رسمها له خياله رغم يقينه ان لا احد يسمع او يرى غير المجون والشذوذ والقتل والتدمير وصور الأسلحة الفتاكة وهدير الطائرات . انه ابن بلده عن حق وصنوه في المعاناة والاوجاع . ساحة رأسه لأفكار وآراء وعقائد

متصارعة . يأخذ من الجميع ولا يمسك الا بما يختار وحسب كبلده الذي ما كان الا ساحة لصراع الأرادات وميادين معارك للآخرين مذ دق الله اوتاد جباله فيه وربط جذورها بشريانين من ماء ما عادت تفيض الا بالدم .

يقول اهل التاريخ ان كورش الفارسي انتصر على نبوخذ نصّر البابلي قبل الميلاد وانتقم منه برد اسراه من اليهود الى فلسطين معلنا عن اول حلف فارسي يهودي ضد بابل واهلها في التاريخ ، ويقولون انه وحين القى الاسلام بأشعته ركبها الفاتحون وغزو بلاد فارس وأطفأوا نار مجوسيتها التي نامت احدى شرارات حقدها العنصري تحت رماد التقية لتظهر من جديد وتعمل بيد ابي لؤلؤة على تقويض دولة المسلمين بقامتها العربية باسم الاسلام الذي اتخذت منه غطاء فكان اول ضحايا حقدها خليفة المسلمين ورمز عدالتهم وقوة دولتهم الذي رأى ما لم ير سواه فتمنى لو ان بين دولته وبين فارس جبلا من نار . ويقولون ان ابن سبأ تلقف ما بدأه ابو لؤلؤة المجوسي وزرعه في ارض بابل التي لم يحسن اهلها كريها وتشذيبها من الأدغال كما لا يزال في بعض اهلها من يتعلق بخيوط استعباد ادمنوا التمسك بها وما استطاعوا ولا اتقنوا سواها فأورقت من جديد بين اعراب كانوا الأشد كفرا ونفاقا لتزهر عن فرق ضالة وافكار قميئة سرت بين العامة والمغفلين يغذيها الدرهم والدينار وتشعبت وتكاثرت وعملت على الأنتقام من الأسلام ورجاله الممثلين بالعرب معلنة

عليه حربا ضروسا صار بلد رديف الساحة الدائمة لها متخذة من اغبيائه وغلاته حميرا لنقل بضائع منتقاة من الفكر المجوسي المتستر بحب آل البيت الذين ما احبوا فارس ولا فارس احبتهم وصدّق الامعات وضعاف العقول ذلك فانضووا تحت رايات مشبوهة تحت يافطة التشيع لأهل البيت فارضين عدائهم على الآخرين مناصبين اياهم العداء مطلقين عليهم اسما املاه عليهم خبثهم وهم اولى به ممن وصفوهم به مذ ناصبوا المسلمين العداء فغدوا هم من يتهمون بذلك . لقد ارتضى المغفلون لأنفسهم ان يكونوا المطايا التي ركبها علوج فارس بكلمة حق اريد بها باطل وما ادركوا ما وراءها فصاروا خنجرا في خاصرة العرب واضراسا موجعة في فك بابل بقاؤها موجع واقتلاعها موجع .

آه .. لو استطاع اهل بابل الحقيقيون اقتلاع تلك الأضراس المسوسة من فكها حتى لو غدا ادردا من دونهم وكفوا العرب شرور حقدهم وخباثة اصولهم لما وصل الحال بها الى ما وصلت اليه من معاناة آلام دائمة وقلق سرمدي ، ولو حدث ذلك لما نمت الأميبا بين كثبانها وتناسلت داخل مدنها وبين قراها وحواضرها .

لا صحة لما يقال عن تناسل الأميبا بالانشطار . انها تناسلت بيننا وانتشرت بشكل مقرف وكثيف لا عهد لنا به من قبل . تكاثرت بالزواج الشرعي وغير الشرعي ، بالسفاح والزواج العرفي ، بالمتعة والمسيار ، بالمضاجعة المفضوحة التي يأنف منها

الكثيرون ويخجلون من البوح بها ويمارسونها سرا وتحت الاغطية ووراء الستر والجدران .

كنت اتسمع لصوت رديف وهو يحدث نفسه بذلك ويحدق في بقعة ضوئية صغيرة تسللت من زجاج النافذة المطلة على فضاء ما عدنا نميزه عن السجن الذي نقبع فيه ولا نميز الوانه عن لون الدم والسخام الذي يغرق المدينة مخترقة كل حاجز طبيعي او وضعي .

البقعة الضوئية اتسعت وكبرت فبدت لعينيه وكأنها بقع عديدة اتحدت معا مستغلة انزياح الستارة قليلا بتأثير هواء انبعث من المروحة التي زادت سرعتها مع انطفاء معظم مصابيح البيت الذي عزلت زوجته التيار الكهربائي عنها وهي تهم بالأيواء الى فراشها بجانبه .

كانت عيناه تحاولان وقد اطبقتا رمشيهماعلى حدقتيها الدخول لعالم النوم والاحلام التي يتمنى لو يعينه الهواء المنبعث من مروحته التي لم يتخلى عنها بعد رغم برودة الاجواء المبشرة بمقدم الشتاء عساه ينقل له بشائر خير مع احلام يقظته المستهدفة من ارقه المصر على الاستقرار تحت هدبي عينيه مانعا اياها من اطباقة قصيرة يرى فيها ما يتمنى من احلام يقظته تلك .

لقد انتشرت الاميبا وسارت بأياد وارجل بشرية في فضاء مدينته وفي شوارعها وازقتها الضيقة وما عاد يخلو مكان منها . السواد يجللها جميعا والسراويل الطويلة تروح وتجيء امامه

تنقلها اليه هذه البقعة الصغيرة التي احتلت مساحة كبرت واتسعت وحاقت بها بقع عديدة لا جامع لها سوى السواد . السواد في كل شيء ، في الملبس والمشرب والمأكل والمتنفس وفي قطع السلاح التي يتباهون بحملها الممهورة هي الاخرى بأختام خشبية تميل الى السواد وان حاولت التمترس خلف الوان البن المحروق .

يسرّح بصره الى البعيد . فيرى فيما يرى عاصفة ترابية حمراء ضربت سلستا عقب سقوطها وصبغت جدران مبانيها وعماراتها وشوارعها بذات اللون الذي سرعان ما قطّعه تساقط حبات من المطر الى دوائر واشكال غير منتظمة يأخذ بعضها هيئة الدمع حين انسيابه على خدي حبيبته بعد رش السماء لها بتكاسل ينبيء عن انعدام رغبتها في غسل ادران مدينة اغرقتها خطيئتها الاولى مذ اسلمت جسدها لطاغ متجبر افتض بكارتها عنوة وعافها ممددة امام كل عابر وشاذ ومتهتك دون ستر او حماية الا من (هنبلات) البعض من رفاقه وازلامه التي اوصلتها الى الهزيمة وما صدت عنها غازيا ولا اوقفت قاطع طريق ولا حالت دون سيول الدبابات والهمرات اليهودية والصليبية والصفوية وآليات الغرب والشرق واطياف لسراويل سوداء بدت تلوح في الافق البعيد وان لم تصل بعد الى ميادينها وستصلها ما دامت آخذة بالتجمع على اسوارها والتغلغل بين طيات ملابس اخواتها وبعض من بيوت جيرانها .

انقلب رديف على جانبه الايسر وحدّق بعيني سلمى ثم ساح بين طيات جسدها مبتدئا بشعرها الذي خطّه الشيب عن قلق وخوف لا عن شيخوخة ولا كهولة مارا بنهديها اللذين كانا يمثلان في صعودهما وهبوطهما مع كل نفس تجره جبالا من هم وخوف من مستقبل لا يبشر بخير .

تظاهرت سلمى بالنوم مرتدية هيئة امرأة ساكنة وغارقة في الطمأنينة عكس ما هي عليه في حقيقة امرها . كان لرديف مع سلمى عالم غير مألوف ومختلف عن عالمه مع حبيبة صباه ناهدة اذ الفرق بين الاثنتين كبير حيث ينمو الألق والانفتاح في الاولى وتتخندق في الثانية وعلى حافات عالمها روح ثائرة تجهد نفسها ان تهدأ ولا تقدر على ذلك فتتحفز وجلة لصوت يراعة ارتطمت بمصباح مطفأ ما تزال فيه ذبالة من بقايا نور يغلف زجاجته ويرى رديف من خلال تلك الذبالة كل ما في سلمى من جمال أخّاذ يحسه ويتحسسه حينا بأنامله التي يخشى من ثقلها على الجسد الممدد بجانبه فتوقظه احلام سادرة فيه وفيها وبينهما همهمات وخواطر لا تكاد تفهم لسكون لم يألفاه وان دخلا الى عالمه مختارين راغبين وواصلا السير فيه مجبرين .

الحب آخر ما يفارق رديف وفي ذات الوقت آخر ما يفكر في ممارسته . لقد عافت نفسه كل شيء وتركز كل تفكيره في الاميبا التي لقنته المدارس عن تكاثرها بالانشطار وحسب وثبت عنده عكس كل ما تعلمه مذ تغلغلت في جميع مفاصل المدن والقرى

وبـين طيـات فراشــه وفي سـريره بـل داخـل رأســه هـو الآخـر وان تظاهر لنفسه ولسلمى بغير ذلك وبعكس ما يفكر .

(٤)

أظن أنّا هرمنا يا قرين دمي
وشاخ فينا النقا مذ غار صوت فمي
- طلال السليم -

في العادة يستجيب الليل لأحزان المقهورين فيخفف منها ويشيل عن كواهلهم بعضها بامتصاصه لأجزاء منها قد تكون كبيرة وقد تكون صغيرة عن طريق النوم ، وقد تفر نتف من هذه الأجزاء وتطوف عوالم الداخل لتتحول الى رؤى ليلية او كوابيس اذا اخذه الليل لغفوة قصيرة ورؤى حالم يقظ في معظم الاحيان، غير ان رديف ليس ممن شملته رعاية الليل الا لماما لذلك كان كثيرا ما يدور حول نفسه مؤثرا اليقظة على سواها حتى لو استطاع لذلك (السوى) سبيلا وهو ما استطاعه بالتأكيد الا نادرا .

قال قرينه الذي اتخذ من جسده سكنا ذلك وما كان معه سوى هذا الشبح الذي تنقل بين معسكرات الجيش ومجاميع الفارين منه خوفا من كتل سوداء بدأت تحاصرهم وما عرفهم من قبل ليحزر اسلوب تعاملهم معه لو وقع بين ايديهم او التجأ اليهم وهو ابعد ما يكون عن التفكير بمثل ذلك لكنه خاطر راوده او هجم عليه مباغتا اياه دون مقدمات تمهد لهذا التقدم اوالمباغتة فاستبعده وعاد الى ليله الذي اختص بفتح سجلات

المقهورين وتقليب صفحاتها وكان هو واحدا منها وان لم يكن سجله مطلوبا تلك الليلة رغم ان بعض حركاته كانت تعرض عليه من قرين يلازمه انّا حل او ارتحل وقد تجرأ الساعة عليه وحدثه بما مر فاستهجن ذلك الحديث وتلك الخواطر حيث انه ما كان جنديا ولا فارّا منها ولا فكر ذات يوم ان يكون حجرا فيها او في كتلة سوداء ولا خضراء ولا حتى حمراء ايام كان يهيم بالاحمر ويؤثره على راحته يوم ارتدى بدلة حمراء وحمل شارة وكتابا احمر ودخل لبار احمر وحين صحا على نفسه وواقعه ما ترنم الا بـ (في مدخل الحمراء كان لقاؤنا ...) مستذكرا امجادا كانت لأسلافه وما كل احمر بأحمر ولا (كل مدعبل جوز) ولكنها شياطين واشباح تتلبسه وانهيارات عقل محبط غدا متأرجحا بين الصحوة والسكرة املت عليه ما يدور بينه وبين قرين ليس بالعزيز فيمسك به ولا بالرخيص فيزجره وينأى عنه بنفسه ، انه مفروض عليه ولا قدرة له على الفكاك منه ، لقد احبا بعضهما واتلفا معا ملقيين باثقالهما على اكتاف ليل ما كان من سجاياه الأستجابة بيسر لأحزان المقهورين ورديف مقهور وقرينه اشد منه قهرا . مقهور لأنه يأنف من تلويث لسانه بمفردة نابية اتجاه حشرة صغيرة فكيف يراد له ان يلوث يديه بدماء عاشقين قادهما الهوى لركن غرام ما اثبت احد حتى ولا بالدليل الضعيف انهما احدثا امرا يستوجب الرجم وسفك الدم الذي يربأ بعينيه عن منظره لا مشاركة يديه فيه غير ان نهج الترهيب

للآخرين فقط اقتضى ان يرجما ليكونا عبرة لسواهما ليس الا . لا دافع آخر سوى ذلك وما كان هذا ليرضي رديف او قرينه او حتى الشيخ محمود وآيات بينات كانت تنساب على لسانه ومن بين شفتيه حلوة وطرية بقدر ما هي آمرة وزاجرة احيانا ..(اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ...) وصوت الشيخ محمود يعلو ويهبط بايقاع محسوب عنده مجهول عند رديف وظلاله واشباحه مخيف لقرينه الذي يطمح ان يتلبس هو او واحد من سلالته جسد المدينة المتقعة الوجه الممددة امامه بخدر تتخيله لذيذا وهو غير ذلك لمن يتمعن في تثاؤبها المصحوب بين آونة واخرى بصوت متحشرج يخبر عن الم عميق يخرج من اعماق نفس مكلومة على هيئة (اوووووووف) طويلة تعلو وتخفت كشبح يضرب في ظلمة ليل بهيم ليهوي على جرف نهر هار او في بطن وادي عذاب سحيق وبينهما يحدق رديف مأخوذا بمشهد لم يألفه من قبل يتيه آنا بين الوانه الرمادية ويصحو آنا وفي الحالتين تتجسد بين عينيه غابة لفوهات بنادق مصوبة الى الجسد المنهك وكل فوهة تهيب بأختها ان احسني التصويب اليه وكأني بها تتمثل موالا شائعا يتداوله المأزومون في مدينته يقول شاعره فيه :

(گطان چني صرت ما بين عچلة فال

واحد للآخر يگله ها ولك لوحه)

عائدا به الى صباح يوم اسود من ايام سنين ممحلة مضت وخابت في اقتناصه وان نجحت في صيد صديق له كان يشاركه ابريق شاي استكثرته تلك البنادق عليهما كما استكثرت سيوف آثمة لأسلاف حملة تلك البنادق على الحسين ابن علي شربة من ماء الفرات التي تلغ فيه الكلاب وتعيش على شواطئه الضفادع والهوام . ليته ـ قال رديف ـ لم يمر بتلك التجربة المرة التي استرجعت لذهنه الموقف المخيف الذي فقد فيه صديقه ورفيق دربه الشيخ ابو سلوان .

النهار معتم والشمس تتجاذبها غيوم لم تستطع لملمة اطرافها والالتقاء في خط واحد لذاك لم يفقد رديف امله بالنجاح في مسعاه وان يتواصل وصوت الشيخ محمود وجسد المدينة التي ارقه وجعها مذ تناهبها الغزاة من اطرافها وفي طرقاتها المحشوة بالاسرار وبالألم والندم .

ما عاد للغموض معنى ـ قال رديف ـ واطرافه ترتجف بعد ان عجزت عينيه عن خزن صور متراكبة حار في فصلها عن بعضها وتفسيرا لواحدة منها على الأقل غير انه كان يعيش على امل احياه فيه كتاب قرأه في صباه يحكي فيه مؤلفه حكاية مدينة عاشت ذات الأجواء ومرت بمعاناة تضاهي ما تعانيه اليوم مدينته وخرجت منها مزهوة بنصر وكبر تحسد عليه ، وصفوها حينها ممجدين اياها بـ (طائر العنقاء) الذي لا يموت الا ليبعث من جديد متفائلا بذلك وان كانت (عنقاء) اليوم قد غدت ضحية

لأهلها ومحبيها مذ تحالفوا مع كل من هب ودب عاملين على قص جناحي هذا الطائر وتحطيم جؤجؤه فاضاع مشيته بعد ان احالوه الى غراب اسود معوّق حار بين مشيتين متلفتا يمينا وشمالا متمنيا لنفسه ان يكون بعوضة او دون ذلك عاقدا امله على الشيخ محمود الذي يجهد في تنشيط همته من خلال تكراره : (اركض برجلك ...) مرددا اياها متناسيا ان قدميه مربوطتان بحبل سري لا يستطيع منه فكاكا وان علق امله بما لم يعد له امل سواه رغم كل ما يعتد به من جهد مقاوم وما يتحلى به ويصبغ وجنتيه بحمرة وردية تذكّر بجمال كان يتصف به وتزخر ببقاياه مدينته الضجرة التي اعتادت التدخين والتنقل بين علب السجائر و(كراتينها) باختلاف مسمياتها ضاربة عرض الحائط بالشعار الذي خطه على جدرانها الملوثون بالسواد (وحرم عليكم الخبائث) بعد ان غرسوا عقب سيجارة في صورة قلب نابض متجاهلين ما لهذا الذي يسمونه خبثا من فضل على دوام المدينة وبقائها وانتظام نبضها ودقات قلبها وانه دون خبثهم وخبث بنادقهم المحشوة بالموت .

ليس لأحد ان يقترح على مدينة وساكنيها لون ما ترتديه وطعم ما تأكله وسلوك ما تسلكه هي او من فيها وكان على هؤلاء القادمين لمدينتنا من كل حدب وصوب الإنكفاء لمدن نشأوا فيها وتزودوا من خيرها وداسوها باحذية انظف من اقدامهم التي انتعلتها وهجروها قاصدين مدينتنا المرتاحة لسكون واديها

وجدبـه مفضلـة اياه على كـل المـدن التي زهـت بانهـار وجـداول وحـدائق وبسـاتين خير مـا اثمـرت الا الشـر الـذي صدرتـه الينـا محمولا على كواهل هؤلاء المارقين في غفلة من غفلات الزمن .

الحياة ما تزال تتدفق في جسـد المدينـة رغم خوائها مسـلمة قيادها ومتكلـة بعـد اللـه على الشـيخ محمـود واشـياعـه من انقيـاء السـريرة الـذين يعملـون على تثبيـت قـواعـدها بعـد ان ادمتهـا فـؤوس الغـدر المختلفـة نهجـا المتحـدة هـدفا تحـت رايـات سـوداء وان اختلـف مـا كتـب عليهـا اذ العبرة فـي الـتطبيق لا في الـتنظير وتطبيقـات الـجميع تسير بذات الـدرب وتصـدر من مشـكاة واحـدة وان اختلفـت راياتهم وتنوعـت شـعاراتهم والسـواعد التي ترفعهـا . كلهم ومناصرين لهم انبعثـوا من تحـت انقـاض المدينـة وخرائبها وخرجـوا مـن داخـل مزابلهـا وحاويـات القمامـة التي فاضـت بأقــذارها وبجمـع مـن ذوي العاهـات وضـعاف المحتـد فغطـت روائحهـا وروائحهـم النتنـة على اجـواء المدينـة المنفتحـة على صحراء تتنفس من خلال واديها المجدب اعذب الهواء وانقاه قبل ان تظللهـا تلـك الرايـات الهجينـة التي ابكـت قلـوب اهلهـا قبـل عيـونهم الممنوعـة من اظهار دمعهـا الـذي قـد يشي بما تعتمل بـه نفـوس اصحابها فتلقي بهم في اجـداث المـوت لأنهـا تحـن الى ايـام يعدهـا الفاتحـون الجـدد جاهليـة ويعـدها رديـف والآخـرين ايـام سـعد ونبل وحريـة غـدت حلمـا على ضيق حـدودها آنذاك معزّين انفسـهم بالمثل العـامي (اللي يشـوف المـوت يرضى بالسـخونة). فيـا

لبؤس مدينة لا يستطيع اهلها ان يحاموا عنها حتى ولو بالدمع الذي هو اضعف ما في النفوس من طرق التعبيرعن الألم الذي حلّ بها .. ويا لبؤس حماة صاروا عن ارادة او دونها لصوصا وسراقا او غرباء في مدينتهم وعمال سخرة وأذلاء مقهورين يترنم شاعرهم حين يعصره الألم وهو يقلّب النظر في معاناة اهله ومدينته قائلا :-

عادت قريتنا السمحاء يضرجها الدم
وقف السراق على اعتاب حضارتها
حاصرها اللوطيون وكل زناة الأرض
وعلى (فرشات) أسرّتها
نام الما كان ليحلم يوما
ان يخطو فوق تراب ازقتها
او ياكل منها اخضر او يابس

(٥)

وبيني وبينك ما لا يطال

وفوق التصور فوق الخيال

- طلال السليم -

يا بحر الجنون الموصل بين قلبينا ..اما آن لك ان تنضب ؟!
اما آن لك ان تدعني اتجرع كأس المر دون ان يشاركني من احبه اياه ؟!!

لقد اتعبته على ما فيه من تعب . (دوختـه) وهو (الدائخ) طول عمره بسواه . كنت اظن اني سأحمل له اطباق السعادة والاستقرار مذ رأيته اول مرة . احببته حينها وادهشتني صراحته وصدقه فاخترته رغم فارق العمر بيننا .

كنت ارى في تأرجح (سترته) المعلقة على كتفيه حبال ارجوحة غرام احلم في التعلق بها والاستقرار بين كميها فقبلته واقبلت على التقاط كلماته بود واعجاب . تناول قلبي وضمه اليه بسرعة مذهلة فركنت اليه . قرأت في مفرداته الملقاة بسمعي على سجيتها حرص اب واخ وصديق فضممته الى قلبي قبل ان اضمه الى حضني ، غير اني قصرت ولم استطع ا ن أفي له فأكون كما اتمنى واحلم . كنت اظن بنفسي ذلك وكان يقول لي بعكس ظني فأحببته اكثر وتمنيت لو اتسرب في دمه او اهجره وادعه لسكونه القلق ولرقصات سترته على كتفيه ولبحر الجنون الذي جذبني

الى اعماقه فاغرقني فيه وانا الأحرص عليه من نفسه . احسست بتقصيري اتجاهه ، بضعف شخصيتي وبهزيمتي حين صدمته بطلبي :-

ـ طلقني يا رديف ولك ان اعيش معك تحت سقف واحد دون هذا الرباط الذي تسميه مقدسا .

ـ كيف لي ان البي طلبك هذا ؟؟ سأتخلى عن الكون باجمعه ولن اتخلى عنك . اطلبي سوى هذا وثقي اني سأمتنع عن اي امرأة لا تمنحني الرعشة التي يمنحها اياي حديثك لي او معي.

ـ ... ولكني لا افيدك .. صدقني اني لا اصلح لك لأني دونك فكرا ومعتقدا وحبا !!!

ـ لا يا ابنة الناس .. تخطئين في تقييم نفسك . انت اكثر من طموحي .. لقد انسبت في غفلة مني الى دمي فما عدت اطيق الحياة دونك وحين اتمعن فيك اراك قطرة من الدمع تعلق بهدب عيني واخجل من اسقاطها لأني ارى ان دموع الرجال علامة ، علامة هزيمة لن اسمح بوقوعها اوالتهاون فيها .

اشجاني رده والجمني فبكيت ولعنت اليوم الأبيض الذي القاني بطريقه . كيف لي ان اكون له ما يريد وهو لا يريد الكثير مني لكني عاجزة ومريضة وضعيفة وفاقدة للثقة في نفسي وفي الناس ، كل الناس ، لذا غدوت اخشى عليه من نفسي القلقة وعشقي له وضياعي بين الأثنين . ادعو له في خلوتي ومناجاتي وادعو الله ان يبقيه فوق رأسي تاجا ومظلة وحين اقف في

مواجهته احس بفشلي وضعفي فأتفوه بما لا اتمنى واقول بغير ما اعتقد واؤمن . اتعمد اثارته لأزهده بي فأخالفه الرأي لا عن قناعة بما اخالف فيه لكنه العناد وتعمد الأثارة عساه (يزهگ) مني ويخلي سبيلي وادري لو انه فعلها فسيميتني ، لن اعمّر بعده اسابيع ، بل ولا ايام . افر منه اليه واشد بالحبل الرابط بيننا عساه اذا انقطع ان يوثقه من جديد فأصير اليه اقرب مما انا عليه الان وانا واثقة انه سيحكم شده لو انقطع قدر ثقتي بأنه لن يدعه ينفصم مهما حدث ومهما حاولت اثارته .. لذاك اعاني .. وابكي .. والعن نفسي واصمت اكثر مما اتكلم . بل لا اكاد اتكلم انا سلمى المتيمة به وهو حبيبي وابي وقرة عيني . وليّ امري وزوجي المثالي الذي يحسدني عليه كل من يعرفه ويعرفني . الرجل الذي ما تخطى احاسيسي مرة او تجاهلني وانصرف نظره الى سواي مذ عرفته . لا اقدر على التخلي عنه ولا اريد البقاء واياه لأني احبه واموت فيه واتمنى الغرق الف مرة في البحر الموصل بين قلبينا وما عاد له ان ينضب ولن ينضب او يتضاءل ماؤه حتى لو ارتوى منه كل اصحاب الرايات السود ويأجوج ومأجوج واحلاف الغدر والخيانة التي غدت هاجسه الذي يؤرقه ويؤرقني ويزيد في معاناتي وعقدي فوق ما بي من عقد ومعاناة .

كم مرة وفي حالات احباط راودتني فكرة الانتقام منه ومعاكسته فيردني بايماءة منه الى واقعي وحقيقتي التي فكرت بتجاوزها وايذائه قبل ايام ووسط هذا الجنون الاسود الذي

يلفنا متظاهرة بالتعلق بمن لا يطيق سماع اخبارهم من اصحاب الرايات السوداء وابداء اعجابي بهم مبررة امامه كل افعالهم وشطحاتهم وانحرافاتهم التي كانت تخيفني وتقض مضجعي فيشكوني الى الشيخ محمود الرجل الطيب الذي استوعب شكواه وفهم ما يدور في خلدي فمد سجادته واجلسني عليها وقرأ (وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون) ، وكيف لهم ان يبصروا وقد احاطوا اوجههم بأقنعة مقيتة سوداء وفرضوا علينا اقنعة اشد مقتا منها واشد ظلمة اسموها (النقاب) او (البوشية) على عهد جداتنا عائدين بنا الى عصور التخلف والظلامية التي يحاول الشيخ محمود تبديد ظلمتها بآيات من الذكر الحكيم كان يرتلها امامي فتنتفض دمائي مطالبة بصوت غير صوته على ما فيه من رقة وعذوبة وجمال .
ان اذناي لا تستقبل الا صوت رديف الذي يحدق بي مدققا بكل تفاصيلي التي ينتابها خدر ونعاس وعبرة خنقتني وما عاد باستطاعتي اخفائها فانبثقت من عيوني سيل دموع استعان الشيخ محمود على تجفيفها برديف الذي مرر راحته على وجهي ماسحا اياها مستجيبا لطلب الشيخ مرددا هو الاخر (واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله)... واستعذت بالله وشكرت للشيخ محمود استعانته برديف الذي بت مذ لامست كفه خديّ اكثر هدوءا واستقرارا واقرب الى السعادة من اي وقت مرني قبله ، جسدي يذوب تحت راحتي رديف التي كانت تمر

عليـه رواحـا ومجيئـا تمنيـت حينهـا لـو انامنـي ونـام الى جـانبي . اشـعلت راحتـاه النـار في جسـدي وانـا المنطفـأة حـد المـوت . لقـد شـدني هـذا الرجـل اليـه بشـعرة معاويـة التي يرخيها كلما شـددتها ويشـدها كلما ارخيتها . ما احسـسـت عمري مذ عرفته امتلائي به واشتهائي اياه قـدر السـاعة التي اعيش بين دقائقها وثوانيها ولـو سـألني سـائل مـا تعـانين ؟؟ لقلـت اعـاني رديـف . وبـم تحسـين ؟؟ احـس برديـف . ومـاذا تتمنين ؟؟ ان يجمعني ورديـف نفس واحـد ومصير واحـد وقبر واحـد لنبعـث مـن جـدث واحـد امـام الـه واحـد عبث العـابثون بتعاليمه وبشـريعة انزلها على بني الانسان سـاوى فيهـا بـين الابـيض والاسـود ورغّـب اكـثر ممـا رهّـب عكـس مـن يتكلمـون اليـوم باسـمه زيفـا مـن اصـحاب الرايـات المشبوهـة بمختلف انتمائاتهم ومذاهبهم وميولهم من اعراب و سرايا حرب وعصائب باطل و دعـاة خلافـة مـا فقـه اي منهم خيطا من نسـيج مـا يـدعون اليـه ولا فاصلـة بـين آياتهـا ففرضـوا مـن الزيـف باسـم الحقيقة الـوانا معتمـة ، ومن البـاطل باسـم الحق آيات مشـوهات يربـأ بنفسـه عـن تبنيهـا مـن يحمـل ذرة مـن انسـانية لا مـن ديـن وشريعة وتوحيد .

اعانك اللـه يا شـيخ محمـود . كيـف لك لـو قـامت دولا لهـؤلاء وترسخت ان ترقّي مكلوما او تجمع بين حبيبين نـزغ الشيطـان في احدهما بآيات من الذكر الحكيم كما تجمع الان بيني وبين رديـف الـذي شـاكسته بنزغ من الشـيطان وخالفتـه لأتفق معـه اذ عمري

ما اختلفت واياه الا ادعاءا وافتعالا واستجابة لأيعاز لا ادري من يصدره وما فيه صدق ولا كان عن يقين ، (فاغشيناهم فهم لا يبصرون) ولن يبصروا ما داموا فقدوا الحب وما سبحوا ببحره الذي لا ينقص ولا ينضب بل يزيد ويزيدني اشتعالا مع رديف الذي ليس لي الا ان اموت في هواه وما عليّ سوى ذلك ولتتقطع اوصالي لو فكرت بغير ما قلت ويكون مستقري الجحيم .

انا والله اعلم يا رديف انك وطيف الموت لي تؤمان .. لكني احبك وليس بمقدوري التخلي عنك الا اليه وحاشاي ان اذهب اليه بقدمي وارادتي تاركة اياك لشعارات يرفعها ذوي الرايات السوداء ممن لا يميزهم عندي عن بنات الرايات الحمراء في الجاهلية الا انهم رجال عصاة قساة قلوب لم يبلّوا ريقهم بقطرة حب وانهن نساء ضعيفات خالط الحب الذي يمور في قلوبهن الحاجة الى الخبز فصرن الى البغاء وهن عندي اكثر مرؤة وشرفا واطهر ممن يبتاعون الهوى منهن مستعينين عليهن بحاجتهن الى الأنفاق على من يعلن في زمن كان فيه الحصول على رغيف خبز كالحصول على كنز او (قاصة) مصرف وبنگ من المصارف التي استولى عليها السراق والمدّعون والمسبحون لله والله ابعد ما يكون عنهم واقرب الى ذوات الرايات الحمراء منهم بكثير ..

ـ لن يضرك بعد اليوم شيء مما تخافين يا ابنتي . . .

قال ذلك الشيخ محمود وهو يضع يدي بيد رديف ويطلب مني ان اتجاوز معاناتي من اجله على الاقل ان لم يكن من اجل

نفسـي ، واعاهــده على ذلـك واتمنى لـو اصـدق فيمـا عاهـدت واخشـى ان لا اصــدق فيلحقني رديـف قبـل سـواه بالكــذابين والانتهـازيين وناقضـي العهـود وهـم كثر ابتلـت بهـم الارض ونـاءت بخطاهم على ظهـرها ومـا اسـتطاع رديـف ان يحبهم او يجـاملهم لـذلك كـان هدفـا لهـم قبـل سـنين عـدة صـباح يـوم اسـود حـين حـاول بعضـهم اقتناصـه وصـديق لـه فأصابـوا الـصديق واخطأوه ليبـدل سـكنه ومحل اقامتـه بين آونـة واخـرى ومن مدينـة الى ثانيـة وثالثـة وسـابعة لـيحط بـه الـرقم اللغـز عنـده في مدينتـه هـذه التي اقـام فيهـا قبـل ثـلاث عقـود وكانـت قريـة منتظمـة ليعاودهـا وهي مدينـة مترهلـة بشـوارع وازقـة وعمارات واسـواق لا تشابـه ما كـانت عليـه ولـم يبـق فيهـا مماكانـت عليـه سـوى معلمين متمثلين بقلعتها الـرصينـة ووادبها الخـاوي المجـدب الـذي حـافظ على ما كـان عليـه دون اي تبـدل سـوى انضمام الجسـرالوحيـد الـذي اقامـه الانجليز عليـه الى بضـع جسـور حديثـة في حين اجتثـت القلعـة بـ (شـفلات) ومعــاول ذوي الـرايــات ومجــارفهم مبــدلين اياهــا بســوق خضــار ولافتـات ورايـات لا تعـني ممـا تحمـل شـيئا مـوحين لأهـل المدينـة انكم لسـتم باكثـر من حيوانـات تأكـل وتشـرب وتسـمّن اجسـادها لتغـدو لنـا وجبـات غـذاء متى شـئنا وشـاء مـن نـأتمر بـأمره ونمشـي على ايعازه وموسيقاه

لنـا اللـه على مـا نعـاني .. لـرديـف الـصبـرعلى المطاولـة وللشـيخ محمـود الحمايـة بآيـات يرتلهـا على الـدوام .. وللمدينـة التي مـا

احببتها النهوض من كبوتها ولواديها السيول الجارفة التي تنظفه وتنظف مدينته واهلها من ادران الحقها بها وبهم من يحملون شعارات لا يعرفون لها تطبيقا .. ولهم الأماني بأن يكونوا اهلا لما يتمنى اهل المدينة المنكوبة...

انها اماني ...

اماني ...

اماني . . . وحســـب

(٦)

تباله في الحياة فعاش عمراً

سعيداً سره هذا التباله

- طلال السليم -

الشتاء في اوله والليل لم يكمل بعد انزال ستارته على المدينة الملبدة سماؤها بالغيوم التي جاءت مبكرة هذا العام . وحوران ما يزال يراوح على ذات البقعة امام باب بيته وفي نفس الزاوية اليمنى التي يقف عليها كل مساء وفي ذات الوقت . يراوح في مكانه ، يرفع قدما ويضع اخرى لبضع دقائق قبل ان يندفع كالسهم باتجاه اليسار لأقل من عشرين مترا ثم يقف ويعود الى ذات النقطة التي انطلق منها مواصلا مراوحته بانضباطية عسكري محترف لساعة كاملة قبل ان يدخل بيته ويغلق الباب خلفه منصرفا الى عالمه الخاص به وعالم حوران غريب لا مثيل له ابدا ، يستقبل بشاربه المتدلي على فمه ولحيته الكثة البيضاء ضيوفه ليلا وفي الساعة التاسعة تحديدا ولا يسمح لهم بالبقاء بعد الحادية عشر بدقيقة واحدة كما لا يسمح بدخولهم بيته قبل التاسعة مهما تكن الظروف والحجج .

حوران منضبط في توقيتاته ففي هذه الساعة بالذات ، ساعته هو فقط التي تقوم عليها الساعة لدقتها كما يدّعي ينهض ليغادر مكانه دون انذار مسبق وغير مكترث بأي حديث او

متحدث وعلى ضيوفه الخروج من البيت او البقاء لوحدهم بعد ان يخرج ويغلق باب غرفته وراءه تاركا لهم حرية التسرب من الباب الآخر المفضي الى الشارع او البقاء لوحدهم ، لقد اعتاد زواره هذا الوضع الذي فرضه عليهم وهو لا يثيرهم ولا يبعث فيهم اي امتعاض او احتجاج مذ خبروه وادمنوا هذه الحالة التي ما عادت تثير في اي منهم علامة سؤال او تعجب فجلهم من العاطلين والمتسكعين وفارغي الجيوب والعقول .

لقد كان هذا الحوران في صباه والى ان عبر مراهقته شعلة من ذكاء ومشاكسة وآلة حركة لا تهدأ ابدا . يقود صغار محلته او حيّه مشكلا منهم جيشا يهاجم به بقية الاحياء والمحلات المجاورة . يأسر من الآخرين ويحاسبهم ويحرّم عليهم المرور عبر حدود (دولته) او يقود فرقا رياضية يشكلها من ابناء المحلة ويسابق منافسيه ويفوز عليهم مجبرين او مختارين ليظل هو نجم الحي واحيانا المدينة كلها وبلا منازع . وحين كبر صار الى ما صار اليه . انطوى على نفسه معتزلا الجميع محتفظا بصندوق احكم اقفاله وجمع فيه كل غريب ومفقود من العاب وصور وعلب دخان وولاعات وعلب كبريت فارغة وممتلئة وبمختلف الماركات واشياء اخرى غريبة وكثيرة يلاحظه صباح كل يوم ويجرد محتويات صندوقه وقد يضيف اليه جديدا اذا عثر على جديد مفقود اما اذا صادف حضور احد قربه اثناء عملية تفقده للصندوق فلا يدعه يرى ما في داخله الا ضمن ممارسات

يفرضها عليه منها ممارسة القفز على البقعة امام صندوق عجائبه هذا حتى لا يفكر الرائي بمد يده او لمس شيئ من خزينه كما انه اتقن مهنة البناء بما يتفوق به على سواه لكنه ما ان يبني جدارا ويتمه حتى يتفرغ يوما آخر للتمعن فيه فاذا وجد فيه ميلا او انحرافا لحجر داخل جداره فسيقوم بهدمه وازالته واعادة بنائه من جديد .

عادات غريبات وسلوك لا شبيه له سيطرت على حوران الا انها لم تحول دون احتفاظه بتوهج ذاكرته وبراءته التي تضاهي براءة الاطفال . مما تعود عليه حوران توجهه الى الوادي قبل غروب كل يوم ليجلس على صخرة محددة دون سواها لساعة قبل ان يعود الى بيته سالكا طريقا واحدا لا يغيره حتى لو قامت الدنيا وقعدت ولو اغلق الطريق لعارض وقد حدث له ذلك فسيظل واقفا لا يحيد عنه ولا يبدله ولو بات ليال على اطرافه ولا بد له من اجتيازه الى هدفه سواء كان البيت اوالوادي حيث الصخرة التي احب . اراد بعض الاشقياء مشاكسته مرة بخصوصها فأخفوها من مكانها وحين لم يجدها وقف بجانب مكانها لساعة كاملة قبل ان يعيدوها الى مكانها ليمارس عليها طقوسه الغريبة . اما اذا وجد احدهم قد اتخذ منها مجلسا فيقف فوق رأسه دون ان ينبس بكلمة منتظرا اياه تركها ليرمي بجسده عليها كعاشق مفارق التقى بمن يحب بعد غياب طويل . له افكار وآراء واحكام في السياسة والسياسيين والملاعب

واللاعبين لا تخطيء ، يتوقع الحدث قبل وقوعه وحين يقع يسلم نفسه لصمت طويل يكسره في اليوم الثاني او الثالث مناقشا زواره الليليين وتوقعاته لما يعقب الحدث جازما بتوقعاته منهيا حديثه بـ (گولوا گال حوران) ، وحين دخلت الرايات السوداء لمدينته ورفرفت في فضائها قرأ فيها ما لم يقرأه سواه.

كان يقول : ان ما كان في يوم ما سيكون لذلك تراه مطمئن النفس لا يهتز لحدث او حديث مهما بلغت خطورته وانشغل الناس فيه وحين التقى برديف كان الشتاء لم يزل في اوله غير انه وعلى غير المعهود اكفهر بسمائه واظلم وتلبدت غيومه وبدأ يسّاقط مطرا غريبا ليس الوقت بوقته مما اضطر حوران الى النهوض عن صخرته لينطلق عائدا لسكنه ونفسه تنازعه فيما يحدث عندما عبر الجسر وتسمّر الى جانب رديف الذي ما عاد يتقن غير الوقوف في ذات المكان واجترار الافكار التي لم يحد عنها ولم يغيّر اذ تعذر عليه التغيير وان لم ينكفيء مهزوما عنها الى عالم غير عالمه . المطر يبلل الرجلين الملتاث عقله والغارق في تأملات وأفكار (لا تودي ولا تجيب) كما يقولون . ما فرط رديف بمكانه وهو الان لوحده على غير ما اعتاد دون حتى ظله الذي ابقاه بعيدا عنه او ابتلعته غيوم ذلك اليوم الممطر ، ولا تجاوزه حوران على غير عادته هو الآخر مذ وقف بغتة الى جانب رديف محدقا به قائلا وكأنه يواصل حديثا سبق له الكلام فيه :-

ـ هل تظنه يعود ؟؟ وهل ستصفو الدنيا ؟ ؟ وهل سيتغير الحال كما ارى دون تيقن على عكس ما تعلمت واعتدت ؟؟ وهل ستظل واقفا في مكانك ام ستسير؟ والى اين لو سرت؟ الى البيت؟ وهل في البيت سوى الغم كما في كل مكان ؟؟. رديف .. انا لست متفائلا وانا الذي يرى غير ما يراه الناس . لا اجد فيما اقلب واطالع واتخيل الا الغم . اجبني ... لقد تعبت وفكرت بالألتجاء الى الروحانيين . احببت الشيخ محمود ووددت لو استطلع رأيه فيما يحدث وتراجعت لأني ارى .. وسيقول عني (مجنون) انه ككل اهل العمائم جزء من مشاكلنا وان ذهب بالباع الاكبر اهل (العگل والعباءات والغتر البيض) . اجبني يا رديف فبعض ما تبقى من عقلي سيطير ولن يحط الا في درك من الجريمة او النار .

فغر رديف فاه مدهوشا بما يسمع . هل يعقل ما يسمعه ؟ وهل تلبّس حوران جني تفوّه بلسانه ؟؟ ام انه عبقري يتخفى بثياب ابله فيتباله عساه يحضى بشيء من السعادة التي فارقته كما فارقت سواه ممن انصرف للهو واللعب او التفكر والبحث والكتابة كما افعل انا ؟؟ قال رديف محدثا نفسه وكان ما زال مأخوذا بما سمعه من حوران قبل ان يجيبه ممازحا :-

ـ نعم نعم .. هكذا اذن ! اظهر على حقيقتك يا حوران .. يا من تتظاهر بما ليس فيك وتدعي لنفسك ما يترفع عنه سواك . (دوختني يا رجل) بتغيرك وطروحاتك التي اسمع . كيف لي الاجابة على تساؤلاتك وانت الذي فاجأتني بما ليس بالحسبان ؟،

لكني ساحاول فهمها قبل الاجابة عليها ، اما الآن فسأظل واقفا هنا ، معك او بدونك وسأنقلّ طرفي ذات اليمين وذات الشمال مترقبا طلوع الشمس التي لا بد لها ان تطلع و(لابد لليل ان ينجلي) وسيتوقف المطرولكنا لن نتوقف عن مقارعة الظالمين والمتجبرين بأفكارنا وبأضعف الايمان ان ارهبونا وحالوا بيننا وبين ان نتكلم او نظهر ما نفكر فيه .. ما كان في يوم ما .. كائن الآن وها نحن نلمسه بأيدينا ونعيشه بذاتنا وستكون لنا الغلبة في نهاية المطاف (فكل مطاف الى منتهى) وان هذا المطاف على ما فيه من شر فهو الى حتفه يعدو وبأسرع مما نتخيل غير اننا نحتاج الى الصبر والعزيمة والتشبث بالحياة التي نريد ان نحياها لا ما يراد لنا دون رغباتنا .

ـ أشك في ذلك ، وقل عني كسواك (مجنون) . انا مجنون بحق ولكني أعي ما يدور حولنا واحاول ان اقول ... لكن ..!!! لا احد يصدقني او يصغي الي ، وهل من مصغ او مصدق لمجنون ؟؟!

ـ من قال انك مجنون .. وانك لست الأوعى منّا والأعلم يا رجل ؟؟. ان من يتجمع كل ليلة في مجلسك من البغاث والسطحيين لا يؤخذ بآرائهم . لا تصغي لما يقولون . انهم البهائم .. بل هم اضل من ذلك . هل يتحدثون بغير المأكل والمشرب يا حوران ؟ انت اعقل منّا جميعا لأنك قدرت على استيعابهم وتحمل ما يهذرون به ، عكسنا تماما .

تفاجؤني انت يا حوران ومنك اود لو استطلع المستقبل الذي اراه اشد ظلمة مما ترى انت في كثير من الأحيان ولكني اتفائل ... وهذا من عوارض مرضي الذي اشقى به وارجو ان لا اتعافى منه .

ـ وهل سنظل واقفين هكذا تحت المطر ؟؟ وهل سيقول من يمر بنا عنّا الا اننا مجانين ؟؟!

(يا ام حسين .. چنت بواحد صرنا اثنين) .. كنت يا مدينتنا المنكوبة بالأغبياء والجبناء والقتلة الطاوية على الجوع بحوران فغدوت بحوران ورديف !! سيقول من يرانا الآن .. جن رديف فصفّوه الى جانب حوران كما اختار الساعة الأصطفاف الى جانبه على حافة هذا الجسر المتآكل من القهر لا من القدم .

لنذهب يا رديف كل في طريقه ، واذا التقينا ثانية فأجب على تساؤلاتي التي طرحتها عليك ، لا وقت كبيرا عندي للأنتظار . قلّب في رأسك وافكارك واوراقك عساك تجد ما تجيبني به والا والله سأعقل ، والجنون ارحم بي مما تدفعني اليه احداث هذه الايام المشؤومة . سأعقل يا رديف .. سأعقل فأدركني قبل ان يعود عقلي الى عمله فأشقى به كما انت تشقى ، وابق هنا ان شئت اما انا فمغادرك الى حيث لا ادري ... وداعا .

القى حوران بكلماته تلك واندفع مسرعا كما جاء يسابق حبات المطر التي ما حاول ان يتقيها وقد بدأت تتزايد في تساقطها

مصحوبة بريح تحمل بردا ليس بالثقيل ولكنه ليس ببرد اول ايام الشتاء المعتادة .

سار حوران وتركني واختفى اخر خيال له في زقاق انعطف اليه مخلفا اياي مأخوذا بالحيرة مرددا :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله

وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

شاغلا نفسي بالبحث في اسئلته والأجابة عليها . هل تراه يعود ؟؟ من هذا الذي يسأل عنه حوران ؟ وكيف لي ان اعلم عودته من عكسها وانا لا ادري من او ما هو ؟.. لكنه يا حوران سيعود . سيعود يا حوران ان كنت تسأل عن صفاء وانتصارات غابت عنا منذ امد بعيد وانت من قالها قبلي . ما كان كائن الان وما كان مما مضى هزائم وخيبات وحسب . بل كانت هزائم وانتصارات وكما عادت الهزائم ستعود الأنتصارات وستهزم الهزيمة ما دام فينا من ما زال يتسائل ويستهجن ويقول (لا) حتى ولو كانت لامرأته او داخل نفسه فقط . فما كان قد يكون ، بل سيكون حتما وستنطوي كل راية هجينة خفقت في سمائنا بغفلة منا وغيبة عن الوعي كما انطوت من قبل رايات الخرساني ابي مسلم السوداء ، وستغني طيورنا لنا او لأحفادنا ان لم يكن لأبنائنا كما غنت عنادل الدمشقيين والأندلسيين والبغاددة ايام بني امية وبني العباس وسيتغير الحال الى احسن مما هو عليه الآن ولن تستمريء الشعوب النوم طويلا على القذا وقد استفزت

وطعنـت . لا بـد لهـا ان تصحـو فبعـد السـكرة او الالـف سـكرة
سـتكون الفكـرة وأفكارنـا جـاهزة تبحـث عمـن يجـددها ولـن تعـدم
الأمـة مجـددا . سـل الشـيخ محمـود يـا حـوران ان خـامرك الشـك
فيمـا اقـول فهـو رغـم عمامتـه مـا زال ينضح منـه الخير فمـا كـل
معمـم رأس فتنـة كمـا لـيس بكـل متـأنق او (متـأمرك ومتـأورب)
وحداثي علامة لرقي او تقدم . وستصفو الدنيا وتشرق الشمس ..
شمس الحقيقة وشمس الغد الآتي الذي سيصلنا شاء من شاء
وابى مـن ابى على حـد قـول الشـهيـد الفلسـطيني ياسـر عرفـات
الذي ما تخلى عن تفاؤله وهو في احلك ايامه في النضال ومقارعة
البغي وبشتى الطرق والاساليب حتى قضى . اما عن وقفتي هذه
فسـتطول متفكـرا فيهـا بمـا يحـدث اذ ذاك خيـر مـن القعـود
والأنصراف الى لوم النفس وتقريعها على ذنوب ارتكبها سواها .
سأقف الى ان تحين ساعتي ويحل اجلي فالأشجار ما ماتت يوما
الا واقفـة وان عجـزت عـن وقفـة كوقفـة فـارس بني حمـدان فـي
سـاحات الـوغى ومـا كان حينهـا (في المـوت شـك لواقـف) فسـأقف
وقفات غاندي واتحرك كما تحرك واقاوم بالسلب ان عجزت عن
الأيجاب فقد تلحق بالوقوف حركة و(في كل حركة بركة) ونقلة
خطو استشراقا لأيام ستزهو وارى زهوها (من خلل المطر الذي
تنثـه السـماء) ومـن خـلال نوافـذ امـل اجاهـد في ازاحـة السـتارة
السـوداء المرخاة عليها من اناس ما همهم الا ركوبنا باسم الـدين
حينـا وباسـم القوميـة حينـا واحـايين بلا اسـم ولا هويـة . سـنقف

وسـنخطو ، وفي خروجـك يـا حـوران عـن صـمتك او (بلهـك) المتخفي خلفه علامة خير تدل على طريق طويل سنبدأه بخطوة تعقبها خطـوات تتسـع لنقطـع فيها مسـيرة الألـف ميـل وزادنـا وزوادتنا في مسيرتنا حبنا لـوطن شـربناه فتسـرب الى دمنا وتغلغل فيـه وخالطـه وقـاء عليـه الأنتهـازيون والسماسـرة والقـوادون بعـد ان شـربوا خيره وثملوا بخمره وتركوه وتركونا (على الحديدة) التي سـنصنع منهـا معاولنـا وننحـدر نحـوهم ونجتـث جـذورهم طـال الزمـان بنـا ام قصـر . ولتهنـأ يـا حـوران وتحـافظ على جنونـك وتحـتفظ بـه وتصـغي في مجلسـك لـبغاث مـا تعلمـوا الا ان يأكلـوا ويتغوطوا ويناموا .. وحذار حذار من الصحو الآن فما حان حينه بعد . . .

(٧)

أين ما حلّ الأعراب حلّ الخراب

- ابن خلدون -

الأعراب اشد كفرا ونفاقا . . . هكذا وصفهم الله جلّ وعلا في كتابه العزيز لأنهم ما ان يتمكنوا حتى يعيثوا في الارض فسادا فيحاربون اذا حاربوا بكل شيء ويتخذون من الغدر شعارا لهم ومنهجا فلا محضور في دساتيرهم وكل شيء عندهم مباح . يرفعون رايات واعلام متعددة الألوان مختلفة بشعاراتها مبنى متفقة معنى ويدّعون بأنهم يقاتلون ذوي الرايات السوداء دفاعا عن الامة والبلد والمدن وما يحاربون في حقيقة الامر الا دفاعا عن مصالحهم وجيوبهم وسوء خلقهم لذاك يحاربون بالغذاء وبالدواء ، وبالماء والهواء لو استطاعوا .

ينسون انفسهم ويركبهم الكبر والخيلاء فيظنون انهم صامدون ومقاتلون ومدافعون عن الارض والعرض وما هم في حقيقة امرهم الا بيادق شطرنج تحركهم جهات لئيمة من خارج الحدود تغريهم بـ (الشيغل) و(التومان) و (الدولار) فيجردون سيوفهم على اهلهم ليقتلوا ويمثّلوا ويعيثوا فسادا في الارض . فهم ما ان ملكوا وتصدروا ممالك وامارات حتى انقلبوا على من اعانهم وصد عنهم غارات المغيرين لاختلاف في الرأي اذا اختلفوا معه فيسقطوه ويمزقوه كما فعلوا بالعراق ومصروما يفعلون في

الشـام وليبيـا واليمـن حفاظـا على عروشـهم المهترئـة وكروشـهم المليئة بالسحت الحرام .

يسخّرون انفسـهم ادلاء للعـدو ايـا كـان هـذا العـدو طمعـا بالمال والعقـار فهـم مـن تـآمر على مكـة مـن قبـل وتقـدموا جيـش ابرهـة الحبشي حين قصدها باغيا هدمها ، وهـم من ناصر فارس والـروم وانضـووا تحـت رايـاتهم في المنـاذرة والحيـرة وذي قـار وبعمالتهم اسقطوا دولة الحجاز وشريفها ونجد وامارتها وسخّروا انفسـهم خـدما للانجليـز والامريكـان فتنازلـوا عـن فلسـطين وجابهوا اخوانهم في العقيدة والمحافظين على اراضي العرب لحين استولى عليها الأعراب تحت رايات اعـدائهم بعـد ان نخـروا دولـة الخلافـة من داخلها ليسلموا الارض التي كـانت تحت حمايتها الى الصهاينـة والـصليبيين والـصفويين ، والاعـراب انفسـهم وراياتهم المرقعـة الهجينـة كانـوا مـن الاوائل في وقوفهم ضد الثورة حين تـوهج نورهـا واعملـوا معاولهـم في هدمهـا فقتلـوا المنتميـن والمتضـامنين معهـا واحرقـوا ديارهـم وهجـروا عوائلهـم بـدعوى التعاون مع الارهاب وهم من قطع الكهرباء عن مدن اخرى حين تصـوروا انهـم ملكـوا مـدنا وقـرى مـا حماهـا مـن سـيل الرايـات السـوداء الا انهـا كانـت في حصـة سـادة الاعـراب مـن صـليبيين وصفويين زرعوهم لسوء خلقهم في هذه المدن التي اعملوا فيها الخراب مذ تسلطوا على ابنائها المتحضرين فساموهم العذاب والذلة وزرعوا بينهم الشقاق وهم من تعامل بالربا معلنين حربهم

على الله فسرقوا واغتصبوا ونهبوا ليثبتوا للناس انهم الاشد كفرا ونفاقا .

يتقلبون بين الماركسية والقومية والوطنية وهم من جميعها براء اذ ما هم الا عبيد شهواتهم وملذاتهم وطموحاتهم غير المشروعة وخدما لمن يدفع لهم لذلك شك رسول الله (ص) في ايمانهم فقال في اعرابي من اسلافهم مر به وسأله عن اركان الدين وحين علمه الفرائض والنوافل قال قولته مقسما بأنه لن يعمل بغير الفرائض فعقّب عليه رسول الله (ص) بـ (افلح لو صدق) وهو يدري انه لن يصدق ولن يفلح .

الاعراب اشد كفرا ونفاقا وابعد عن الانسانية وقد تجلى ذلك في انضمامهم الى معسكرالعدو الذي حاربه المتحضرون من ابناء المدن لثمان سنين دفاعا عن الارض قبل ان يسلمها الاعراب الى اعدائها فيوقعون بها وبساكنيها بمساعدة من هؤلاء الذين ارتضوا لأنفسهم ان يكونوا عبيدا لذاك العدو يستقوون به على ابناء جلدتهم ويستنجدون به لتخريب مدنهم وسبي ابنائهم مرتضين لأنفسهم لعب ادوار الخدم الاذلاء فيحاصرون المدن نكاية بمحتليها ويمنعون الخروج منها ويقطعون عنها ما لم يقطعه سادتهم واولياء نعمتهم في واشنطن وطهران مذكرين اهل البلد بأنهم الاجدر ان لا يتقنوا الا الخسة والعمالة والانقياد لمصالحهم ومصداق ذلك ما فغله الاعراب ملوكا وأمراء ببلاد العرب منذ فجر التاريخ وما يفعله اليوم احفادهم من اصحاب

الرايات بأبناء مدنهم نكاية براية مغايرة رفعت في اماكن ما رغم شاغليها وبقوة ودفع واتلاف وتقاسم ادوار معهم ومع سادتهم من صهاينة وصليبيين وصفويين ...

كنت انادي أيا منهم بـ اخي

وامد الضلع له جسرا

لكن اخي هذا

يكسر ضلعي

يصنع سيفا منه ويغرسه في قلبي

الآن عرفت حقيقته

الآن وقد قطّع اطرافي العليا

وقطّع اطرافي السفلى

ودعاني

جزء من انسان

ما زال هنالك في ساحتنا

من يطلب مني

ان ادعوه اخي

لكن ...هيهات

من كنت اسميه اخي

لدمي خان . . .

(٨)

جمعة بلا تمجيد وتكبير .. كمائدة

بلا خبز وملح

- طلال السليم -

جمعة اخرى يا سلستا ... جمعة اخرى يتيمة ما ادمنا حزنها ووجعها من قبل وما قدرنا على المسح على رأسها او مواساتها والتصدق عليها بكلمة طيبة بعد ان رفع اسم صاحبها من مساجدنا وصار التبرك باسمه شبهة وبدعة نلام عليها ونحاسب ونعاقب .

وقعنا بين اوباش وشذاذ آفاق من اعراب لم يؤمنوا وموتورين ملوثة عقولهم بخبث الصفويين وتكفيريين استكثروا علينا ذكر النبي والصلاة عليه باسم التوحيد وكأننا ما كنا قبل موحدين ولا اقمنا صلاة او تعاملنا قبل اطلالتهم علينا بسراويلهم السوداء بشريعة ولا خلق او دين .

يتيمة يا جمعنا في هذا الزمن الرديء غدوت مذ تناوشتك رايات سوداء حرمت عليك اقامة الصلاة في مساجدنا فأغلقتها او احرقتها واقتلعت اسسها وبين أخريات انتزعت منك صوت القرآن فما عاد يصدح في جوامعنا وبين رايات غريبة همجية اخرست اجهزة الصوت فيك كي لا يعلو صوت آذان فيك الا اذا اتبّع بتسبيح وتعظيم لمن لا يرقبون في المسلمين الا ولا ذمة .

كانت الجمعة عيدا لنا نهيء النفس فيها للتقرب الى الله باقامتها منظفين قلوبنا واجسادنا وملابسنا من درن الدنيا متعطرين متزينين بما يتيسر من عطر وجديد ونظيف لها ، تحدو بنا اليها قراءات وتكبير وتمجيد وترتيل يميزها عن سواها من الايام حتى حل الاعراب مدننا بمسميات مختلفات ليحولوا بيننا وبين هذا العيد ويجعلوا من (جمعنا) يوما لا يميزه عن سواه من الايام الا قعودنا في بيوتنا كسالى ثكالى نبكي بصمت يتم اعيادنا وآلاما نخشى البوح بها حذرا من دفع ثمن هذا البوح موتا او جلدا او اعتقالا واهون الخيارات صعب ومر كمرارة ايامك يا سلستا مذ وطأت اسفلت شوارعك همرات الصليبيين وغطت جدرانها جداريات الصفويين وصورا لعمائم ولحى تنام على دولارات مسروقة وقلوب محروقة وخزائن فارغة لدولة وشعب صارا رهينة بأيادي سراق وسماسرة ولوطيين يتمترسون خلف عمائم وسراويل ورايات سوداء وايام اشد سوادا عليك يا سلستا من سواد صار سمة لشوارعك المزدهاة وميادينك المبهرجة الانيقة .

كانت سلستا ترقب الجمعة لتتعبد وتتزاور وتمرح وتفرح وتؤدي واجبات دين ودنيا وغدت ترقبها لزيارة قبور اولادها والندب على اجداثهم التي ملأت كل شبر فيها ماذا سيقول الشيخ محمود في هذه الجمع اليتيمة وبماذا يفلسف رديف هذا الهم الموغل في كل مياسم سلستا وعن اي شيء ظل مخفيا سيتسائل

حوران وماذا سيبصر وبم يتنبأ وقد نزعوا عن سيلستا واخواتها كل ما يشدها الى ماضيها وبناة حضارتها ؟

جمعة يتيمة ثالثة تطل علينا وبينها وبين الأولى سالت دماء وطويت صحائف واغلقت مساجد وعلقت رؤوس على اعمدة الكهرباء والقيت جثث في مياه الصرف الصحي وحوصرت مدن وقطع عن اخرى الماء والكهرباء وحرّم على اطفال اخريات الغذاء والدواء تحت شعارات التحرير والمقاومة وفي ظلال رايات سود نعت لنا مدننا وجمعنا وشوارعنا ومساجدنا في مدينتنا واخوات لها في الشمال والوسط وبعض مدن الجنوب و(لا غالب الا الله) الذي به نستعين على من لم تعد لنا القدرة على الوقوف بأوجههم بعد ان تقاسمنا الصليبيون والصفويين واحالونا لقبائل ومجاميع متناحرة لا رابط بينها يشد ولا جمعة تقام في مساجدها لتلمهم وتغسل بتراتيل من الذكر الحكيم ما في قلوب البعض من غل على البعض .

جمعة وستتلوها جمع . . واوجاع يعقبها وجع . . وكل من نستجير به من ظلم سواه يطبق علينا بجنونه وجموحه وشذوذه ليحرقنا بناره التي استجرنا بها من رمضاء سواه وبئس المجار منه وبئس المستجار .

(٩)

لا تبك من أودى الظلام بنوره
بل فابك من أغراه بالغدر الظلام
- طلال السليم -

لم يكن الشيخ محمود قد اتم حلقة الذكرالتي اقامها لجمع من مريديه احتفالا بانحسارالرايات السود عن بعض المدن المجاورة وتوقفهم عند حدودها حين داهمه ثلة من الاعراب يتقدمهم رجل ضخم الجثة متجهم الوجه يحمل في طيات جسده الذي غدا ساحة لصراع مرير بين الكهولة التي لا يريد مغادرتها والشيخوخة المصرة على دخول هذا الجسد السائر الى الفناء علامات الإصرار على البقاء محاولا التغلب على علل تتآكله متكئا على عكازة انيقة حصل عليها من موقوفات المال الحرام الذي يسبح في نهره او مما تقدمه جمعيات خيرية لفقراء هم احوج اليها منه ، مظهرا لمن يراه الصبر والجلد عكس ما يعتمل داخله ويبدو على نظراته من هلع وترقب لنهاية لن تكون احسن من نهايات متعجرفين سار على خطاهم وقد تكون اسوأ منها بكثير .

كان هذا المتصدر للمشهد المتقلب بين الإثنية والماركسية وبين الاسلام والالحاد حسب ما تقتضيه مصالحه وتشبثه بالمسؤولية التي يريد ان يكون فيها رأسا ووجها سلطويا حاجزا

لأحد كراسي السلطة له بغض النظر عن طريقة الوصول الى هذا الكرسي حتى وان الجأه هذا الهوس بالمناصب الى ان يحالف الشيطان وقد فعلها وحالف شياطين طهران وارتضى لنفسه ان يكون ذيلا لعملائهم في سلستا على ان يظل مصدر قرار وتزعم لمجاميع خائبة تقف على حافات سيوف مدن آيلة الى السقوط فهو لا يهمه لو يسقط الكون وتجرف البراكين مدينته واهلها ما دامت لا تهز قوائم الكرسي الذي ناله بتزوير الشهادات التي ابعدته عنه مرة وثبتته عليه اخرى مقابل قبوله لنفسه ان يكون آلة يسيّرها سادته من عبيد وعملاء لأعداء عملوا على خراب البلد ونقض كل الافكار التقدمية التي كان ينادي بها (فهد) المتصدر للمشهد والمتقدم على سواه المريض بحب العلو حتى ولو كان كما يقولون على خازوق .

قطعت ثلة الاعراب التي يتقدمها فهد على الشيخ محمود تهليله وتسبيحه وغطت الروائح النتنة التي تفرزها اجساد اعرابه الذين تقف بينهم وبين النظافة سدود عداء ازلي على روائح المسك والبخور التي كانت تتصاعد من (تكية) الشيخ محمود ومن طيات ثياب مريديه واجسادهم الغارقة في اجواء روحانية وهم يرددون معه المدائح والاناشيد الدينية مصحوبة بنقر متسارع حينا متباطيء احيانا على ثلاثة دفوف يمسك الشيخ محمود بأكثرها اناقة في حين يمسك أثنان من مريديه بالآخرين ولا يسمع لها صوتا الا لماما وبضربات مجتزأة وخجولة لا

تفي بما يراد لها عكس الدف الذي يلاعبه الشيخ محمود بأنامله ليعلو صوته على سواه بل حتى على اصوات المريدين والمنشدين في بعض نقراته ليخبر المصغين بأن ضربات الشيخ محمود ما كانت من فراغ والا ما سمع للدف صوتا اذ ان الفراغ لا يتمخض الا عن فراغ ودف الشيخ محمود ممتليء بالروح كصاحبه تماما لذاك كان يخترق ارواح سامعيه قبل آذانهم ودون استئذان وهذا ما جعل صداه الأخاذ ينتقل عبر موجات اثيرية تسحر سامعيها وتطوف فيهم بأجواء سماوية بعيدة استطاع فهد وشلة اعرابه قطعها وايقافها بطلبه الغريب الذي القاه على مسامع الشيخ محمود وبصيغة امر واجب التنفيذ حين داهم مجلسه بغتة :-

ـ نريد منك يا شيخ محمود اصدار فتوى بتكفير اصحاب الرايات ...

ـ لقد كثرت الرايات وتعددت يا ولدي وكثرت الشعارات المرفوعة عليها بكثر حامليها ، فعن اي منها تتحدث؟؟!

ـ انت تدري جيدا عم اتحدث .. السوداء .. السوداء فقط ، دون سواها .

ـ السوداء التي تحمل شعار (يا حسين) او ثارات الحسين ؟؟

ـ لا لا .. بل عن الأخرى التي تحمل شعار (لا اله الا الله)

ـ وهل يعقل ذلك ؟ انكفّر من يقول لا اله الا الله ونتسامح مع من يستعين بغيره ! كيف لي ان افكر بهذا الذي تأمرني بتنفيذه ؟؟

ـ انا لا آمرك يا شيخ .. ولكني اطلب واتشفع ، وما الضير في ان نتشفع او يتشفع من تعني بالحسين وهو ابن بنت رسول الله ؟؟!

ـ عليه افضل الصلاة والسلام يا ولدي ... انا لا استطيع ان اقول عن مسلم يشهد بالوحدانية انه كافر .. قد يكون منحرفا .. زنديقا .. مخطئا ولكنه ليس بكافر ، حتى ولا اقولها عن حملة رايات الثأر للحسين خوفا على نفسي ان ابوء بالكفر مصداقا لقول رسولنا الكريم ﷺ (ما قال مسلم لمسلم يا كافر الا باء احدهما بها) او كما قال

ـ وهل تشك جنابك بكفر هؤلاء القتلة وقطاع الطرق الاوغاد ؟؟!

ـ اجل .. كما اشك باسلام الكثيرين ممن يدعون الاسلام ولا يعملون به ، لذلك لا امتلك الجرأة على تلبية ما تطلب او تأمر به .. الله يحاسب يا ولدي !! ... تذكر ذلك ...

ـ حتى وان كنت انت ثمن ذلك ؟؟ قد تكون احد ضحاياهم .. من يدري!!

ـ حينها سأموت مظلوما واطمع ان اعد شهيدا .. ثم .. الا تدري ان (لكل اجل كتاب) كما يقول جلّ وعلا؟؟

ـ كنت اشك في تعاونك معهم وكان البعض يخالفني الرأي اما الآن فقد وضحت الصورة وما اشك به صار يقينا

ـ سامحك الله .. كيف لي التعاون مع من يسعى لقتلي وانت ادرى بما يصلني من تهديدات كما يدري سواك !! الأمر ما عاد سرا . انهم استحلوا دمي غير اني اعجز من ان اكفر رجلا يؤدي الشهادتين حتى ولو كان من الأعراب الذين قالوا (آمنا ولما يدخل الايمان في قلوبهم) . اعمالهم تنبّيء عما يقولون ...

ـ وضّح .. ماذا تعني ؟؟ ومن هم الأعراب ؟؟ اهم من يتخذون من السواتر سكنا للدفاع عنكم ايها الخاملون النائمون ؟؟ ام العروبيين الذين حملوا همّ الدفاع عن تجارتكم وتكياتكم من عقود ولم تحاولوا التقرب منهم يوما او تذكروهم بخير ؟!

ـ حاشا لله ..انا لا اتهم احدا ولكني استشهد بكلام الله ورسوله واعتذر عن تنفيذ ما تريد وترغب

ـ خلص..خلص... (ثم ملتفتا الى احد مرافقيه) .. خذ هذه الدفوف منهم ، ستفيدنا في حفل دحر الغزاة التكفيريين .. (ومعاودا الحديث مع الشيخ محمود) .. اصرف ببغاواتك هؤلاء والزم البيت من الآن ولا تغادره الا بأذني . اغلق (قصخونك) هذا وانتظر اهل الرايات السوداء لينقذوك مما ينتظرك .

القى فهد تعليماته وخرج مع من رافقه بعد ان فرق مريدي الشيخ محمود واغلق تكيته ووضعه تحت الإقامة الجبرية . وبعد بضعة ايام وجدت جثة الشيخ محمود ملقاة على جانب الطريق المحاذي لبيته وقد اخترقت جسده سبع رصاصات

استقرت واحدة في فمه وتوزعت الاخريات بين صدره ورقبته وكتفه .

شاع خبر مقتل الشيخ وتجمع الناس قرب مستشفى المدينة التي نقلت اليها جثته وامتلأت الشوارع بالراجلين شيوخا وشبابا وصغار عمر . حتى الاطفال من الذين لم يبلغوا الحلم اوجعهم ما حدث للشيخ المتسامح فتجمهروا على الطريق المؤدي الى المستشفى مع الآخرين واعينهم تفيض دمعا مستذكرين بساطة الفقيد ومداعباته لهم في غدوه ورواحه بين البيت والمسجد ناقمين على قاتليه الذين قال فيهم واحد من الصغار(مكيفين ..عود يعني همّه منتصرين . والله لو يموتون ما يشوفون الجنة) وعقّب الثاني (على اساس الجنة خان جغان . سليمه طمتهم .. ما يروحون على اللي خلوهم ما ينامون الليل اذا همّه سباع !) ناقمين على من تسبب بقتله اولا وبتأخير تشييعه الذي أبى السيد فهد ان يتم قبل حضوره اذ سمع بالخبر متأخرا كما يقال ويريد ان يتقدم موكب تشييعه والصلاة عليه والتبرك بملامسة جسده الطاهر قبل ان يوارى التراب .

وصل فهد اخيرا وتقدم المشيعين يحيط به جمع من الاشد كفرا مضافا اليهم عدد من الأنتهازيين والمنافقين متظاهرين بالأسى والاسف الذي كسر صمته فهد حين وصول الجثمان الى المقبرة بكلمة أبّن فيها الشيخ محمود قبل دسه في التراب محملا التكفيريين اثم قتله ونزع بركته عن المدينة المبتلاة طالبا من

الحضور السير على خطاه والتخلق بخلقه متوعدا المتصيدين بالمياه العكرة ممن بدأ يشير بطرف خفي الى زبانيته وتورطهم وزيارته الاخيرة للشيخ وما جرى فيها بالويل والثبور وبأن مصيرهم سيكون مصير الفقيد بل اقسى واشد .

سرى خبر اغتيال الشيخ محمود مسرى النار في الهشيم ووقع على سلمى وقوع الصاعقة فبكته بحرقة ما كان يظن بها ان تحمل كل هذا الحزن والأسى ، اما رديف فاسترجع وعاد بذاكرته الى سلستا التي كانت تفقد في كل ساعة احد اعلامها على ذات الايادي التي اودت بالشهيد وان اختلفت في توجهاتها ، ولم يستطع حوران المشاركة في التشييع لهول الصدمة اولا ولأنه حرم على نفسه الوصول الى مقبرة المدينة منذ سنين عديدة لأسباب لا احد يعرفها ، لكنه اقام من مجلسه الدائم مجلس عزاء لم يرد فيه على مواساة احد من المواسين بأي كلمة ولم يفه الا بعبارة كان يكررها بين آونة واخرى وهو يفرك يديه الواحدة بالثانية مرددا (شوكت الله ياخذك يا حوران وترتاح وتريح !!) وكأنه هو من تسبب بكل ما وقع ويقع ، عكس رديف الذي حافظ على رباطة جأشه وقال ساخرا حين بلغه مقتل الشيخ الذي هز اركان المدينة ((عاتي)) . كل شيء في نظر رديف ورؤياه للاحداث كان (عاديا) . مقتل الجميع على ايادي الاعراب .. (عادي) . خراب المدن تحت ظلال الرايات السوداء بمختلف انتماءاتها .. (عادي) . الشيء الوحيد الذي لم يكن عاديا لدى رديف ان ينكفيء الناس

على انفسهم ويغلقون ادمغتهم عن التفكير بما يحدث ، وان يستسلموا لهؤلاء واولئك هو الشيء غير العادي . رديف يؤمن ان الذي يجب ان يكون يتمثل بمواصلة الحياة ومواصلة الحب ومواصلة الكتابة وتدوين الأحداث حتى لا تمر مرور سحابة صيف ، وحتى يأخذ كل ذي حق حقه حين تصحو الدنيا وتشرق الشمس ، فالشمس لا بد لها من الشروق وسيلستا لا بد لها من النهوض من كبوتها وان طالت.

كم مرة كبت بل وسقطت سلستا ؟؟.. كم مرة نهضت سلستا ؟؟ . لقد تعودت العثرات غير ان عثرتها هذه المرة موجعة فقدت الكثير فيها كما فقدت الكثيرين ايضا . فقدت نفسها وفقدت ناهدة وفقدت اصدقاء الصبا ومرح الشباب وفقدت فيما فقدته رديف نفسه الذي هجرها هاربا بدمه ليتجرع نبأ موت الشيخ محمود مغدورا حتى وان قال حين بلغه خبر مقتله اول الأمر ساخرا ((عاتي)) .

لم يهتدى الى قاتل الشيخ محمود رغم ان الجميع يعرفونه ، كل من في المدينة يعرف الجاني حتى صغارها الذين قال احدهم أثناء تشييع جنازته ساخرا من الحضور الرسمي حينها (شكو عليهم .. يقتلون من هون ويشيعون من هون . عبالهم الناس غشمة) . الجميع يعرف القاتل والجميع يخشون البوح باسمه لذلك بكاه رديف في خلوته وبمعزل عن الآخرين . بكاه بحرقة ما تعودها من قبل وكأنه المغدور الاول . بكى فيه سلستا ومدينته

التي اسلمت نفسها للغرباء فما عاد له غير الدمع الخيط الوحيد الذي صار يربطه بالوطن المضيّع والمحاصر بالذين يحاصرون عيونهم من متعبين وخائفين تنوء كواهلهم بالعطاء المر الذي سيفضي بهم وبه الى الجنون وترهات العمر والارق المقيت الملازم اياه . سأبكي فيك يا شيخ محمود ايها المجهول والمعلوم قتلى مدينتي وما جاورها وسلستا وكل ارض داهمها الطاعون والسرطان بأورامه الخبيثة التي لا تستأصل الا وقد استؤصلت منها النظارة والنقاء . سأبكي بك سلستا وكل شوارعها وميادينها وازقتها الملوثة جدرانها بالشعارات التي تمتلكني رغبة في التبول عليها والقائها في دورات المياه العامة . سأبكي بك كل ميادين الوطن الممزق من شماله لجنوبه ومن شرقه لغربه ، ما يستظل منه بالرايات السوداء او الحمراء والخضراء والصفراء المشمسة بأشعة باهتة لا تمثل الا خيوط الهزائم والخيبات ودروبها وسأبكي بك كل الاموات الذين ما يزالون يجرون اقدامهم نحو افران الخبز الخاوية من الطحين .. وسأبكي فيك حوران وتساؤلاته المحيرة وناهدة وشقاوتها وسلمى ونظارة خديها الذابلين ونفسي . نفسي التي ما عدت أرى فيها رغم كل التفاؤل الذي ابديه الا خيال الموت مرسوما عليه شعار الموت الذي اوجزه بـ (اذا لم يكن لنا بد من الموت غرقا فلنمت في البحار الصاخبة لا في المياه الآسنة) متمنين لو نجد سواق ضحلة نموت على حواشيها لا بحارا نحلم فيها .

ايها الموت .. سلام عليك وانت تحمل بين ساعديك صاحبي وحامل هم الكثيرين الشيخ محمود الذي ما اتفقت معه يوما على مبدأ يجمعنا ولا خاصمني في طريق نسلكه كل على هواه قاصدين هدفا واحدا مات هو دونه واواصل السير متحديا كل الاعراب والميليشياويين والتكفيريين والمتشدقين بالحرية والوطنية من كذابين ومتاجرين وثورجية ما فهموا من الثورة حتى لفظ اسمها عساني اعيد بمعونة سواي من غير المتحالفين مع اعدائنا التأريخيين لمدينتي وجهها الحقيقي الأصيل ولسلستا ماضيها الذي قرأنا عنه وما رأينا في حاضرنا ما يدلنا على ذلك الماضي .

(١٠)

ومن مزاياهم أنهم يبيعون الدين
بالدينار... ويميلون ما مال الهوى
- طلال السليم -

حدثنا الراوي فقال :ـ كانت السوق ممتلئا على غير طبيعته مـذ صـارت محلاتـه ومخازنـه بكافـة انواعهـا ومحتوياتهـا هـدفا للاعـراب او حمـاة الارض والعـرض كمـا يحلـو لهـم ان يسـموا انفسهم . كيف اكتض السوق بكل من فيه ؟ لا احد يجيب او يتجرأ على الاجابة كان فيه الصالحون والطالحون ، المسلحون و(السلاحسزچية) ، البناة وهم ندرة والهدامون ، المتدينون والأفاقون والخارجون عن القانون المغيب في حقيقته والمتسترون بالدين والبائعون والمرابون يحوم حول الجميع شبح الموت رغم تظاهر البعض بالتحدي له . البعض يجادل البعض ويشاكس الواحد الثاني وجميعهم (يحسبون انهم يحسنون صنعا) وما فيهم من يحسن غير الأذعان وانتظار المجهول الذي تجمعوا لأجله عندما ترجل فهد من السيارة ذات الدفع الرباعي التي شقت ضمن موكب فنطازي صفوف المزدحمين ليصرح امام مصور لقناة فضائية غير مسموعة ولا مرئية الا من اصحابها ومن فهد والراقصين على حباله بأن رجاله على السواتر ونساؤه في الـمعامل والـمدارس ولا معامل ولا مدارس في حقيقة الأمر

ولكنها بؤر جاهزة للتصوير والتسويق الى فضائيته البائسة لا غير . يظن فهد بنفسه مونتغمري عسكريا وتشرشل سياسيا وكان من قبل اقل من عقدين وقبل سقوط سلستا يسوّق نفسه على انه من تلاميذ كاسترو وشبيهه واحيانا خروشوف وقد يتجاوزهما فكرا وتخطيطا وسياسة في حين انه لم يبلغ في يوم ما خره . شوف ولا جنديا لكاسترو ولا من هم دونهما فانا اعرفه اكثر من سواي وما هو الا صورة لـ جعفر وعباس وبرهان ، آلة ضمن آلات يحركه التسلط وحب التملك بالدولار والعقار ، لا يعرف حلالا من حرام ولا يميز ابيض عن اسود الا بالقدر الذي يمليه عليه الامريكان من قبل والايرانيين الذين ارتوى في آخر ايامه من دلائهم النجسة وبئس الورد وبئس الوارد والمورود .

يعيدني الراوي فيما يرويه الى سلستا قبل عقود حينما كان جعفر يهتف فينا متباهيا (وطني ليس حقيبة ... وانا لست مسافر) ويتلاعب فيها احيانا فتغدو (وطني ليس جدار ... وانا لست حجر) ونحن في طريقنا آنذاك الى مدرسة للبنات قاصدين فيها التوفيق بين جعفر وخطيبته النافرة منه لأنها عكسنا اكتشفت حقيقته مبكرا وقبلنا بكثير ففسخت خطوبتها والقت به غير آسفة الى حافة الجنون والنفاق والانتهازية التي قادته بما يمتلك من لباقة وطلاقة لسان لمقابلة الطاغي الذي انتهك عذرية سلستا ليغدو فيما بعد اهم رجالاته ويشارك ازلامه في تجارتهم ويتجرأ ويسرقهم ثم يهرب من سلستا واهلها ليعود اليها بعد

سقوطها مناظلا ووطنيا و(قرقوزا) متعدد الأوجه يحيي الارهاب ويعده اشراقة الامل في التحرير ثم ينقلب الى عشائري وميليشياوي يبيع اسماء المنتمين لتلك (الاشراقة) التي كان يتغنى بها لعبيد امريكا وايران ويقبض ثمنها كرسيا في برلمان لا يستحي نوابه في احاديثهم عن الشعب الذي يمثلوه وما يمثلون الا مصالحهم ومنافعهم وانفسهم المريضة الملونة ببراز الفاتحين من شرقيين وغربيين ، وفهد صورة لجعفر غير انه يتصور ان لا سواه من يصد عن المدينة التي وقعت في براثن الاغراب ظلال الرايات الداعشية التي لم يكن مسموحا لها حتى الحين الذي كان فيه الدخول الى المدينة اذ ارتأت مخططات المتحالفين ابدالها برايات اخرى رفرفت داخلها حاملة لشعارات طائفية اتخذت منها مدخلا لأذلال المدينة واهلها من اتباع جيش يزيد وتحويلها الى نقطة احتدام وقتل بين المجاميع المسلحة باسم التحرير وميليشيات الدولة باسم القانون ولا تحرير ولا قانون ولكن ضحايا وقتلى وسرقات ونهب لممتلكات مدينة خلت من سفيه لعاقلها و(ذل من لا سفيه له) يتصدى للجراد الزاحف من الداخل والخارج من اعراب واعاجم ومتصيدين للفرص ممن حملتهم الريح الصفراء التي هبت على المدينة اشباه فهد وزبانيته من الأشد نفاقا واجدر ان لا يحترموا الا رغباتهم وطموحاتهم غير المشروعة على حساب احترامهم لأنفسهم وايديهم الملطخة بدماء الشيخ محمود والطبيب جبران والعامل والبائع والشاري ممن

شــاء حظــه العــاثر ان يقــع بأيــديهم ويكــون طريقــا لتحقيــق طموحــاتهم العاهــرة و(خــاواتهم) المكشــوفــة باعتبــارهم حمــاة لســواتر مــا ســترت عــوراتهم وعيــوبهم ولا حالــت دون انحرافــاتهم وانحرافات سادتهم الظانون هم الآخرون به ظن السوء .

ستزهر البلاد بالمطر قال رديف وهو يصغي للراوي الذي ردد بالــم وحرقــة ويــأس لا قــدرة لــه علــى تجاوزهــا (ادينــك اذ ارى قسمات وجهك في مراياتي) التي صادرتها رغما عني وانا محدق بك (بعين تضحك وعين تبكي) ضائع بين مصدق ومكذب في زمن لم يبق فيـه مـن سلعـة رائجـة سـوى الكـذب الـذي غـدا مـذ سـقطت سلســتا لحــين دخــول الرايــات الســوداء والمجاميــع المســلحة والميليشيــات الطائفيــة غــذاء الجميــع وماءهــم وهواءهــم وكهربــاءهم التــي صــارت رؤيتهــا حلــم مــن احــلام ليلــة صــيف شيكسبيرية .

(١١)

اليـوم يا إسـلام   صلوا عالنبي
تحققت الاحلام   صلوا عالنبي
بغداد صارت شـام   صلوا عالنبي
والخيـر ليجـدام   صلوا عالنبي

- المنلوجست : عزيز علي -

مر شـهر ولـم يظهـر حـوران ليتلقى الإجابة على اسـئلته التي القاهـا ومضى . لـم يـره احـد ولـم يمـر كعادتـه بصخرته المركونـة على كتـف الـوادي منتظـرة اطلالتـه هي الاخـرى . لـم يلـق عليهـا تحيتـه او يحاورهـا ويبثهـا همومـه وشـكواه بصمته الـذي لا يفهمـه سـواها على مـا يـرى حـوران ، ولـم اكلـف نفسـي .يقـول رديـف . بالمرور عليه او قرب بيته لأتأكد من وجوده او عدمه حتى التقيت صدفة بقريب لـه اخبرني حين سـألت عنه بأنه طريح الفراش منذ ما يزيد على اسبوعين او منذ حادث استشهاد الشيخ محمود على ايـدي مجهـولين قـال قريبـه عنـه واضـاف انـه امتنـع عـن اسـتقبال زواره واغلق باب بيته بوجه الجميع ولم يره احد .

يحيرنـي هـذا الحـوران .. ادخلني بأسـئلتـه عـن هـل .. وهـل .. وهـل .. بغياهـب من القلـق والحيرة فأخـذت قـدماي اليـه وباتجـاه بيته رغم ان قريبه نبهني قائلا :-

ـ لا تتعب نفسك ، انه لن يستقبلك بل لن يفتح الباب لك .
لقد فعل هذا مع كل من دق باب بيته قاصدا الأطمئنان عليه او الأستفسار عن حاله وقد يسمعك اذا صادف ان التقى بك ما لا يرضيك

ـ لا .. لن يفعلها . انا لست كسواي . ان له امانة عندي ولا بد من ايصالها اليه وتسليمها بيديه

قلت لقريبه وانا ادفع اقدامي باتجاه مسكنه غير انه رفض استقبالي انا الآخرعلى غير ما اتوقع .

قالت لي زوجته التي تلقتني هاشة حين فاجأها وجودي امام باب بيتهم الذي فتحته لطارقه الذي هو انا وبعد ان غابت لدقائق داخل البيت :-

ـ هو يسلم عليك ويقول سأراه فيما بعد ..(اذا ظلينه طيبين)

ـ بلغيه اذن تحياتي وقولي له ان لا اجابة ترضيه عندي لأسئلته .. وليبق على ماهوعليه أفضل .

غادرت باب بيته وتركت زوجته مسمرة على الباب مأخوذة ودهشة بما يجري ... ما الذي يجمع هذا الأديب المتأدب بحوران النصف مجنون؟؟ وما هذه الأسئلة التي لم يجد اجابة لها ؟؟ وما الذي يريد لحوران ان يبقى عليه ؟؟ (يعني اكو سخام اكثر من هذا السخام ؟؟) . كلهم مجانين .. بل كلنا مجانين . هذا حوران آخر كنت احسبه عاقلا ولو لم يكن على شاكلته ما اهتم به وانا التي احسب حين اصادفه الف حساب ! طز به .. طز

بحوران .. طز بي انا ايضا والف طز ببلد ما عدنا نعرف عقلائه من مجانينه . بلدنا مجنون هو الاخر مذ صار يفتح ابوابه لكل قادم وضائع وابن حرام (واي .. واي . وين الهافي عدنه لافي) . لم اسمعها تقول ذلك لكني قرأت ما يدور برأسها من نظراتها المصوبة اتجاهي باستخفاف يشير لي بعدم الرجوع ثانية . ما ارتحت لهذه المرأة ولا احببتها ودعوت الله ان يخلص حوران منها او يخلصها منه فهما على ما احدس متحدان جبرا متشابهان مختلفان واقعا كما كل الرايات التي يرفعها المدّعون في سماء هذا البلد ويسخمها السواد بسخامه رغم اختلاف الشعارات المرفوعة عليها والتي لا احد يعمل بها حقيقة ، كل ما كتب للدعاية والأيهام على شاكلة : يا الله .. ويا محمد .. ويا حسين .. ويا قائم .. ويا قاعد .. ويا فاتح ويا مفتوح وكلنا بحمد الله بمختلف أدياننا ومذاهبنا وقومياتنا صرنا مفتوحين في بلد مفتوح هو الآخر لكل من لا (بيت يلفيه) ، مغلق دون اهله وعليهم بين مهجر وقتيل او سجين وجائع يفتش وسط انهار ذهب البلد عن كسرة خبز فلا يجدها الا في اكوام القمامة او على ابواب السراق واللصوص والقتلة والمأجورين الذين (كحوشوا) على كل شيء ولم يبقوا لأهل البلد الحقيقي شيئا غير الكذب والأدعاء والتزوير التي غدا بها انقانا مزورا للحقيقة لا باحثا عنها كصاحبي في سلستا ايام كان في الدنيا بعض خير وقبل ان يسلمها الطاغي الذي اغتصبها (للنياچة) الجدد فيما بعد حين كان هذا

الصاحب الساخر بكل مقدس عند سواه يستغل موسم عاشوراء للربح المادي فيتزيا بزي رجل دين ويرتدي عمامة وقفطانا ويتوجه كما حدثني الى كربلاء قبل ان تدنسها حثالات المجوس واحفاد ابي لؤلؤة والعلقمي ليعطي دروسا ومحاضرات في مواكب العزاء المقامة للسذج من العامة يردد فيها ما يحفظ ويبتدع من قصص وخرافات تذم الحسين وهي تبغي مدحه والتذكير بمصابه وبطولات جنده (الكراندايزريه) متخفيا بزيه الديني الهجين الذي يبدو فيه وكما يصف نفسه :

اذا لبس العمامة صار قردا

وخنزيرا اذا نزع العمامة

يقول عن نفسه انه وفي احدى محاضراته اراد ان ينحو منحى جديدا في حديثه عن عظمة الخالق الذي خلق الحسين وصب فيه كل قدراته التي لا يطالها مخلوق سواه وان من دلائل اعجازه جلّ وعلا ان خلق عضوين متشابهين مختلفين في النساء وكن يشكلن الغالبية من الحضور هما الفم والفرج فهما شقان يؤديان اغراضا متشابهة فهذا يأكل وهذا يأكل .. وان كانت فتحة الفم عرضية وفتحة الآخر طولية فليس في هذا كبير اختلاف ، ان الاختلاف الاكبر بينهما يكمن في توفر الأسنان داخل الفم وخلو الفرج منها . هل منكم ومنكن من يريني الحكمة في هذا الاختلاف ؟؟ ولما لم يجيبني أياُ من الحضور تطوعت بالاجابة قائلا :- الحكمة بينة واضحة لا تحتاج الى التفكير العميق ، فلو

زوّد الفرج بالاسنان لعض على اعضاء الذكور وقطعها وقطع بذلك نسل الحسين ومحبيه وانصاره . يقول .. فضج الرجال ضاحكين وتظاهرت بعض الحاضرات بالحياء فرمتني واحدة منهن بعبارة نابية وسمعت من الاخرى كلمة فاحشة بينما رشقتني الثالثة بـ (نزول جاك ..هاي منين جبتهه؟) بعد ان ضمت راحتيها لبعضهما و(غمتني) بهما ، في حين انتشى الشباب والفتيان لهذا الحديث ووجدوا فيه فسحة للتحرش والتعليقات الماجنة التي احالت محاضرتي الى باب من ابواب البغاء ومجلسي مجلس بغاء بامتياز اضطرني الى انهاء محاضرتي وتحديد موعد لدرس عاشوري جديد في اليوم التالي بعد ان لملمت من المتبرعين (الغشمة والغشيمات) ما قسمه الله ومجلس الحسين لي من الرزق الذي ملأت به جيوب قفطاني الذي خلعته بعد خروجهم وحشوته في كيس ازبال اسود وعدت الى بغداد وانا كما انا .. ضحكت واضحكت ولم ادخل احباب الحسين الجنة ولم اخرج سواهم من النار لكني ... فقاطعته قائلا : دع لكني ولكنك وهيا بنا الى البار لنشرب نخب الغشمة والغشيمات والفتحتين المتشابهتين المختلفتين فقال : لا .. بس هذي ما اسويهه . ادخن ؟ نعم . اشرب ؟ لا . (تقبل اجي وياك وعليك الشرب والدفع وعليّ المزمزة ؟؟) ووافقت يقول رديف وذهبنا وشربت حتى سكرت و(مزمز) ابو زهراء حتى انتفخ وتجشأ .

شــربت نخــب البلهــاء و(مزمــز) نخــب المخــدوعين وكــل عاشـوراء وانت يا سلستا بألف هـم وحزن وسـواد شـاء النفعيـون وامثال ابي زهراء ان يتخذوا منه بابا للتكسب والتعهر والسرقة والضحك على الذقون .

الرايـات السـوداء تضـاعفت في المدينــة وقصـف الطيـران المتحـالف المعـادي تضاعـف هـو الآخـر . جـرّب كل مـن لـم يـدخل حربـا في حياتـه ولـم يحمـل سـلاحا سـلاحه فينـا باسـم الحـرب على الأرهاب فأطلت علينا طائرات كندية واسبانية .. اوربية وامريكية .. آسيوية وافريقية .. والقت جميعها علينا السلام حمما وكل على طريقتها ورددنا على سلامها بجثث جديدة وأوصال مقطعة وبرك دماء قـان ورايات سـوداء تتضاعف لتضاعـف المـوت فينـا وبيننـا ونحـن قـانعون نجهد انفسـنا في اجابـة لأسـئلة حـوران ، او ايجـاد صـدمات تـنعش سـلمى ، و(كـلاوات) نقنـع بهـا القـرين والظـل والقريب والبعيد وبأن الأعراب ليسوا بالأشد كفرا ولا نفاقا ، وان سـرايا الحـرب و عصائـب الباطـل و صحـوات الغـدر حلفـاء أخـلاء حريصـون علينـا وان امـريكا وايـران تحـاولان جاهدتيـن اعانتنـا والوقـوف معنـا ضـد قاتلينـا ، وان ذوي الرايـات غيـر مدفوعيـن منهمـا ولا مسـخرين لـذبحنا بأمرهمـا واننـا سـننتصر وسـنعود بعـد التهجير لـديارنا معـززين مكـرمين ، وسـتعود سلسـتا زاهـرة مفتحـة كمـا عـادت مـن قبـل مدينـة المـدائن في فلسـطين ، وكمـا اسـتقرت حلـب وغنـت بنغـازي ورقصـت صنعـاء واستقـامت وصفـت مصـر

وأنجبت السودان سودانا جديدا وانّا الى الخير سائرون وستغدو الجامعة العربية في القريب العاجل المنظور اكبر منظمة دولية بل ستضاهي الأمم المتحدة في سعتها اذ ستغدو العشرين دولة فيها مائة دولة ويزيد ...

(والخير ليجدام

صلوا عالنبي

بغداد صارت شام

صلوا عالنبي)

وكل قصف وموت ونحن باقون ومنتصرون ومتحدّون لمن يريد ان يلم شملنا او نبكي رايات احبائنا بكل شعاراتها وكذبها وضحكها على الذقون وتزييف الحقائق .

(١٢)

دائما . .

أسمع في الليل خطى مقتربة

- محمود درويش -

النهار يلفظ انفاسه الأخيرة ساحبا بقايا اشعة شمسه الكليلة الى ما وراء الأفق . لقد اعيته قطع الغيوم المتناثرة في سمائه منذ الفجر مشكلة لوحات فنية على هيئات مختلفة لاشجار وحيوانات وصور اناس مكدودين ومسطر العمال كما هو معتاد خال في مثل هذه الساعة الا من بضع متسولين يتخذون من لافتة سوداء كبيرة متكأ لهم يجأرون بالدعاء لرجال السراويل السود حين مرور اي منهم بهم . لقد وفروهم عكس الآخرين ممن ساقوهم الى جهة ليست بالبعيدة ليواصلوا هدم جدران دار القضاء الذي غدا وجوده خطرا محدقا بالغزاة الجدد كما يبدو فاتخذوه مرتعا لمعاولهم . كل العمال المتسولين يعملون على هدمه ونقل انقاضه الى الوادي المقفر مجبرين دون اجور معلومة ، حسبهم من الاجور ما يحصلون عليه من بعض مخلفاته من بقايا قد تنفعهم في حياتهم المضطربة كالمواسير والحنفيات وانابيب مياه واسلاك وقطع غيار كهربائية واشياء اخرى مما يتخلف بعد الهدم اضافة الى (لفات الفلافل) والباذنجان المقلي ورخيص الطعام الذي يوفرها ارباب العمل

لهم ليسدون به رمقهم مع بعض البطيخ المتوفر في مثل هذه الأوقات في السوق المجاور لدار القضاء المنكود الحظ والذي غدا بقاؤه هاجس عذاب للغزاة مذ أتموا تهديم القلعة ونقل انقاضها لذات الوادي الذي سال بمخلفات وانقاض الأبنية المهدمة بدلا من المياه .

صار كثيرا على هذه المدينة ان يشخص فيها ما يشير الى العدل والقانون او القوة . الهدف هي الفوضى . فوضى في كل شيء .. فوضى غير خلاقة على عكس ما نادى به من سبقهم من المحتلين . يقول (مود) انه جاء الى بغداد محررا لا فاتحا حين دخلها بجنوده من السيخ والهنود وشعوب المستعمرات قبل ما يقارب القرن من دخول الغزاة لسلستا وما حل بها منذ عقد مضى وكرروا ما قاله مود ويقوله اليوم ذوي السراويل السود ، ذات الكلام الذي تفوّه به من سبقهم وذات العبارات التي يخالف مضمونها معانيها . كلهم محتلون وافّاقون واذرع وايادي لأطماع تبغي وتعمل على تهديم البلد الذي يدخلونه (محررين لا فاتحين) وهدر طاقاته وتشويه معالمه ورؤاه الروحية ومعتقداته ونهب ثرواته وخيره . تعددت الوجوه وتشابهت الأعمال وطبيبنا يقول ان الضغط النفسي هوما يسبب الشد في الوضع الصحي لزوجتك يا رديف . ليس فيها ما يقلق . فقط الراحة .. هذا كل ما مطلوب منها . قد تتطور حالتها من القلق الى الكآبة او التوحد وبالإمكان تدارك الحالة قبل استفحالها اذا توفرت للمريضة

اجواء مريحة تنأى بها عن القلق . ان كل ما فيها وفينا مقلق ومضجر ومحطم للأعصاب يا طبيبنا الواعي ولا مجال لتوفير اجواء مريحة لمريضتنا ولا لسواها ، ومن اين نصير الى مثل هذه الأجواء .. وكيف ؟ سأؤمن بتشخيصك الذي اعرفه ؟ سالجأ الى طريقتي في علاجها . سأجرب الصدمات ....أجل ... سأجرب الصدمات في علاج سلمى مما تعانيه آخذا بالنصيحة النواسية (داوني بالتي كانت هي الداء) .. وعملا بها اشرت الى سائق سيارة الأجرة التي تقلنا ان يعرّج بنا الى دار القضاء لنطل على التجمع الاسود وراياته وضجيج الهادمين لكل معلم حضاري عسى ان يشكل ما تراه سلمى صدمة تعيد لها ما اختل من وضعها الصحي او النفسي كما يقول الطبيب ... قد تكون للصدمة المباشرة ارتدادات تجفف ما في نفس سلمى ونفسي ايضا من بقع الالم التي خلفتها هذه المجاميع في انفسنا مذ اجتاحت مدينتنا والهلع الذي بثته فيها .

كان المتجمهرون حول موقع العمل والمتفرجون عليه اكثر من العاملين فيه الذين تخمل حركاتهم وتنشط تبعا لظهور اي ظل لراية في الموقع او اختفائه ، ارتجت سيارة الاجرة حين باغتتها مطبات جديدة في الشارع فانزلق النقاب عن وجه سلمى التي لم تحسن احكام ربطه اذ لم يمض طويل وقت على ارتدائه ، ولم تتعود بعد عليه وتحسن تثبيته فالتفت اليها قائلا : (نزلي الكبنگ .. لا تبلينه) منبها اياها لتنشغل باعادة تثبيته مبتسمة على ما

فيها من الم وترتد ذاكرتي الى عقود مضت كان فيها رديف - يقول - انه قد حشر نفسه داخل باص (ايكاروس) الابيض المزدحم بالراكبين رغم طوله الممتد كقاطرة بعربتين مربوطتين من وسطهما بما يشبه النابض الحلزوني من البلاستك السميك التابع لمؤسسة نقل حكومي عندما توقف في المحطة التي كان ينتظره فيها على رصيف شارع من شوارع سلستا كغيره من الطلبة والعمال وصغار الموظفين .

الجو حار وتموز في سلستا لا يطاق ورديف يشبك يديه على حافظة اوراق وكتاب شعر يضمها الى صدره بحرص مبالغ فيه والباص ينوء بحمله حين وجد له بصعوبة مكانا في منتصف الباص امام عمود يربط بين عربتيه بجانب ارملة اربعينية لا يخلو وجهها من مسحة جمال لم يلوثه المكياج تمسك بالعمود ذاته الذي امسك به رديف ليستقويا على ارتجاج الباص وحركته عندما غزته بنظرات شهوانية غض الطرف عنها احتراما وقد يكون جهلا بلغة العيون او خوفا من ردة فعل لها اذا اساء تقدير ما تبغي نظراتها المرسلة اليه فيحصل له ما لا تحمد عقباه مما قد يحرض عليه تدخل (اهل الغيرة) وهم كثيرون في مثل هذه المواقف لو كان ظنه في غير محله او ظنت به ظن السوء غير ان الاربعينية السمراء تبدي غير ما يخافه وتتعمد الاحتكاك به متذرعة بحركة الباص وارتجاجاته . انها تقترب منه اكثر وتدفع بيدها نحو يده وتلمسها بل تتمادى اكثرفتمسك بها

وحين تتراجع يده ترميه بنظرة معاتبة وذات مغزى يشغل نفسه عنها بتوقف الباص في المحطة التالية ليزيد زحامه زحاما بصعود جمع من المنتظرين وتحت ضغط زحامهم وتدافعهم تتراجع الاربعينية ويتشبث رديف بموقعه فيحس مع حركة الباص بجسد يضغط قفاه وحين يلتفت لخلفه يراها قد التصقت به فيسلم امره لله ويستسلم لحرارة انفاسها على رقبته ولليونة جسدها وضغط نهديها على ظهره . يتحرك فيه ما لم يطق كبحه فينفر من بين فخذيه ما يرفع سرواله عن مكانه ، يحاول ستره بمحفظته وكتبه مرتدا قليلا الى الخلف ليزداد بها ويزيدها اشتعالا . ذراعها الذي يمسك بعمود الباص يلامس رقبته وابطها يحتضن كتفه ونهداها وجسدها يضغطان عليه بحرارة يزيدها شبقا حركة الباص البطيئة المتأرجحة واحتكاكها الدائم الذي غدا مقصودا بجسده . جريئة هذه الارملة السمراء وحذرة ، انها تتصرف بجرأة يحسدها عليها ، يدها الطليقة تستقر على فخذه مستغلة الزحام والتصاق الركاب ببعضهم . تمسده وتمتد الى ما تحت محفظته . تقف مثل عليا ما زال رديف يحملها سدا دون وصولها الى ما ترمي وحين يتوقف الباص في محطة لاحقة ينسل منه فارا وهو يردد (تأملوا كيف فعل الظبي بالاسد) . ما كان رديف اسدا وان كانت ظبية اربعينية او دون ذلك بقليل حدس من ثيابها السوداء القصيرة بنصف كم مع خلو وجهها وشفتيها من المكياج انها حديثة عهد بالترمل . ينطلق رديف جنوبا متما

بقيـة طريقـه سـيرا على قدميـه او كمـا يحلـو لـه ان يقـول راكبـا (رينـو ١١) وحين تستقبله مقهاه الاثيرة يكون قـد مـارس الأسـتمناء دون قصـد فابتـل سرواله واشـعل بـه شـهـوة كـان عليها ان تخمـد بعد زوال اسباب هياجها فيتمنى لو يدخل الى احد بيوت الـدعارة في سلسـتا ، البيوت التي يعرف مواقعها وغير بعيدة عنه وان لـم يجرب الـدخول الى اي منها ويفـرغ مـا تبقى في جعبتـه مـن طاقـة وشبق فـاض ولا يريـد ان يتوقـف غير ان احلامه بـالثورة والتغيير تحـول دونـه وذلـك الفعـل الـمشين . كـان آنـذاك مـا يـزال يعـيش اتـون الثـورة الأريتيريـة قبـل ان يسرقها (آفـوقي) ويدنـدن باناشـيد الثـورة الفلسطينيـة التي لـم تغـدو بعـد دولـة مؤسـسـات ونهـب وفسـاد مالي وفكـري . ليس بينه وبين الموت ما يخافـه وهـو ممتلىء بالمثـل والـمقولات الـتي (قشـمره) فيهـا مـن تخلى عنهـا فيمـا بعـد وانحاز الى جانب القادمين من وراء الحدود .

اسـماء كثيرة بـدأت تـزحم ذاكرتـه . جعفـر وعبـاس وياسـين وفـاضل وزيـاد واحمـد وطـه وسـواهم وجميعهـا اليـوم غـدت ممـن يتصدى لأصحاب الرايات السود او ينظّر لها لا حبا بسلسـتا كـما كـانوا يدّعـون ولكـن هياما بالمناصب وزيـادة لأرصدتهم في البنـوك الـوطنيـة داخـل البلـد والاجنبيـة خارجـه مـع رغبـة التسـيد على الآخــرين وطموحــات بالقيــادة حــال دون ظهورهــا حينهــا رجــل سلسـتا الاول الـذي اتخـذ منهـا عشـيقة ومنهـم أدلاء وسماسـرة لـه او حاسـدين اياه مظهـرين لـه غير مـا كـانوا يبطنـون ممـا ظهـر بعـد

زوال سلطانه كما ان لنشوة الظهور على شاشات الفضائيات التي ملأت البلد اثرا فيما صاروا اليه .

لم يكونوا مبدأيين ابدا والا كيف تغيرهؤلاء وسواهم من (المناضلين) و(الثورچية) ؟؟ كيف ابدلوا مبادئهم كما اعتادوا ان يبدلوا احذيتهم واربطة العنق في عواصم الغرب التي اتخذوا منها ملاذا قبل سقوط سلستا ؟..وعلام نحار بظهور رجال السراويل واتساع رقعة انتشار الرايات السود ومعظم من كنا نرسم لهم صورا بهية غدو من المنظرين لها ولسواها ممن هم اسوأ منها ؟

كل الدروب تفضي الى روما الا دربك يا سلستا ، انه لا يفضي الا الى الموت او الجحيم .

ينتشله سائق السيارة من ذاكرته على حين غفلة منه :-

- ها حجي وين وصلت ؟؟؟

- وصلت لجهنم .. وين صار البيت الخاطر الله ؟!

- وصلنا حجي وصلنا .. گول يا الله ..

وحين يترجل امام بيته بعد عبوره الجسر المنهك الجاثي على كتفي الوادي الممحل تفاجؤه سلمى بسؤال غريب حال دخولهم البيت :

- شبيك رديف؟ اشو تسولف ويّه روحك !! والله فضحتنا گدام الرجال . عبالي بس آني مخبله !!.صدگ شبيك رديف ؟؟ شجاك؟؟

ويرسم على شفتيه ابتسامة صفراء مفتعلة ولا يجيب الا بـ :

ـ دقيقة وحدة .. هسه اگلچ ..

ثـم يـدلـف الى غرفتـه مباشـرة ليشـعل سـيجارة حـرّم عليـه تدخينها خارج بيته ثم يتناول من احد رفوف مكتبته بعد صفنة لم تطل كتابا ويقرأ : -

دائما . . .

اسمع في الليل خطى مقتربة (١)

دائما . . .

اسمع للموت خطى مقتربة

ويلقي بـه جانبـا حتى دون ان يكلـف نفسـه جهـد اعادتـه الى مكانه ويسحب مجموعة اخرى ويقرأ :

لماذا؟

لماذا ؟ لماذا ؟

لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا ؟

لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا ؟

لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا ؟

لماذا ؟ لماذا ؟

لماذا ؟

لماذا سقطت وكنت السماء تظلل وجه الضحية ؟

لماذا وقفت تحدق في الواقفين امام الليالي ؟

لقد كنت في جسدي صرخة وقضية (٢)

وتخنقه عبرة لا يستطيع اخفاءها فتدمع عيناه ويصمت ثم يسحب نفسا عميقا من سيجارته ويرمي بجسده المنهك على كرسي قريب ويسرح في المجهول . . .

(١٣)

كيف لا تذبل وجنتاي

ويمتقع وجهي

ويملأ الحزن قلبي

وتتبدل هيئتي

وأهيم على وجهي في الصحاري

وقد أدرك الموت صاحبي . . .

وأخي الصغير أنكيدو

ـ ملحمة كلكامش ـ

لك الله يا وطني الغارق في الدماء . قرأتك اليوم في نشرات الأخبار ورأيتك على كل الفضائيات جثثا واشلاءا وانهار دموع . ما كنت أخشاه عليك حدث لك . وما قد كان كائن اليوم مرة أخرى وسيكون غدا . ها انت ترزح تحت مظلات وغيوم سوداء لا تمطرغير الدم والدموع . كنت أخاف عليك منك ومن اللاجين زيفا باسمك فوقع ما كنت أخافه وتشظينا بين أعلام ورايات وحدّها السخام وفرقتها المطامع والشعارات فتجاذبوك بينهم وأوقعوك وكل ممتشق سكينه ليقتص ويقص منك . كنت ملاذنا فصرت تبحث عن ملاذ . وكنت الهنا الذي صنعناه بأيدينا وعبدناه وبعناه قبل أن يعضنا الجوع وشربنا بثمنه خمرا وجهلا وغباءا وغياب وعي عاد بنا شعوبا وقبائل وقوميات وأديان

وطوائف ، وكنا شعبا وحسب . اقتسمناك على موائد الأغراب وبخناجرهم أدميناك وقطّعناك حصصا وأقاليم وولايات . لا نستحقك نحن يا وطني لأننا لم نمت دفاعا عنك ولا حبا بك ولكننا تساقطنا دفاعا عن مصالحنا لا مصالحك واستجابة لنداءات مبغضيك لا محبيك . أسلمناك لآكليك وليتك أكلتنا أنت قبل أن تؤكل ونؤكل معك . سلام عليك وانت تعاني سكرات الموت وسلام علينا نحن الضعفاء المقهورون المتمسكون بك والمأكولون معك من مبغضيك وحاسديك أشقاءا وأعداء .

من حقنا يا وطني أن نبكيك ونبكي أنفسنا . من حقنا أن نندب حضنا ، وأن نشق الجيوب ونلطم الخدود ونحن نرى جثث قتلانا معفرة بالتراب وملقاة في مكبات الأزبال وبرك المياه الآسنة ، ومحظوظ من ترك من قتلانا على أرصفة الشوارع كصاحبنا الذي أقف الساعة على جثته أو سواه ممن تهيأت لجثته نومة في ثلاجات الطب العدلي . ليس كل المقتولين والمغدورين من الأنقياء وطيبي القلوب قطعا . بل فيهم الخبيث والـ (على الله) ، وفيهم النقي وأبيض السريرة وفيهم أسودها ، لكنهم قتلانا وقتلاك . أبناؤنا وأبناؤك . كيف للدم أن يصبح ماءا يراق بهذه البساطة واللاابالية ؟ نسائل أنفسنا ونحن نحدق في بركه ولا نجرأ على تجفيفه وندبه . هل غدونا وحوشا كاسرة أم على قلوبنا أقفالها فغدونا نتسلى بالقتل ونلعب لعبة الموت على الهوية والانتماء ، وعلى الطائفة والعشيرة ناسين في أوج هذه اللعبة

المجنونـة أننـا أبنـاؤك وبنـاة مجـدك فيمـا كان ومضى !! وهـل في الأرض تشـريع سـماوي أو أرضي يبيح ما يحدث ويجد لـه تبريـرا أو مخرجـا ؟ لـيس كل المقتـولين أبريـاء .. نعـم ، لكنهم جمـيعهم مـن ابنائـك يـا وطني . مـن بنـاء اللـه علـى الأرض . ألبنـاء الـذي لعـن خالقـه وبانيـه هادمـه أيـا كـان وتحـت أي مسـمّى ، غيـر أننـا ويـا لخيبتنـا اسـتمرأنا لعبـة المـوت والقتـل باسمـه فملأنـا شـوارعنا بجثثنا وأشلائنا ، فهناك جثة الشيخ محمود وهنا جثث الطبيب نزار والمهندس ليث والقانوني عدنان والتعليمي وهاب والأكاديمي والـجامعي، والـعامل والـفلاح ، والـمتعلم والأمي . الـصغير والـكبير وآلـة الـموت لا تميـز بيـن الأعمار أو الأجناس . فيهم من كان ينظر الى مسـتقبل يـراه مشـرقا ومـا خمّـن أن مسـتقبله جثـة في الميـاه الراكـدة أو الجاريـة ، الآسنـة أو النقيـة . وفيهـم الأطفـال الحالمـون والشبـاب الـواعـدون والشيـوخ المتبتلـون ، وفيهم النسـاء مـن حـرة وفـاجرة ، وكلهـم وكل دمائهم ضمن مسـؤوليتنا وفي رقابنـا . باليـد التي قتلنـاك يـا وطني قتلنـاهم . فيـا كل مـن كنـت أظنهم أهـلي .. تيقنوا أن الأصلاح والسيادة والتسيد لن يكون بالقتل ، كما ليس بالقتل تستطيع طائفة أو قومية اجتثاث أخرى يأبى الله اجتثاثها ، فعلام كل هذا الجنون ؟؟!

من حقنـا أن نبكي الـوطن الـذي وحـدنا ومزقنـاه ، وأصـدقـاء تحولـوا لأعـداء وأعـداء صـاروا أصـدقـاء كمـا من حقنـا أن نتجاهـل وننسـى دمـاءا سـالت قبـل قـرون ونتجاوزهـا ونوقـف النـدب عليهـا

والتعريف بمحاسن أصحابها وأجسادنا وأرواحنا تنضح بالسوء وأن نطالب النادبين من المتخلفين وفارغي العقول الألتفات الى الحاضر ودفن الماضي ، فالدماء التي سالت آنذاك ليست بأنقى من دمائنا ، وفصائلها ليست كغير فصائل دمنا ولسنا جديرين ببكائها ونحن نسيل دم أبنائنا بأيدينا تحت رايات سوداء مشوهة تنادي يا علي ويا عمر وعلي وعمر براء من الطرفين ولو كانوا بيننا لقاتلونا ليردونا الى الطريق الصواب ، فتمعنوا يا أولي الأباب .

من حقنا أن نبكي وطنا بنيناه بالدم ومواردا اجترحناها بجهدنا وبناء شيدناه بكدحنا وعرقنا وخير وأمان أضعناه بتخلف سلوكنا مذ ارتضينا لأنفسنا أن نكون امعات وبيادق يلعب بها الكبار . رضينا لأنفسنا أن نكون صغارا فهانت علينا و(من يهن يسهل الهوان عليه) حتى تحق عليه كما حقت علينا اللعنة وصيرتنا بكائين متمرسين بالنواح ولطم الخدود وشق الجيوب على ما يحدث ولا طاقة لنا على تغييره وان لم يرضنا نحن المأخوذ على ايدينا من المغلوبين على أمرهم ...

واصل رديف نواحه وندبه وهو يقف على جثة مجهول ملقاة بجانب الجسر الذي اعتاد الوقوف عليه . كانت الجثة لشاب ثلاثيني تلوح عليه سيما الترف والنظافة رغم تمرغها بتراب الشارع الموبوء بالسواد الحالم بمكنسة تمر على وجهه وتزيح ما عليه من أقذار ومخلفات ، ويداه موثوقتان ببعضهما فاغرا فاه دهشة بما حدث له مستفهما عن سبب حدوثه كما كان رديف

مأخوذا هو الآخر بدهشة صاحب الجثة المجهولة التي عانت سلستا من أمثالها ما عانت واحتضنت شوارعها الكثيرات من شبيهاتها . بكى رديف بمرارة وذاكرته تعود به الى يوم كاد فيه ان يفقد حياته تحت عجلات السيارات وهو يجاهد في تخليص قطة سائبة صدمتها عجلة عابرة وكسرت ساقيها وتركتها ملقاة وسط الشارع تنتظر أخرى تدوسها وتساويها بأسفلته . اندفع حينها بلا وعي لتخليصها وسط ضجيج المارة ومنبهات السيارات التي أوقف حركتها وجوده المتسبب في ارباك انسياب الشارع حين داهمه شرطي المرور معنفا اياه متفهما حجته فيما بعد وهو يقول متعاطفا مع موقفه الأنساني (خايف يجي يوم يصير حالنا حال هالبزون بس ما واحد يلتفت علينه ويسوّي اللي تسوي هسّه) . لقد جاء اليوم الذي كنا نخشاه ونحاذر منه يا صاحب القلب الطيب الذي تنبأ لنا بما نعانيه . نعم .. لقد جاء وألقي كما يقولون بجثة الشيخ محمود على رصيف الشارع كما ألقيت بجثة شيخ آخر قبله تحت نخلات على شواطيء نهر جاف ولم تدوّن قضية أي منهما حتى ولا ضد مجهول ولكنها أغلقت حالها حال ما أغلق من قضايا وجنايات كثيرة لدعاة ووجهاء قوم ورجال علم وعمل ومثقفين وأكاديميين و (ناس على گد حالهم) دون حتى أن يسأل سائل عن أسباب قتلهم .

من حقنا أن نبكي ونندب ونجز شعر رؤوسنا الخاوية حزنا ووجعا على وطن هدمناه وأبناء وطن ذبحناهم بأيدينا وتحت رايات وشعارات همجية اتخذنا منها مظلات ومناهج .

من حقنا أن نموت كمدا وأن نقتل أنفسنا قبل أن يفكر أخونا وجارنا وابن شارعنا بقتلنا .

قال رديف هذا وروحه تتهيأ للصعود الى بارئها هلعا وهو يرى عصابة من شذاذ الآفاق تداهمه وتحيط به .

القت العصابة القبض عليه وأوثقت يديه خلفه وشدت على عينيه عصابة سوداء ثم أودعته صندوق سيارة كانت ترافقهم وتهمته التفكير .. والنواح وتعكير المزاج العام وتحريض الناس على الوعي .. ثم سارت به الى جهة مجهولة .

تم بعون الله القسم الأول

القســـم الثاني
النزوح
١٥/ ٣/ ٢٠١٥ – ٢/ ٥ / ٢٠١٥

(١)

من كتاب النزوح

بجوى النزوح وخيبة الآمال
سأصوغ تأريخ البلاد مراثيا
وأصبها بعقول أطفالــي

- طلال السليم -

ما عاد لنا من سبيل سوى الرحيل . . .

قالتها سلمى لجاراتها الملتفات حولها مواسيات اياها بفقدان عمد دارها الذي أختفى من قرب جثة مجهول ملقاة في الشارع كان يؤبنها عن دون معرفة بصاحبها . لقد اختلفت الأمور - قالت - ولا أحد يميز حقا من باطل . ما لنا والبقاء في مدينة لا شيء يربطنا بها الا من اختطف منّا جهارا ودون ذنب أو خطيئة يقترفها ؟ كان رحمه الله حيا أو ميتا قد أحب هذه المدينة بعمق حبه لأهلها فاتخذ منها مقاما وسكنا ومن واديها وجسره ممشى ومقهى ومنتدى ، وحرص عليها حرصه على أهل بيته فجازته بحرصه أن أسلمته لشذاذ الآفاق دون أن تنبس شفة لأي منهم ، كل ما فعلوه جزاهم الله خيرا أن اتصل بي بعضهم يعلنون جاهزيتهم لتقديم الخدمات أي خدمات لي وأطفالي . من قال لكم أني جائعة لخبزكم أو محتاجة لطعامكم ؟ انا احتاج زوجي فأتوا به أو كفّوا عن الوقوف ببابي ودعوني في حالي . أطفالي لهم رب يحميهم . لقد

كبروا على المأساة فما عادوا يبالون بمن يروح ويجيء . سأشق بأظافري جسد هذه الأرض الميتة وأستنبتها لهم لو أحسست بحاجة أي منهم لصغيرة أو كبيرة .

ـ استاذ رديف عزيز علينه .. .قالت كبيرتهن .ومحبوب كل المدينة ولا أحد من أهلها الا ويحبه ويحترمه . كلنا نحبكم يا أم سلام لكن ما بأدينا شي ، ما نقدر نسوي شي ، ما أحد يسمعنا . قالها زوجي وسواه من رجال المدينة .هؤلاء لا يتفاهمون ونخشى أن نقول أنهم لا يفهمون . ما أحد بيده شي يا أم سلام .

ـ صحيح . . انا أخرّف من قهري ، وأشرّق وأغرّب من وجعي وحرقتي . فعلا لا أحد يستطيع أن يتفوه بكلمة مع هؤلاء القادمين من كل منافي الأرض لأرضنا . . لكني أعتب . أعتب أحيانا وأطلب ما لا يقدر أحد عليه .

ـ لا عليك .. كلنا أهلك وأولادك أولادنا . إبق هنا نرجوك . لا أحد يطالبك اليوم بأيجار بيت أو سواه . سنقوم كلنا على خدمتكم . لا تضربي وأطفالك بأرض لا تعرفين اليها طريقا وما فيها لك أهل ولا أخلاء .

.لرديف أصدقاء كثر اتصلوا بي ويتصلون من سلستا ، انهم يؤكدون على ذهابي اليهم بأطفالي تلبية لرغبة رديف ووصاياه . لقد أوصاني بذلك لو حدث له ما قد حدث ، وأوصاهم وكأنما كان يعرف مصيره . وحين بلغتهم بما حصل له أصروا على استقدامي اليهم . سأذهب . ما عاد لي ما يربطني بمدينة تسير الى

هاويتها . قد نلقى أرضا خيرا من هذي الأرض ، من يدري .. وان شككت بل متيقنة اننا لن نلقى أهلا خيرا من أهلها .

الحديث يسير على هذه الوتيرة بين سلمى والأخريات ، وامرأة تخرج وأخرى تدخل وقطع أثاث تخرج من البيت ولا أثاث يدخل . سلمى تعمل على افراغ بيتها ببيع ما تستطيع بيعه ، وقد باعت القليل وتركت الكثير خلف جدران بيت ضمهم لسنين عديدة وعلى مالكه الأصلي التصرف بالمتبقي . لم يبق شيء بعده اخاف عليه قالت سوى سلام وأخويه فالأنج بهما قبل أن أهلك ويهلكون ، انج سعد هلك سعيد .قالت .مؤكدة على حسم قرار السفر منظمة الى عوائل وأسر أخرى غادرت وستغادر المدينة خلال هذه الأيام القلقة التي تمر بها مدينتهم . ملأت حقائبها بملابس وحاجات بسيطة وما تزال تفرز بعضا مما يمكن حمله وجمع نساء يحطن بها حين خرج صغيرها من الغرفة المجاورة حاملا لهاتف نقال يعود لوالده وصوته يعلومغنيا معه بـ:-

(ألا من سامع صرخة سكينه

ويگول آنه أصير الها عباس) (١)

لتجهش بالبكاء على اثر ذلك ويعلو نحيب الجارات معها وهن يرددن كل على حدة وكأنما الواحدة تعقّب على سابقتها بـ (عساها ابخت الأمريكان) و (كلها من ايران) و(لا والله العيب بينه ، بربعنه أهل العگل والعمايم . همّه البلونه . انعل ابو الخير بيهم) .. وتماسكت سلمى على ما بها من أوجاع وهي تحدثهم قائلة

: كان رديف يقول أن رؤوسنا مطلوبة للجميع ، لا فرق بين مسلم ومسيحي او شيعي وسني ولا بين امرأة ورجل أو صغير وكبير . الله المعين . لا أحد يسمع صراخنا .. ولا من مجيب أو منقذ لنا مما نعانيه سواه . وقبل ان يعلو صوت الآذان من مسجد قريب داعيا الناس لصلاة المغرب بدأت (سيارات الحسبة) لذوي الرايات تدور في الأسواق معلنة قرب حلول وقت الصلاة وعلى الجميع غلق أبواب محلاتهم والتوجه الى المسجد وكأن أصحابها لم يقرأوا عن رسولنا الكريم عليه صلاة الله قوله (جعلت الأرض لي مسجدا) وأن لا صلاة بعرفهم لمسلم الا في المسجد متفيقهون في تطبيق ما يرونه الصواب ولا صواب الا ما يرون . اهتز الباب لطرقات متتاليات ومناد تميز صوته اكثر من سواه وهو ينادي :ـ وين أم سلام فتمتد يدها لشال قريب تلف به شعر رأسها وتخرج مجيبة اياه بـ :. عونك

ـ الله يعينك ام سلام . السيارة باكر الغبشة تجيكم . بالستة الصبح توگف ابابكم . رتبي ملابسكم وعوفي كل شي . انا كفيل بالباقي . اللي ينباع توصلك فلوسهه . واللي يبقى انا اتصرف بي . على عمى عيوني طلعتكم ، لكن ... الأمر لله . ما باليد حيلة (هذا الجرا يا مرتضى) . ابو صادق صاحب السيارة خويي وخوش رجال . أمين وابن اوادم . ما راح يتخلى عنكم ولا راح انا والولد هون ننقطع عنكم .. وتحشرج صوته ودمعت عيناه وهو يقول : خلاص .. (الردته سويته) .. وأي شي تحتاجي انا سدّاد .. الجماعة

براس الشارع يدعون للصلاة (غامزا المسلحين) . انا رايح ولا تاكلين هم الفلوس . كل شي موجود واجور نقلكم واصلة . ما الچ شغل بشي . بالسته الصبح انا بالباب . الركاب الوياچ خوش ناس ، ويحرصون عليكم أكثر مني .. وأختنق باكيا وهو يهم بالمغادرة وام سلام تدعو له بالخير وتتماسك أكثر منه رغم اللوعة التي تعتصرها .

- سلملي عالحجية .. ما صار عندي مجال امر اسلّم عليها

- ما عليچ . هي تجيكم بالليل . ميسرة ان شاء الله ، والله موجود ...

قال كلمته الأخيرة وقد ترك باب البيت متجها الى سيارته . (الله موجود) . . الله موجود والعابثين يعيثون بالبلد وأهله . الله موجود .. وسماؤنا لا تمطر الا دما . الله موجود .. وكل ما حولي تغلفه الكآبة .. الله موجود .. وهو الذي جعلها تردد ما كانت تسمعه من رديف . كل ما حولي تغلفه الكآبة ، إلا ذكراك يا رديف عمري يا جرحي النازف ، يا من لم تلزم لسانك فكان أن صرت الى ما صرت اليه ، ولأين صرت يا حبيب قلبي ؟ أميت انت فأبكيك أم حي أترقب طريقك ؟ لأين صرت و ..

(العين تركَب على الشباك المجابل

گلبي معمّل ودمعي عالوجن سايل)(٢)

ولأين سنصير نحن بعدك يا انفاسي التي بدأت تخمد جراء بعدك عني وانتظاري العقيم ظهورك مرة اخرى؟؟ وهل سأنساك

وأنت تسري في دمي ؟.. بهمساتك .. بحلو حديثك بطرائفك التي لا انسى شيئا منها ، وذكّرني الساعة باحداها صديقك ابو محمد دون ان يدري وهو يغادر شارعنا متهيبا حذرا من المسلحين الداعين الى صلاة آن أوانها . على الجميع ان يصلّوا . متوضئين او غير متوضئين . علمانيين ام قوميين .(سميحي ما سميحي كود تصل) قالها مرة ساخرا من تبليغاتهم ونداءاتهم للناس بترك اعمالهم والتوجه الى المسجد . حكاها طرفة داعب بها رفاق دربه وكانوا قرب الوادي يوم رواها عن شيخ امارات نفطية اجتمع ببعض المسئولين لمناقشة مشروع انمائي حين علا صوت المؤذن فلملم عباءته وقام موعزا للمؤتمرين بالوقوف .. ياالله يا الربع .. الصلاة .. الصلاة . وقام الجميع وتخلف احد المهندسين مبررا .. انا مسيحي يا طويل العمر فرد عليه (سميحي ما سميحي كود تصل) وذهبت طرفة ومثلا يتناقلها الآخرون ببراءة وتسربت لمسامع احد العسس المارين فكانت القشة التي قصمت ظهره وظهورنا . أما عن اتهامهم اياه بأنه يعكر المزاج العام ويحرض على الوعي فلا صحة فيما ادعوا ولا دليل لهم على ذلك . انه لم يحرض أحدا ولم يقف بوجه احد . بل كان في أحايين كثيرة ينقل حين يسأل عنهم محاسنهم وايجابياتهم دون مساوئهم وسلبياتهم حتى أن أحد معارفه رد عليه عن طريق الهاتف الذي كان يكلمه من خلاله وهو يحدثه عن وضع المدينة واستقرارها وتوفر الخدمات فيها رغم هنات وصغائر وقعت داخلها (ما دام الوضع

بهالشكل أجّر لي بيت يمكم) الا أن عقول هؤلاء الوافدين من كل اصقاع الأرض تأبى أن تتسامح في أي أمر مهما صغر وتريد من أهل المدينة (السير على الطحين ما يلخبطوش) ، وحين دخلت البيت ودموعها تترقرق في مآقيها بكين جاراتها بحرقة وقالت احداهن (غلطان اللي يصاحب غريب ، بالنتيجه يرد لأهلو) واحتجت سلمى بأنها ليست غريبة بينهم وأنهم أهلها مقسمة على العودة ان عادت الأمور لمجاريها .. وهيهات أن تعود . (موت يا جحيش . قالت احداهن . ليما يجيك الربيع) . ولا ربيع في فصولنا .

بعد العشاء زارتها الحاجة أم محمد وتوسلت بها ان تتريث في موضوع سفرها وتراجع امرها فما زال في الوقت متسع للأنتظار عسى أن يظهر ابو سلام من جديد ولما فشلت في مسعاها قدمت لها كيسا قالت عنه انه (زهاب الزغار) .. خاف يجوعون بالطريق .. وكان مملوءا بعلب العصائر والنساتل وأشياء أخرى ، ثم مدت يدها لجيبها واخرجت رزمة أوراق نقدية قالت انها من ابو محمد . وبين الأخذ والرد استلت سلمى واحدة فقط حتى لا تزعلون والا أنا والله محتاطة للأمر وقد استلمت أثمان بعض ما بعته من أثاث البيت .

ـ لعد عوفي كل شي على حالو يگول ابو محمد وأجور سفركم وصلت .

ودعتها باكية داعية بالخير للجميع وأغلقت الأبواب وارتمت في فراشها جنب صغيريها اللذان أخلدا للنوم متقلبة بينهما

منتظرة ساعة الرحيل الذي لم يتبق لحلولها الا ساعات . لم تنم . وكيف ينام من ملء قلبه هما واكتظ رأسه بحكايات وأحاديث وقراءات لمجهول هي متوجهة اليه؟ وبين الغفوة واليقظة دق جرس الهاتف ليوقظها ظنا منه بنومها فنهظت وتوضأت وصلت ودعت وابتهلت ثم أيقظت طفليها وهيأت نفسها استعدادا للسفر قبل ان يطرق الباب معلنا عن وصول السيارة التي ستقلهم الى سلستا ، وحين خرجت الى الباب فوجئت بجمهرة من النساء والرجال القادمين لتوديعهم . تسابق أبناء المحلة في أيصال حقائبها الى السيارة الرابضة امام باب بيت لن تراه مرة اخرى وأخجلها تنافسهم في خدماتهم لها فأثنت على مروئتهم شاكرة أنها ليست بكثيرة معتذرة عن ما سببت لهم من أتعاب فأتاها اكثر من صوت يقول (ولا يهمك .. ولو بايدينا ما خليناها تطلع) وقال رجل تجاوز السبعين معقبا (خير الأمور تعجب أهاليها) فالتفتت اليه قائلة :- حتى أنت يا حاج ثابت ؟ لماذا تكلف نفسك بالمجيء ؟ والله لو قدرت لأتيت بالصغار اليك ليلة أمس . رفع الحاج ثابت طرف يشماغه لعينيه ماسحا به دموعا انحدرت منها وهو يقول تعالوا ولدي ساحبا طفليها اليه محتضنا ومقبلا لهما وأبى الا ان يرفعهما بيديه الى مكانهما في السيارة مؤنبا أحد الركاب .. افسحوا مجال لأم سلام فأجابه الراكب : على راسي ، اذا تحس نضايقها نترك المكان كلو .

لا يا أخا همي وطريقي .. كلكم اخوتي ولن أكون آمنة الا بمعيتكم . تبادلت القبلات مع نساء المحلة وتناوب الرجال على تحيتها عن بعد محتضنين اطفالها وعلا نشيج أحدهم فأجهش الغالبية بالبكاء الا من كان له منهم أعصاب من حديد كسلمى التي خانتها ارادتها وقوة أعصابها الساعة فانخرطت مع الآخرين بالبكاء وبطريقة لم تألفها قائلة : لم ابك لوفاة ابي كما بكيت الساعة .. ولم أبك لغياب ... فقاطعها الحاج ثابت (عيني خير . لا تگوليها . الغايب يعود .. بأذن الله يعود .. قلبي مطمئن . لازم يرجع) ولم تعقب ولم يعقب سواها بغير كلمات مواساة متفرقات من الجمع تتلخص معانيها جميعا بـ (الله كريم) وان اختلفت المفردات بين صوت وآخر واختلف النطق فمنهم من يمد يائها ومنهم من يختزلها ومنهم من يحرك شفتيه ولا يفهم منه ما يقول باستثناء ابو محمد الذي القى كلمة موجزة اقرب الى التأبين منها الى التوديع فزاد من آلام المفارقين وبكاء الباكين .

ارتقت سلمى السيارة وعن يمينها ويسارها طفليها وتذكرت جملة قالها رديف ذات يوم وهو ينفث دخان سيكارته التي لا تفارقه ويقرأ في كتاب بين يديه (بيننا وبينهم الجنائز) (٣). سألته حينها : ماذا تعني وعن من تتكلم ؟ فأجاب موجزا : قضي على رجل حسن الذكر بالأعدام فخرج الألوف في تشييع جنازته رغم الحضر والحذر على وفي خروجهم وما قد يتبعه من مسائلة امام المسئولين ومات من تسبب بالحكم عليه قبله فلم يؤبنه احد او

يخرج في تشييع جنازته الا القليل من الوصوليين فعلّق احد رفاق المتوفي مقارنا الحالتين بمقولته (بيننا وبينهم الجنائز) مدللا على حب الناس لهم رغم ضعف مكانتهم وخلو أيديهم من متاع الدنيا . نحن الآن يا رديف جنائز يودعها محبوها ومحبوك وهذا وداع جنائزنا .. أيّهة على مرارتها وألم وحرقة ودموع . ويقضي من استلوك واختطفوك من بيننا وحولونا لجنائز حية ، ينتهون لجثث وجيف تتناوشها الكلاب ويلعنها اللاعنون ولا من يواريها التراب . نعم يا كاسر ظهري .. بيننا وبينهم الجنائز .

السيارة تلتهم الطريق ودموع سلمى تبلل (بوشيتها) المفروضة عليها والصمت يخيم على الركاب بأستثناء السائق الذي يصغي لآيات من الذكر الحكيم يبثها جهاز التسجيل في سيارته ويعقب بين حين وآخر بكلمات تكاد تكون حكما مواسيا الجميع على سفر أجبروا عليه مركزا على سلمى التي كان يخاطبها بلفظة (خيّه)...

ـ خيّه ام سلام .. آني رايح جاي عالطريق ، رزقي هالشكل . وكلما اوصل سلستا أتصل بيكم .. وهيله عليكم ، شتحتاجون يصلكم . إحنا ما نعوف خوينا ، انتو اهلنا ، والدم ما يصير مي ، وأبوسلام خوش خوي ، كان ضوا ولايتنا وبحيل الله ما تنطفي . حجي ثابت يگول استاذ رديف راجع ، لازم يرجع وتشوفون . وانا اعتقد باللي يگولو حجي ثابت . رجّال طيب ومن أهل الله وما يحكي الا عن يقين . أرجو ذلك . قالت سلمى ثم ... الله كريم

الطريق طويل والنهار بدأ بنشر أضواء شمسه على الشارع الاسفلتي الأسود هو الآخر الذي يعج بالراحلين والنازحين والمرحلين وعلى جانبيه تنتشر خيم بعضها عشوائي وبعضها نصف مرتب . خيم هنا وخيم هناك وما بينهما خيمة رفض أو مقاومة . كلها خيم هزائم واحباطات و(خيمة عن خيمة بتفرق) (٤) كما يقول غسان كنفاني في (ام سعد) . رايات سوداء تجاورها وأحيانا تحاذيها رايات دولة مأخوذ على يدها ، واللغز المحيّر يقف امام الجميع ويتسائل الجميع عن سره . كيف لهذين الجارين اللدودين أن لا يصطدمان ؟ يسير الطريق بالراكبين لساعات وسط مطبات وعثرات مصطنعة وطبيعية قبل ان تتحول السيارة فيه من حصة أصحاب الرايات السوداء لحصة الدولة المخترقة من كل أطرافها والتي تتخلى فيها سلمى عن بوشيتها التي زادتها كآبة وخنقت أنفاسها لتسفر عن وجه لا تفارقه النظارة رغم شحوبه وتعبه .

رايات مختلفة الألوان بدأت تلوح مع امتداد الطريق . حواجز ومعابر وسيطرات وتدقيق وتفتيش . شعارات مختلفة وكلها تختم نصوصها باسم (حسين) وحسين بريء منها ومما بها وعليها ومن حامليها كذلك . حواجز رملية وحواجز اسمنتية تتجاوزها السيارة براكبيها لتصل بعدها الى المعبر الرئيسي الذي يقف سدا منيعا بين مدينتها التي غادرتها ومدينة اخرى يغلفها السواد وبوسترات للحى وعمائم تنبأ عن دخولهم لعالم غير

عـالمهم ونهج وفكـر غير مـا يحملـون بعضـا منـه ويهـيمن المـارقـون عليه ليشـوهوه ويسـوّقـوه على أمزجتهم وهو الآخر بريء منهم بـراءة الحسين مما يرفع باسمه .

ساحة الانتظار امام المعبر الرئيسي مكتظة بالنـازحين . منهم من مرت عليـه ايام أربعـة وخمسـة واكثر وبعضهم جـاء من يومين او يـوم وآخـرون وهـم منهم مـن وصـلوا تـوا . متى سـنجتاز هـذا الحـاجز يا تـرى ؟ سـألت نفسـها بصـوت مسـموع فأجابها السـائق . العـلم عنـد الله . حالنـا حـال النـاس . مر اليـوم الاول بطيئـا وأعقبـه الثـاني وليلـه مـدلهم بـارد وآلامهـم تـزداد وتتضـاعف ، وزوادة الصـغار مما جـادت بـه (علاگة) الحـاجـة ام محمد قـاربـت النفـاذ ولـم يظهر في الأفق ما يبشـر بخير ، وحين استفسـرت من بعـض رفـاق سـفرها عـن امكانيـة اجتيـازهم لهذا الحـاجز أجـاب احـدهم : بـس الله يدري ... (جيب ليل وخذ عتابة) .

نعـم .. جيـب ليـل وخـذ عتابـة . الليـل لا ينتهي ، حتى نهارات هـذا القفـر الـذي حشـروا فيـه غـدت ليلا وأحـزان سـلمى لا تخـف . كل من حولها وما حولها يعيش أزمتـه الا هي . انهـا تعيش أزمـات الجميـع وكأنهـا موكلـة بحمـل همـوم كل المهمـومين ، وبين تأوهـات صـغيرها الضـجرين مـن البـرد والخـوف والأنتظـار و(ربابـة) آلـة تسجيل تسمع من بعيد ، وتعليقـات المسـافرين النـازفة المـا وحرقة وتسـاؤلات الحيرة في عيون السـائق الـذي لم يمر بمثل هـذا الموقـف مـن قبـل كمـا يقـول وهـو يـرد على ركابـه بحيرة من لا يعـرف شـيئا

عما يحدث يشتعل في داخلها جحيما لا يريد ان يخمد . ويزيده اشتعالا اصرار الرائد احمد كما نقل لهم على عودتهم من حيث أتوا يؤرق الجميع .

اليوم الثالث لهم بدأ فجره ضجرا باردا مثلجا تسبح في سمائه غيوم سوداء تنذر بتجهم أيامهم لا بمطر خير حينما وصلوا قبل الظهر الى نقطة العبور مباشرة ليباغتهم صوت الرائد احمد بعد تفحصه لمستمسكاتهم الشخصية برأيه الذي نقل اليهم شفاها قبل يومين وهو يخاطبهم بلغة متشنجة ..

ـ قلنا عودوا من حيث أتيتم . غير مسموح لكم دخول سلستا عبر مدينتنا . افتهمتوا ؟.. لو آني احچي كردي ؟

ـ يا اخي . خاطبته سلمى . نحن في بلدنا ولم نأت من المريخ . رحمة بهؤلاء الصغار . بضعفنا وتعب الطريق الذي قطعناه على أعصابنا وليال قضيناها في هذه الصحراء المقفرة . انظر الينا . نحن هنا منذ ليال ثلاث . اقسم عليك بالصورة التي تثبتها على جدار معبركم وفوق الرايات التي تظللكم أن تيسر أمرنا . الناس لبعضها ونحن اهلكم .

ـ گلت ارجعوا . يعني أرجعوا . خلي يفيدوكم الدواعش . ما نريدكم . گوة ؟ هي خو مو گوة .

ـ لو اردناهم ما فارقناهم . ثم نحن لا نبغي المكوث بينكم او في مدينتكم . طموحنا المرور فقط بطريق لا سواه يوصلنا لسلستا ، ولو وجدنا غيره ما سلكناه .

ـ علميني بواجبي .. ! چا خوي آنا ما اعرف ، يا الله دليني ... ! ابتلينا بيكم احنا ؟ خو ما ابتلينا ؟ روحوا لربوعكم .. بتركيا .. بعمان . ذولاكم اهلكم . احنا ناس صفويين . ما نريدكم عمي .. بليتونا بلوة ؟!

ـ اخويه .. اروحلك فدوة . صدّگ لو بگلوبنا شي عليكم ما مرينه بيكم . بعدين .. وين نروح ؟؟ الموت حوالينه . وزلمنه انذبحت . خلينه نمر لوجه الله . بالعباس ابو فاضل عليك وبشهيد ولايتكم احلفك . ثواب الحسين خلينا نمر .. اخلص من عدنا . عليش مگابليك وما ورانا غير المغثة ؟ راح نبقى بالسيطرة ليما نموت بيها . ما عدنا غير حل .. وانت راح تتحمل مسؤوليتنا .

ــ مو سوولكم خيام ، ما تروحون الها ؟ لو تعودتوا عالقصور و(الدبل فاليوم) ؟ ارجعوا لأصلكم . انتو ناس رعيان . أنعل أبو الزمان اللي علّاكم علينا . راح ذاك الوكت . ياالله .. ارجعوا ارجعوا .. كافي ملحّه .

وتستمر المعاناة ويأخذ الجهد من سلمى كل مأخذ . كانت الوحيدة التي تجادل محتمية بأنوثتها التي لن يتجاوز الرائد احمد بتقديرها عليها . اكيد باقي عنده شي من الغيرة ، كانت تقول للسائق الذي نصحها خوفا عليها بالكف عن الجدل والتوسل لأن (ذولة ما عدهم اخلاق) ، ويتسرب لسمعها من سيارة مجاورة صوت لأحمد عزيز وهو ينعى على ربابته صائحا : (شالوا ضواها وامست ظلام الدار) ..(٥) ليتهم (شالوا ضواها) واكتفوا . انهم

رفعوا عنها كل شيء . الدار هدمت بعد ان نهب ما فيها . والظلام عم كل ما حولها الا نقطة صغيرة من الأمل ما زالت تحتمي بها .

عاد الجميع الى سيارتهم مع انسحاب الشمس نحو الغروب وتأخرت لدقائق ويديها تشد على كفي صغيريها منتحية جانبا لتنخرط في بكاء مرير دفأت من خلاله وبما نزفت من ادمع عينيها الساخنة وجنتيها المحمرتين المزرقتين خجلا وخوفا وبردا مجيبة كبير الصغيرين الذي اعترض برجولة ناهضة فيه على صغر عمره على بكائها قائلة : (وچان ابوك يگول .. ما تضيگ الا تفرج) ، فأجابها بلهجة طفل يريد أن يتخطى الى الرجولة مبكرا (لعاد ننتظر الفرج . لازم يجي ، وابويه ما يكذب) . يالله ماما اصعدي للسيارة . الدنيا صارت باردة وانت مريضه .

حوارهما القصير الموجع أيقظ رجولة ضابط صغير مر بهما مستعرضا المحجوزين في الساحة المفضية الى المعبر فانحرف باتجاههم مستفهما منهم عن ما يحول دون عبورهم وحين اصغى لهم وتفهم معاناتهم دمعت عيناه وأقسم أن لا يغادر المعبر ولا يدخل فمه سوى دخان السجائر الى ان يموت او يصطحبهم معه الى بيته ان عجز عن تيسير أمر مرورهم الليلة الذي سيفعل المستحيل فيها من اجل تحقيقه مرفقا قسمه بحركة انفعالية غير مسيطر عليها مد خلالها يده منتزعا رتبته العسكرية قائلا : والله لأدوسها بالبسطال اذا بقيتو الليلة هنا .. عفه*! ما ظلت

عدنه غيره للتالي !!. ثم غادرهم غاضبا وسيل شتائم يتدفق من فمه باتجاه مقر المعبر الذي يتمترس فيه الرائد احمد .

قالت سلمى لصغيرها وهي تسمع السائق الذي ترجل من سيارته مستفهما (شبي هذا الآخر ؟) ..

ـ يمكن اجانه الفرج .. قال السائق بعد أن نقلت له ما دار بينها وبين الضابط الصغير وكان قد لاحظ انفعالاته : يا الله .. (لو خليت قلبت) . خلي نشوف ...

ساعتان اخريتان مرتا وهم داخل سيارتهم التي تتوسط قافلة نازحين كلكل عليها الهم والبرد والوجع عندما سمع السائق الذي كان يتمشى مأزوما قرب سيارته مكبر الصوت ينادي باسم سلمى وطفليها للحضور الى مقر المعبر .

قالت : لن أذهب بمفردي .

اجابها السائق : خيّه ام سلام روحي شوفي شيردون .. قلبي مطمئن لهذا الولد . الظاهر علي ابن حلال .

قالت لن اتخلى عن رفاق سفري ، ثم لأين اذهب بمفردي ونحن مقبلون على الليل ؟

أيّد الركاب ما قالت وعقب احدهم .. صحيح وين تروح وحدها ؟ (المرة بشارب الخير) ما نخليها تطلع وحدها . لازم الله يفرجها . الله موجود . قالت . مؤكدة ما قاله رفيق السفر الستيني العمر الذي يزحف هو الآخر باتجاه سلستا مع عائلته الصغيرة

المنكوبة بكبير اولادها الذي خرج منذ اسابيع مع أصحاب الرايات ولم يعد .

الثواني ساعات والدقائق ايام ومكبر الصوت يكرر الاسم بين حين وآخر . نصف ساعة اخرى اضيفت للساعتين حين وقف المنقذ المجهول امامها وكانت قد ترجلت من سيارتها كغيرها من الركاب طالبا منها مرافقته . شكرته بأدب معتذرة بأنها لن تستطيع التخلي عن جيرانها . انهم اهلي .قالت . وانا معهم وطريقنا واحد . انا لا اعرف بسلستا ولا احد لي فيها لذلك لا استطيع دخولها بمفردي دونهم . جزاك الله خير أخويه . احنا طلعنا متعاهدين نموت سوا لو نعيش سوا . فاجاب .. بل تعيشون وتصلون بأذن الله الى مبتغاكم . كلكم ستمرون . لقد أقسمت على ذلك حتى لو كلفني قسمي وظيفتي ، ولا خير فيّ ان لم ابر بقسمي . ياالله .. وينه سايقنه .. رتب حالك وتعال وراية .. آني يم باب المقر انتظرك . قال السائق مترددا .. أخاف ... فقاطعه : لا تخاف ما راح ابعد عن عينك . واذا انت ما تشوفني آني راح اشوفك . توكل بالله .

لملم الركاب أنفسهم وحشروها داخل سيارتهم بعد ان جمع الضابط المنقذ اوراقهم ومستمسكاتهم وسبقهم الى الحاجز الرئيسي وتحركوا وسط ضجيج المسافرين او النازحين اذ لا مسافرون سواهم وصوت عجوز متهالك مخنوقا بالالم تقسم مناجية احد مسؤولي المعبر (والله لو ولدنا بمكانكم ما يسوون

بيكم اللي سويتوا بينا) فيرد عليها (چا بويّ ولدكم ليش سلموها للــدواعش وعــافوكم والله يــدري ويــن همّــه .. يجــوز ويــاهم .. شمدرينه ..) ويؤكد زميله ما يقول .. (اكيد وياهم). ويطغى صوت محرك السيارة المنسابة باتجاه الحاجز على بقية الاصوات وهي تسير متباطئة وجلة تترقب ما سيفعل لها المنقذ الذي ارسله الله لركابها والذي صدق فيما وعد به فوقف امام الحاجز مباشرة ليطل عليهم محييا مسلما اياهم المستمسكات الرسمية التي اخذها منهم فاتحا لهم الطريق للمرور ملتفتا لسلمى .. ها خيّه ما قصرنا ان شاء الله ؟ والله لو تضيفون الليلة يمنه وتتوكلون الصبح اكون كلش ممنون . ووسط كلمات الشكر والدعاء اعترافا بجميله يخاطبهم .. توكلوا .. الله وعلي وياكم .

الطريق ما زال طويلا تجهد السيارة نفسها في قضمه فتعاني . ان هظمه ليس سهلا . حفر ومطبات ومفارز تفتيش وصمت بليل طويل لا يقطعه الا صوت محرك السيارة الذي يكسر صمته وصمت الراكبين الذين استسلم بعضهم للنوم وغالب بعضهم النعاس بسجائره ، وسلمى الوحيدة تناجي نفسها مستعرضة رحلتها منذ انطلقت بهم السيارة قبل يومين مارة برايات سوداء واعلام دولة (كانت) متجاورتين يحار اللبيب في فهم جوارهما كما حارت من قبل بانضواء العسكر الى اصحاب الرايات بين مستسلم ومبايع او معارض وجد له ظلا آخر تحت راية اخرى لم تكن راية للوطن على الأطلاق . استحضرت خيال

رديف وحدثته بهذا وسواه قائلة : لو تكف لسانك فهو كما علمتنا حصانك غير انه لم يرعوي لنصح الناصحين لقناعته بأن للرجل موقف وصوت لا بد من ايصاله حتى لو كان الثمن رأسه ... وكان .

ان من الحكمة قالت له حينها ان تخفض رأسك للريح حتى تمر فعصفها اقوى منك وجثامين الشيخ محمود وسواه عبرة يجب ان تكون لك حتى وان اختلف قتلتهم وتعددت اسباب وحجج قتلهم ، وهو يرى غير ما تراه . ناشدته بأطفاله ان يتوجهوا الى سلستا ويأبى لأنها ملوثة غدت بالطائفية وهيهات له ان يعيش في ظلالها مهما جرى وتوقع ان يجري ووقع فعلا .

المخيمات التي اقيمت للنازحين على الطريق لا تذكّرها الا بأبيات شعر كان رديف يرددها متضامنا مع اهل فلسطين جرحه الاول بالم ومرارة :-

هذا لكل اللاجئين

وكل هذا لليهود (٦)

دعني يا رديف همي اقلب الصورة قليلا او اطبقها على واقع وطني الذي سرقوك من احد شوارعه المنكوبة فاقول : هذا القليل من الخيام لنا .. نحن النازحون والمهجرون .. وكل هذا الوطن الكبير بكل خيره لهم . لمن لا يستحقون ولا يستحون ولا يرعون في اهل البلد الحقيقيين الا ولا ذمة ...

نشأت سلمى مدللة بين عديد من الأشقاء والشقيقات وما جربت الضيم ولا مر على بالها لكنه داهمها وهي في سن الكهولة واحوج ما تكون للاستقرار والراحة . كيف سيعيش طفليها ويكبران وسط هذه المتاهة الموبؤة بالذل والمهانة ؟ تمنت لو أنها قد ماتت في صباها وهي في عز دلالها . وتذكرت حين وصلها خبر اختفاء رديف (بعدودة) سمعتها صغيرة من جدتها في مأتم جدها وهي تندبه منتحبة :

راح الدلال الچنت انا بيه .. راح الدلال وراح راعيه (٧)

وغالبت غصة اعترضت لهاتها وبكاء فشلت في كتمانه فعلا وسمعه السائق الذي التفت اليها قائلا : خيّه گولي ياالله . كلنا اخوتچ . والمر مر على الكل مو بس عليچ .

لم تعقّب ومسحت دموعها بطرف حجابها مستجيبة لرجاء صغيرها ..

ـ اسكتي يمّه . والله فضحتينا . عليش تبچين ؟ آني مو بعينچ ؟ آني رجال وموجود يمچ وهسه تشوفين .

ـ انا ابكيكما يا ولدي لا ابكي لنفسي . ابكي فيك انت رجولتك التي نهضت مبكرة قبل ان يقوى عودك ، وطفولة غادرتك وانت لم تتخطى العاشرة بعد . وابكي يتم **أخيك الذي لم يعي من الدنيا شيئا ، لا ابكي نفسي ولا حتى ابيك الذي سيخلد** وينصفه الاخيار من ابناء بلدك ان انصفوا احدا . أبكي بيتا لم

نتم بناؤه وانهار على ايادي العيارين والسفلة ، ومستقبلا كنت اترقبه فدخل في المحاق ودلالا (راح وراح راعيه) .

توقفت السيارة على ابواب سلستا التي لم تمر بها سلمى من قبل الا قليلا ، وهالها ما في عالمها ، وعالمها كما خبرته من رديف عالم غريب متناقض لا يؤتمن في هذه الايام الرديئة الهواء والماء والمعاش ، وحين دخلتها بعد اجتيازهم المعبر الاخير الذي يفصلها عن سواها بأقواسه المبهرجة أخذتها الاضواء التي تعوم فيها المدينة واستلتها من سكونها صور وملصقات وبوسترات كبيرة وصغيرة لعمائم ولحى كثيرة ما ميزت واحدة عن اختها فقالت : هربنا من اللحى الى اللحى لحاها الله عند الطرفين وكأننا استجرنا من الرمضاء بالنار فابتسم سائق السيارة وعقّب : ومن راية وامعتصماه لراية واحسيناه .

اعطى كل راكب معلومة لسائق السيارة عن محطة نزوله وحين سألها السائق عن وجهتها بأدب جم : خيّه ام سلام انت وياي لبيت عمامي ، اجابته شاكرة بأن عم الاولاد وصديق والدهم ينتظرنا في الحي الغربي فاوصلني اليه جزاك الله خيرا .. فأجابها : على راسي ، وكان لها ما ارادت حيث استقبلها أبوجمال فرحا عاضا على الم ينخر قلبه ويكابد في اخفائه وهو يرى نفسه باستقبال عائلة اعز صديق لديه ما استجاب لنصحه فذهب فيمن ذهب الى المجهول والقى بعبء عائلته على امرأة مكسورة الجناح وعليه .

ما كان أبوجمال متثاقلا من عائلة صاحبه لكنه موجوعا كان في ان يأتون دونه . لقد أوصاه ان يعين اهل بيته اذا حدث له ما يخشاه ، وحدث فما عليه الا ان يفي لمن كانوا يسمونه ابو الوفاء وانطوى جراء وفائه لمباديء حملها وصوت ما قدر على خنقه فخنقوه رغما عنه .

الساعة الواحدة بعد منتصف الليلة الأولى في سلستا ، وأبوجمال وزوجته يحتفلون بسلمى وطفليها ويخففون عنهم عناء رحلتهم بحلو حديث ومائدة عامرة ويمنوهم بأمان كبيرة وسط مدينة كبيرة هي الاخرى يضيع فيها الصغار .

عليك ان تكوني كبيرة ولا اراك الا كذلك . من عاش مع رديف لا يكون الا كبيرا . قالها أبوجمال وتابعت زوجته ما بدأ فقالت : فعلا ان ام سلام كبيرة وانها ستجد في بيت أخيها اخا واختا يسهران من اجلها وطفليها عن حب وود ورضى قلب لا تشوبه شائبة أو تخالطه منّة .

شكرت لهما احتفاءهما بها متمنية عليهما تهيأة فراش لطفليها المرهقين تعبا وفي الصباح رباح واحاديث كثيرة ومتشعبة لنا ستكون ، وحين تم لها ذلك والقت بجسدها المنهك على فراش فارقته منذ ليال ثلاث بين طفليها شرّقت بها الهموم وغرّبت وتظاهرت بالنوم وهيهات له ان يجيء ..كانت تفكر في غد وتردد مع نفسها ... وان غدا لناظره قريب .

(٢)

نم أيها المجنون

نريد أن ننام

نريد أن يعتقنا الظلام

. بلند الحيدري .

ـ ما تگلي الخاطر الله شوكت تنام ؟ . والله بزعنه ، ملت رواحنه . يعني (فوگ الحمى بلابوش)!!. ما يكفّي اللي بينه .. النوبه انت علينه !!. لا حول ولا قوة الا بالله . وين انهج ؟؟ وين ننطي وجوهنه ؟؟ هم خيمة فگر وهم قدري وياها؟! لطفك يا رب .

كان بدر العلوان يرسل قلقه ومعاناته تأوهات وكلمات ضجرات غير مترابطات وكأنه الآخر أصيب بلوثة خالطت عقله أو بـ (عقدة قدري) لا عقدة أوديب ولا سواه . وحقه في ذلك مشروعا فهو لم ير أهدأ من الليلة مذ حل في هذه الخيمة اللعينة قبل ما يقارب الشهر الى اليوم الذي يأبى فيه (قدري الفاهم) تركها لهدوئها ساعة أو بعض ساعة . ولا عيب في قدري الفاهم سوى جنونه ، جنونه المتقلب المزاج اذ تراه هادىء الطبع كيّس الخلق يبيع العقل على العقلاء أحيانا وتنتابه نوبات في أحايين أخرى تجعل من (قتله حلال) كما يرى بدر العلوان ، وما يراه ليس حكما نافذا ، وانما ضجر ينتابه هو الآخر ، والا فهو أكثر الناس حرصا ومداراة لقدري الفاهم ، ابن بلدته الذي كان مثال العقل

في أيامه الخوالي وحتى بعد أن انحرف بعقله ولم يفقده بالكامل اثر وفاة زوجته الأولى وقبل ان تسقط قنبلة على بيته فتقتل زوجته الثانية واثنين من أولاده وتودي بعقله الذي تتبع ولديه الآخرين ولم يجد لهما أثرا ، لذلك كان كثيرا ما يقف بباب خيمته أو على بعد أمتار منها ويلقي برمانات هوائية من يمناه باتجاه حراس المخيم الذي يضمه ملحقا اشاراته التمثيلية تلك بتقليده لأصوات الرمانات المنفلقة يعقبها بانبطاح على الأرض وتوجيهات للمجاورين اياه : (خذوا وضع انبطاح .. الدنيا اشتعلت) .

الغم لا يفارق وجهه أبدا ، ولو نزعه ما عرفه أحد حتى ولا من بقايا أهله لو تيسر له اللقاء بأحدهم . وأين يلتقي بهم وقد تشتتوا و (لمّام الجان ما عاد يلمهم) .يقول بدر العلوان .الذي يعرفه جيدا مذ كان طفلا موهوبا لحين شب وأحب وتوله وتزوج بمن لم يحب وعاش بثبات ونبات متزعزعين لسنين ليست بالطويلة كسرتها عليه وفاة زوجته وأم ولديه الكبيرين وهي في مخاضها بالثاني منهما الذي يؤرق ضياعه قدري الفاهم لأنه يتيم لم ير أمه ومن ثم وبعد أن كبر و(نشنش) انسلخ ولا أحد يدري لأين عن اخوانه ووالده الذي كان له أبا وأما حريصا عليه رغم معاناته ومرضه وأعصابه المتذبذبة الأستقرار بعد اجتياح ذوي الرايات السوداء لمدينتهم ومكوثهم فيها لحين مهاجمتهم من قبل طيران التحالف الذي أسقط احدى قنابله على بيت قدري الفاهم فأودى باثنين منهم وفقد الأخران وهام قدري يبحث عنهما

فما وجد لهما أثرا بل أضاع بقصه آثار ولديه المفقودين عقله فلم يبق له غير رحمة الله والطيبين امثال بدر العلوان الذي لن يبدل قدري الفاهم بخزائن الأرض رغم ما يبثه من ضجر بحقه أحيانا وقسوته عليه في أحايين كثيرة .

لقد شاهده مرة وقد اكتثت لحيته وهبط شاربه فغطى شفتيه يحمل علبة صفيح صغيرة يعلوها الصدأ وقد ملأها ماء وتمايل في حملها بعد أن ربط طرفيها بسلك نحاسي وعلقها بيده اليمنى مميلا بجسمه الى الجهة اليسرى ليوازن بين كتفيه الذي أمال أحدهما ثقل العلبة أو هكذا تظاهر ، والا أي ثقل تحدثه علبة سعة كيلو غرام واحد مملوءة بالماء لرجل مثل قدري الفاهم القوي البنية الذي قرأ كثيرا وحفظ الكثير وكان يردد في كل حديث يباشره : مما علمناه .. ومما ابتكرناه ، اذ هو مبتكر نظرية رفع المياه من ضفة النهر الى الأراضي المرتفعة بواسطة آلة سماها (الشيّالة) أخذها عنه البابليون واستخدموها في ري جنائنهم المعلقة كما يقول . وحين يسأل : وكيف يكون ذلك وبينك وبينهم آلاف من الاعوام ؟؟ يجيب : ما عليكم . صدقوا بالذي أقول ، فأنا لا اتحدث الا عن علم ويقين . لقد تمثلت .حسب نظريته .في عقول مفكريهم الأوائل الذين كانوا يقرأون (الممحي) لأنهم أجدادي ، والذين خمّنوا بأن حفيدا لهم يدعى قدري الفاهم سيجيء ذات يوم من ذات شهر من ذات عام بعد قرون ويصنع لنا ما يفيدنا في مشاريعنا ، وعلينا أن نأخذ ما في أفكاره

ونطبقها على واقعنا قبل أن يأتي هو ليجدها حين ظهوره ، وقد كان . وأخذوها عني وطوروها لذلك انا لا سواي من سقى الجنائن المعلقة البابلية . وحين يسخر احدهم منه ومن تخريجه للأمور يقول :

ـ والله اذا ما تسكت لأحچيلك شلون انحفر الشط . چنت آني (الكندير) اللي يخطط ويراقب والناس تنفذ . وحينها لا بد للمصغي اليه من القبول بنظرياته عن حفر الشط والجنائن والشيّالة . اما موضوع حمله لعلبة الماء متمايلا من ثقلها ، فقد رد على أحدهم حين حاججه بـ لماذا لا تعيد تصنيع (شيالتك) وتسقي بها نخلتك بدل نقل الماء اليها يوميا بهذه العلبة الصغيرة ؟؟ يجيب بأن العلبة ليست صغيرة . انتم ترونها هكذا . لو كانت صغيرة كما تتصورون لما كسرت ظهري وأمالت كتفي .. أما تراني كيف أترنح وأنا أحملها؟ أنتم لا ترون أبعد من أنوفكم . ولا تدرون ما حجم هذه العلبة لأنكم لا تحسون بمعاناتي في حملها . ان لها عمقا لا ترونه لأنكم ترون غير الذي أراه . اما عن الشيّالة وعلام لا أستخدمها فاقول لكم ايها الجهلة أن كلفة صناعتها ثقيل يحتاج لموارد وجهود وانا لا أملك الموارد ولا الجهد . لقد كبرت ، و(الله يعطي الجوز للماعنده سنون) . وما أعطاني .. خو ما أكاون الله ؟؟ هذا اولا وثانيا .. أن ما أسقيه بهذه العلبة ليست بأكثر من نخلة نبتت على غير هدى بسفح التل قرب المغارة التي أعتكف فيها لتدوين نظرياتي التي ستبهر العالم ، واغاثة للنخلة

المسكينة وخوفا من ان يعاتبني منبتها عن يباسها وانا اراها بجانبي ، وحرصا على موارد لا اريد تبديدها من اجل نخلة واحدة أتكفل باروائها على هذه الطريقة كما أني أستفيد من ذلك في ترويض جسدي بالصعود والهبوط والرواح والمجيء بين التل والنهر .(افتهمتم؟؟ بس شيفهمكم ؟ هذا شي اكبر من عقولكم ولهذا السبب ما أجاوب بعد . لا تلهوني عن أشغالي . ما واصلكم) . كان يقول هذا ويقول انتم فارغون وأنا ورائي الكثير ويمضي بعلبته مترنحا متمايلا من ثقلها ومن واجبات اخرى ينوء بها كاهله.

كان قدري الفاهم كثير الصفنات عالي الصوت اذا تحدث احيانا ، وكان يتعمد الكيد لأهله لأنهم حالوا بينه وبين سفره مع الحورية التي عشقته وهام بها قبل ان يرتكب زواجه القسري كما يسميه اذ لو تزوج بالحورية لما ماتت .كان يقول .ولما تيتم أولاده الذين فقدهم بين مقتول أو مفقود لم يتأكد موته بعد ، لأن الحورية خالدة ولا تموت كما يرى وهي تنتظره دائما وفي الأعياد خاصة لذلك تراه في كل عيد يستل من صندوق خاص به قمصلة خاكية اللون تميل الى الصفرة قريبة في هيأتها من ملابس العسكر ذات أزرار لامعة يحرص على تنظيفها بملمع خاص يحتفظ بعلبة منه في صندوقه يسميه (البوليش) وياقة عريضة جميلة ودشداشة مقلمة يرتديها صباح كل عيد حتى وان صادف العيد في يوم قائظ شديد الحرارة بعد ان يغتسل ويحلق ذقنه

ويعطره ليبدو وجهه المدوّر الاحمر المتورد كقرص من النور . ثم يدور على بيوت المحلة (ليعايد) ويهنيء اهل محلته التي تعشقه بكل من وما فيها . بأطفالها وكبارها بنسائها ورجالها الذين يغدقون عليه الهدايا في مثل هذا اليوم نقدية وعينية ويتقبلها لا عن حاجة لها كما يقول لكنه يدّخرها لمشروع كبير يخدم به مدينته حين يحين أوان انشاء هذا المشروع الذي لم يفصح يوما عن كنهه أو رفع الغطاء عنه .

ولقدري في غير هذا اليوم حضور فاعل في المسرات والأعراس والمآتم ايظا اذ هو يشكل العامل المشترك فيها جميعا والداينمو المحرك لبعضها كأعراس المحلة التي لا تتم وتكتمل بهجتها الا بحضوره لذلك يبحث عنه من يريد ان يقيم عرسا في مغارته قرب نخلته ان لم يجدوه في بيته او على شاطيء النهر ، ولن يجدوه الا في المغارة او الصحراء التي تمتد خلف التل الذي يحتضنها ، فهناك وحسب سيفاوض ويمانع ثم يستجيب لما يطلبون بعد توسلهم به أن يأتي لأحياء حفلة عرسهم . انه يعرف انه سيرافقهم لكنه يتمنع ويجادل معتذرا بأفكار يريد ترتيبها ومشاريع يدرسها ونظريات يدونها . وحين يرى ان لا بد من ذهابه معهم يتأوه قائلا :

ـ والله مشكلة .. ما اگدر اردكم . ادري اذا ما أجي ما راح يتزوج (فلان) وينطق باسم العريس الذي اسموه له . واذا أجي تتأخر مشاريع وأفكار ومصالح للناس اللي تحتاجها . حيرة والله ..

ثم يحسم أمره بعد الحاح اهل العريس ومحبيه عليه ..

ـ خلاص خلاص ... باچر الصبح آني بالساحة . الأمر لله (فلان) غالي علينه .

هذا اذا كان الحفل لعرس أما اذا كان حفل ختان لصغار من محلته فهم أبناء صديقه وعليه واجب الحضور .كان يقول . فجميع من يختن في المحلة هم أبناء أصدقاءه كما يتوجب حضوره لجميع اعراس العرسان لأنها ستنتهي الى الفشل ان تخلف عن الحضور لذلك لا بد من حضوره حتى وان كان لا يحمل ودا للعريس فالأنسانية واجبة قبل الحب والبغض (لشعيط ومعيط) كما يقول . وهو في حقيقة الأمر لا يبغض احدا ويحب الجميع لذلك يجهز (طبله) حين يعطي الموافقة ويحمله منذ الصباح بعد ان يغتسل ويرتدي ما يحرص على ان يكون نظيفا وقد يكون هدية من اهل العريس ، أي شيء الا قمصلته ودشداشته المقلمة الخاصة بالأعياد التي يمنّي نفسه فيها أن يلتقي بحوريته التي عشقته وحال أهله دون اقترانه بها فكان أن تزوج كما يريدون وفقد زوجته ومن ثم أبناءه كما يريد الله ولا راد لأرادته ، ثم يذهب الى الساحة التي تتوسط المحلة ناقرا على طبله معلنا بدأ احتفالات المحلة بنقرات متعددات يتجمع حوله على اثرها الصغار اولا ثم الأكبر فالكبار ليبدأ حفله من عصر اليوم السابق للزفة عازفا على طبله بين الراقصين

والمغنين الذين يشاركهم أحيانا اداء أغاني (الميجنا) التي يشتم ويسب فيها كل من تزوج هذا العام وهو يغني :

انعل ابوالميج لابو الميجنه

لابو ابو كل من تزوج هالسنه (١)

لأن كل عرس يغدو سببا لضياع أفكار منه كان الأولى به تدوينها وينشغل عنها بهذا الزواج فهو يستحق اللعنة التي لا يطلقها الا في ختام حفلة العرس وقبل زفاف العريس لعروسه بساعة او دون ذلك .

يقول بدر العلوان اني رأيته مرة يشحذ في سوق المدينة وحين يكذبه الآخرين يقسم على ذلك وانه كان يشحذ عملة محددة لا يزيد عليها ولا ينقص منها ولا يقبل اكثر ولا أقل . انه يطلب درهما واحدا فقط على ان يكون (براسو) ولا يرضى بـ (تخريده) ، وحين جند اهل المحلة بعض صغارها لمراقبته مذ نقل الخبر اليهم وتيقنوا من ذلك جمعوا له مبلغا من المال ومضوا اليه في مغارته لا في بيته حتى لا يحرجوه فهو على جنونه كتلة أحاسيس وعزيز نفس يحسبون لغضبه اذا غضب الف حساب . وبعد ان اختاروا الوقت والمكان المناسب تقدموا اليه بما يحملون فاستشاط غضبا وسبّهم وقال مهددا أنه سيقاطعهم ولن يحضر بعد اليوم أفراحهم و(تشوف منو يتزوج من ولدكم بعد ؟؟) . بل انه لن يحضر حتى في أتراحهم ومآتمهم .

. من قال لكم آني شحاذ ؟؟

ـ هدّأ من روعك .قال احدهم - . انت واحد منّا ولا نرضى لأنفسنا ان تحتاج الاغراب او تستعطي أحدا ونحن موجودون

ـ انا لا احتاج احدا . لا انتم ولا غيركم

ـ انا رأيتك يا قدري .قال بدر العلوان .، رأيتك بام عيني تستعطي درهما من احد الحوانيت

ـ وهل اذا طلبت درهما يعني انا شحاذ؟؟

ـ انت كررتها اكثر من مرة وفي اكثر من يوم ونحن اهلك ونكفيك ما تحتاج

ـ آآآآآآخ منكم ... تحكّون الأخرس . أمشوا ويايه ..

يقول بدر العلوان .. وتبعناه وكان يسير غاضبا بعد ان انحدر من التل باتجاه المدينة متمتما وعيناه تتقادحان شررا ونحن بأثره صامتين حتى اذا دخل احد الأزقة المعروفة لدينا وسار الى وسطه توقف امام بيت متهالك مستفزا إيانا بسؤال القاه علينا بانفعال وعصبية

ـ هذا بيت من ؟؟؟

ـ هذا بيت ريمه

ـ اذا انتم خوش اوادم وبيكم حظ أكفوا ريمه

قالها وتركنا مسمرين في مكاننا وعاد مسرعا لا يلوي على شيء ونحن مأخوذين وكأنما على رؤوسنا الطير مأخوذين بما يحصل . كيف وصل لعلمه أن (ريمه) العجوز التي تعيل ايتاما من أحفادها ولها اهل مقتدرين اخلّوا بواجبهم اتجاهها؟ سؤال

حيرنا بقدر ما ادهشنا تفقده اياها وقيامه بواجب غاب عنّا جميعا !!

سألناه بعد ان اطمأن الى اننا كفيناها كما يريد فقال :

ـ الله أعلمني ... ولم يزد على ذلك

ـ ولماذا لم تخبرنا لنتكفل بذلك بعد ان عقّها من هم مسؤولون عنها امام الله؟

ـ ما اردت التشهير بها . . ولا حتى بتخلف اهلها عن واجبهم اتجاهها . (عيب . الله ستار ويحب الستر)

ومرة سألته وقد صفا ذهنه وتجاوب معي يقول بدر العلوان

ـ ولماذا كنت تطلب درهما لا يزيد ولا ينقص؟؟

ـ مو كل الناس ميسورين .قال .. اقل من الدرهم ما يسوا الطلب ، واكثر يأثر على الناس فما اطلبو

ـ طيب ... ولماذا لا تقبل الدرهم مخردا ؟

ـ خاف تضيعها ريمه ، لو . . . وبعدين انت لحيت .. كافي .

وسكت . وكتمت عنه ما سمعته منه كما كتمنا عن أهل ريمة مساعدتنا اياها حتى لا يحرجون اقتداءا بقدري الذي علمنا على جنونه انه الأعقل منّا وفينا .

كان يثور احيانا فيحذره الجميع اذ يتحول الى رجل عدواني لا يؤمن التعرض له او الأحتكاك به او مشاكسته ويصب جام غضبه حين تنتابه نوبات العنف تلك على المعلمين لأنهم لا يحسنون تعليم الأولاد اذ لم نر متفوقا فيهم ، وعلى مدارسهم

التي حطم مرة ابواب وشبابيك اقربها اليه لأنها لم تعط لنا غير الأميين . انها لم تسعفنا من سنين بطبيب يعالجه ولا مهندسا يعينه على مشاريعه فهو وحده من صنع (الشيّالة) التي أخذها عنه البابليون واستخدموها في ري جنائنهم ، ولو وفرت هذه المدارس آخرا مثله لتجاوز المستحيل ولما اضطر الى الأعتكاف لأيام قرب أضرحة الأولياء والصالحين يستلهم منهم نقاء الروح والتعلم والتفكير في امور الدنيا والآخرة . ولقدري الفاهم قبل ان يأخذ منه الجنون هذا المأخذ احوال واحوال وميزات منها نظافة القلب فهو نقي السريرة عفيف النفس كريما لا يقبل بالضيم ولا ان يستغل أو يعاب ، وهو شديد على من ينتقص منه لذلك يطيّر (رماناته) ويرمي بها في الهواء قاصدا بها من تسبب بفقدانه لعقله وابنائه ونخلته ومغارته التي تأويه ، ولأنه انسان رغم جنونه المطبق احيانا يخاف على الآخرين من رماناته فيصيح (انبطحوا) .. وينبطح حتى يكون قدوة لهم ولا يحرجون من ذلك .

لم يكن قدري الفاهم حين طلب منه بدر العلوان ان ينام تلك الليلة يرمي برمانة ولا يسدد نحو هدف ، بل بالعكس كان ممددا على (جودلية) عتيقة بالية في ذات الخيمة مقابلا لبدر الممدد في فراشه هو الآخر حين كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل وقدري بين النوم الذي يتظاهر به آنا ولدقائق يرفع بها شخيره المفتعل ودقائق تمتد لأنصاف الساعات يجلس فيها فجأة محتبئا ضاما قدميه الى صدره محيطا اياها بساعديه

النحيلين الذين لا يحلهما عن بعضهما الا ليوقد سيكارة ترتفع الى شـفتيه المتـورمتين الزرقـاوين ولا تفارقهمـا الا بانطفائهـا ليبـدلها بثانيـة وثالثـة وهـو يتحـدث باشـياء موجعـة عـن همـوم الحاضـر والق الماضي الذي لم يمر به في الحقيقة ويقارن بينهما موغرا ما بداخل بدر العلوان من مرارة حين يعلو صوته (معتبا) :

هلي بالدار خلوني اشـالـوا؟؟

ودعوني شبه عود بوسط شالو

على حدب الظهور اليوم شالوا

وحالت دونهم كـور وسـراب (٢)

يا الحبيب يا ياب .... ويعقّب باكيا :

لـو كنت ادري لهم دربا لحقت بهم

لكنهم أدلجوا في ظلمة الليل (٣)

يا يابا . . . يا يابا . . . يا ويلي

فتسح دموع بدر العلوان متضامنة مع دموعه في حين يغفو الآخـرون الـذين أدمنـوا الحـال ومـا عـاد يثير فـيهم قـدري فضـولا لأنشغال كل بهمه الا بدر الذي ينتقل الى جانبه مهدئا من روعه ساحبا سيجارته من بين شفتيه وهو يناجيه بحرقة لا يعرفها الا من يكابدها محدثا اياه . . .

نم ايها المجنون   نم كلنا مثلك

قد غفت العيون   واشتعلوا أهلك (٤)

وأهلنا كلنا يا قدري .. ها نحن بعد عز وشموخ وأيام سعد وخير تتلاقفنا خيام النزوح مطلوبين لمن هيأ لنا الخيام ولمن هجّرنا اليها . لم يعد لنا سوى الأستسلام والتفكر في حالنا . ليلتنا هذه ما شابها قصف ولا هدير لطائرة ولنا غدا مسيرة قد تكون اوعر مما قطعناه وأسوأ . فدعنا نتزود بشيء من القوة لأجسادنا المنهكة وأفكارنا المشتتة . محال بقاؤنا على هذا الحال . دعنا نغفو عسانا نرى حلما نستدل به على ما سيجري لنا في أيامنا القادمات بين رايات وبنادق ولحى وعمائم ، فيرد عليه قدري

ـ والله ما ناچ امهاتنا غير اهل العمايم واللحى . وانت تلومني !! يصير خير . الصباح رباح . انا اعلمهم .

يقول هذا مستجيبا لطلب بدر العلوان وهو يرمي بجسده الى الخلف واضعا كفيه على عينيه متظاهرا بالنوم من جديد .

كان بدر العلوان من اواخر من خرج من مدينته بعد افراغها من سكانها لأنها ستغدو ساحة عمليات عسكرية ، لقد تشبث بأرضه وذاق المر معلنا انه لن يخرج الا جثة هامدة غير ان خلو المدينة من كل اسباب الحياة وتهجير سكانها بالجملة فرض عليه الخروج مرغما بعد ان تأخر عن موعد اكثر من مجموعة يتفق معها على الرحيل لأنه يأبى ان يترك قدري الفاهم في المدينة وقدري مجهول الأقامة يغيب ليال ويحضر ليلة كان آخرها يوم اصطاده بدر وأرغمه على السير واياه فقد تساوت (الگرعة وام الشعر) ، وكلنا سنموت ان لم نجّن وعليه سنخرج معا للبحث

عن ولديك ، اما عقولنا فسنعافها هنا كما عفت عقلك يا قدري .
وحين صعد الى حوض (الكيا) الأخيرة التي غادرت المدينة وغاص بين ركابها ارتدى قدري وجه الغم الذي ما فارقه ورمى بآخر ما لديه من رمانات يدوية وهمية باتجاه مجاميع من العسكر الذين تجمعوا على ابواب المدينة المنكوبة تحت رايات لا لون لها حال عمى الألوان الذي أصاب بدر دون تمييزها لذلك عندما وصلوا المخيم وسأله الواصلون اليه قبله : بيد من غدت المدينة ؟ دخلها العسكر ام ما يزال ذوي الرايات السوداء فيها ؟ أجاب : لا ادري . ما عدنا نميز بين قاتلنا والمدافع عنا . لقد اختلطت الأمور وغدا (حاميها حراميها) ولله المشتكى . ان ما يحصل اكبر منّا . كل ما ندريه اننا اخرجنا من ديارنا ظلما ولن نعود لها على ما أرى . لقد ساوى المحررون (عاليها بواطيها) وما صمد من مبانيها فجره الأخرون . وها نحن الآن نتوسد أذرعنا في خيمة ما كنا نرضاها سكنا للشحاذين .

قاوم بدر سهده بالنوم الذي انتصر اخيرا عليه فأخذته اغفاءة نقلته الى مدينته ايام عزها وحين استيقظ على قرصات الذباب الذي تجمع حوله وكانت الشمس قد علت في السماء لم يجد بجانبه سوى طفلين عجز الذباب عن ايقاضهما فقام من فوره باحثا عن قدري الذي ما نام اصلا ووجده قد جمع شلة من الصغار ووقف بينهم يعطيهم دروسا في كيفية نزع سداد الرمانة اليدوية وطريقة رميها ممسكا بيده علبة مياه غازية مملوءة

بالتراب تمثلها كما شاء له هواه فصاح بأعلى صوته حين رأى بدر العلوان يسير بأتجاهه (انبطحوا ... اشتعلت) ثم رمى بما في يده بعيدا . وحين لامه بدر مؤنبا اياه على أفعاله قائلا :

ـ تاليها قدري وياك ..؟ خلينه نشوف وجه الله . استر علينه . لا تبلينه فوك البينه . اجابه قدري الفاهم منفعلا :

ـ وعليش آني قدري اذا ما اقدر ادربهم على سلاح يدافعون بي عن ارواحهم ؟ ذوله الدواعش شوفهم . جايين همّه والأمريكان ايد بأيد . شوفهم زين هيانهم . مؤشرا باتجاه نفر من حماة المخيم من العسكر فرد عليه :

ـ والله مصدّگ . كلها دواعش . حتى باختلاف ملابسهم وراياتهم . افعالهم واحدة . انعل ابو الخير بيهم . عوفهم وتعال ندوّر على لگمة نفك بيها ريگنه .

وسحبه من يده ومضى باتجاه خزان ماء يتجمع حوله النازحون حين وصلاه أجهش قدري باكيا . لقد تذكر نخلته التي ما عاد لها من يسعفها بقطرة ماء . وذكر التل والنهر ورحلته اليومية بينهما قائلا :

ـ آآآخ . . لو بس صانع الشيّالة

ـ وشذكرك بيها ؟

ـ المي ... وعطش النخلة .. وبساتين اهلنه .. وبيوتنه الصارت گبور ، وگاعنه الشبعوها دم

ـ خلـص قـدري .. خلينـه ابضـيمنه . الـيعطش يشـرب دم .
الناس حايرة برواحهه وانت حاير بالنخلة والشيالة ؟!
ـ يوّل .. لو مسوّيها يمكن كان فادت اهلنه بهالضيج .
ـ لا يابـه .. كان اهـل اللحى فجروهـه مثـل مـا فجـروا القلعـة والمحاكم وغيرها وغيرها
ـ ومثل ما فجرو گبر جدي الرفاعي وسيد علي وشيخ فضيل .
ـ اذا تعـرف هالشي عليش قـاهر نفسـك ؟ وشـبقى ينـذكر ؟
دبّر حالك بهالخيمة واحمد الله . غيرك گاعد بالچول .
ـ يول يبدر .. تدري آني سيد وابن سيد ؟؟ قاهرني گبر جدي يا بدر
ـ أدري .. دخيـل جـدك . خلّي اسـيادك يفيـدوك . خـل جـدك يسويلنه چارة ...
ـ والله لو انخاهم چان شفت شيسوون
ـ لعد ياالله .. وينك ؟ لأي ساعة ضاممهم ؟ يعني (خنجـر اخـو گشرة)؟.
ـ لا لا .. ما اقبل يوسخون ايديهم بذولة . بعدين همّه يجون .
من نصير خوش اوادم همّه يجون
ـ وشـلون نصير خـوش اوادم واحنـه غرگانين لأذانّـه بـالحرام ؟؟ نكذب ونرابي ونبـوگ وننتهـك حرمات ونتمنى على الله . هـاي مـا ترهم . ما احد يقبل بيهه . لا الله ولا عباد الله
ـ يجي يوم نصير .. يجي يوم نصير ..

وبين اخذ ورد وجدل عقيم لمجنونين عاقلين ارتويا من ماء الخزان بعد ان غسلا ايديهما ووجهيهما وتوجها باحثين عن لقمة يفطران بها رغم ان الساعة قاربت الظهر نادى مناد بهم ان يتجمعوا .

اين يراد بنا وماذا يراد ؟ وعلام التجمع ؟؟ سأل بدر فأجابه احدهم : يمكن راح يودونا لمعسكرات بالشمال

ـ ليش مو لسويسرا احسن؟ والله ما ظني انهم سيفعلون لنا شيئا مفيدا ، وانهم لن يزيدو على اعطائنا مواعظ بوجوب التحمل ووعودا جديدة بالأغاثة وقد يزيدون برغيف خبز او صمونة يابسة .

وكان التجمع وصدق حدس بدر العلوان . القى بهم رجل يدّعي الدين محاضرة في وجوب التصدي لداعش وتحرير مدنكم بالأنضمام الى الجيش الشعبي الذي تشكل بأمر القيادة للرد على اصحاب الرايات السود والوهابية وارهابها . وبانضمامكم اليه نكفل لكم المال والراتب المجزي والكرامة ـ ودائما تأتي الكرامة متأخرة عن سواها ـ ورغّب المحاضر ورهّب وما استجاب له احد فقال : (بأبو زايد . كل اللي يصير بيكم قليل بحقكم) وما رد عليه احد . وحين انفض التجمع ابلغوهم بأن عليهم الأكتفاء بصمونة واحدة لكل فرد في اليوم اذ لا مواد في المخيم ولا نقود من متبرع و(فلوسكم اكلوها ربعكم)

تمثلت لبدر العلوان ايام عزهم وكيف كانوا مشرعين ابواب بيوتهم للقادمين بغض النظر عن من يكونوا ، عربا او اجانب. مسلمين وغير مسلمين . لا احد يسأل احدا عن انتمائه أو مذهبه . لقد مرت بمدينته قبل ان يحل بها الطاعون الداعشي والجرب الماعشي ايام خير وايام عجاف ما جاع احد بها ولا امتدت يد احد بنها لغريب الا بخير .

لقد كان بدر ككل من سبقه او رافقه او لحق به فيما بعد الى مخيمات الذل والخنوع يفضلون الموت جوعا وقتلا على النزوح الذي ارغموا عليه ، فالغربة كربة لمن ابتلي بها وهو في احسن احواله فكيف به وقد خرج بثوبه وما في بيته من نقد ان كانت في بيوتهم نقود ؟ ومن اين تستحصل النقود ومدينتهم حاصرها الأوباش بكل انتمائاتهم وتحت جميع الرايات ليمنعوا عنها الغذاء والدواء ويعطّلون مؤسساتها عن العمل فلا راتب يصرف لموظف ولا بيع ولا شراء وخزين المدينة ينضب مع اشتعال اسعار المتبقي من المواد فيها وجيوب اهلها (يطارد فيها الخيالة) بعد ان امتص ما بها فرسان الصحوات والغفوات والميليشيات و المتحالفين مع السلطة الذين غدو ولا هم لهم الا السلب والنهب والنصب والأحتيال ومن يتصدى لمثل هذا بكلمة نصح او جملة حق يصنف داعشيا ويعتقل ويرحّل بعد ان تصادر امواله ويحرق بيته ان ابقوه حيا .

بين نارين وقع المستضعفون من الناس وبدر العلوان يحاول ان يعيد لقدري الفاهم توازنه وعقله كأنما هو قد استطاع الحفاظ على عقله وتيسير اموره ظانا بنفسه القوة فيما يسطر ويتذكر وحين يصل الى نقطة (الصد ما رد) يغني على نشاز صوته بـ:

ظليت انا تايه ومحد سأل عني

ومن ضيم گلبي گمت يا صاحبي اغني (٥)

ليرد عليه قدري بصوت عذب نشأ في القهر وأدمنه فصقل صوته وجعل منه أحلى المغنين وأعذبهم وأشدهم حزنا حين يقوده جنونه الى الغناء بعد عناء مواجهاته برماناته لطواحين الهواء اللامنظورة التي يصورها له عقله اعداءا يطلب منها ثأره وهو يشدو :

تعاون علينه المرض والفگر والخيمات

وهنيال كلمن خلص من عيشته (الزفره) ومات (٦)

وحين يصوّب له بدر العلوان وينبهه الى خطأ واختلال الوزن فيما يقول يجيبه محتدا :-

ـ ولك آني المجنون لو انت ؟ شتريد أگول (عيشته ومات)؟ ولك مو العيشة بيها زينة ومو زينة وزفرة وطايحة حظ مثل عيشتنه ، ومن أشيل الزفرة ما يظل معنى للبيت . يصير عادي . يول يصير عادي يا بدر . واذا ما عاجبك شيل الزفرة وارتاح .

وخلّي (الخيبات) بدال (الخيمات) و(القهر) بدال (الفگر) والعب بيها بكيفك :.

أنعل ابو هالوكت لابو أجاويده

لابو اليدوّر غنا مضبوط ويريده (٧)

* * *

يول ... بين القهر والمرض ما آظن يبدر تفض

وسود الليالي الزمن گلبي وبيه ترض (٨)

ويبكي . . . ويبكي من حوله . لقد تعب قدري الفاهم وأتعب الآخرين . صار طيفا لأنسان وما تخلّى عن انسانيته . احتضنه صاحبه بدر وغرق في بكاء مرير وهو مزمع على العودة لمدينته و(اللي يصير خلي يصير) . قرر في صحوته تلك العودة ولا احد يقدر على منعه . ركب رأسه المجنون قائلا : والله الا ارجع . ولو قاتل لو مقتول . ثم خرج سالكا طريق الصحراء ضاربا فيها ملوحا بيده لكل عابر سبيل او عجلة مارة وبين خيمة واخرى ومن شارع يلقي به لشارع غادر مخيم الذلة وترك بدر العلوان لحاله (بين الرك والسفينة) يخاطب نفسه حينا بقوله : لا خير بمن ينقاد لمجنون وحين يتناوشه الهم والذل والخيبات ولا مجنون يشاكسه بعد اليوم يرى ان قدري قد اصاب بفعلته وانه الآخر في طريقه الى الجنون وسيكتفي بجنونه عن سواه فهو أرحم في هذه الليالي السود والرايات السود والحشود السود من عقل يشقى به حامله ومعاناة لا يجد لها حلا .

سيفكر هو الآخر في صنع (شيّالة) غير شيالة قدري الفاهم . شيّالة تشيله وسواه من همومهم وتلقي بهم في عالم شريف يتمناه وقد اتخذ قراره ... ما له غير المقاومة .

قرر بدر العلوان على كبر سنه التحول من خيمة النزوح والذل لخيمة المقاومة . خيمة يحيل فيها بندقيته لشيالة ترتقي به لمقام الشهداء او السعداء وشيالة عن شيالة تختلف. ومعاناة يرضي بها هواه ويختارها خير له من معاناة تفرض عليه بذل وهوان بهما يهان و(خيمة عن خيمة بتفرق) كما قرأ ذات يوم لأديب وشهيد فلسطيني كبير اتخذ من المقاومة نهجا فانتقل من عالم الخواء الى عالم الخلود والبقاء وصارت مقولاته نهجا ومعلما يستدل بها السائرون الى امام . والباحثون عن مستقبل افضل وبدر العلوان واحد منهم .

(٣)

الأنسان الذئب يلاحقني

فترفق بي

يا جسر الأحزان

ما عاد يخالجني شك

انك وحدك من يحمي

بعض حقوق الأنسان

- طلال السليم -

ـ لقد ولدنا في الزمن الخطأ .. كان علينا ان نموت مبكرين .

قالها حوران وقد تورمت قدماه من السير عبر طرق ترابية غير معبدة وهو يتعلق بذراع صاحبه الذي مال مع حركة (دوبة) الجسر الخشبي المتهالك المتقاوي على همومه وقدمه تحت ثقل عجلات ما كان يحلم ان تمر عليه ذات يوم وليس من قبيل الصدفة ان يصمد الجسر تحت كل هذا الكم الهائل من العابرين عجلات وعربات ومشاة وراكبين من الرجال والنساء صغارا وكبارا وكهلة وعاجزين .

قدر جسر الأحزان هذا ، وهو مؤمن بقدره كما ايمان حوران بأقدار اخرى يخمّنها هو ويغلفها البعض بملفات الكتمان والتناسي ويقرأها حوران في كتاب مفتوح أمامه وان كان غير مسطور .

لقد القي ودون سابق تهيأ على كاهل جسر الأحزان بكل زبائن الجسور الأخرى وتكفل بهم جميعا ولم يميز بين عابر وثان كما فعلت سلطات سلستا لذلك أخذ على عاتقه أن يحمل هم أشقائه الذين تهاوو في الأنهار والأودية السحيقة ابتداءا من جسر الصقور وانتهاءا بالجسر الجديد وما بينهما من عدد لا يقل عن عشرين شريانا كانت تربط سلستا بمدينة حوران التي غادرها مجبرا لا مخيرا محملا بأحزان كل المدن المنكوبة بساستها المتهاونين والخائبين عبر جسر الأحزان الذي ما كان يظن بنفسه ان يمر عليه يوما من مر لأسباب أقلها انه يربط صحراء بصحراء يشقها نهر ليس له من الرواد والمحبين الكثير اذا استثنينا مجموعة بيوت طينية تناثرت على اديم قرية نشأت قريبا منه لتقوم على خدمة ضفافه واحيائها بمزارع متواضعة من الخضار وما سهلت زراعته من المحاصيل غير ذات القيمة التجارية ، هذه البيوت التي بنيت قرب جسر الأحزان رسم لها القدر أن تلعب دور المستقبل والمضيّف لآلاف من النازحين عبر جسرها وعلى قلة مواردها يوم نادى المنادي داخل المدينة بوصول طلائع ذوي الرايات الى مركزها بعد ان تساقطت أطرافها وتهاوت كما يتهاوى الفراش على لهب النار او قرب ضوء يطمح ان يبدد ظلام ليل كثيف بذبالة لا تقدر على ان تكون ضوءا حقيقيا وان تحاول كما يحاول جسر الأحزان أن يتماسك تحت أعباء العابرين عليه من المهزومين وفاقدي البصيرة المقادين لنداءات خفية مبرمجة

بأحداث افلام رعب يصيح بهم (النجاة النجاة .. لقد وصلت الرايات) وما من راية حقيقية تجمعهم وتلم شعثهم المبدد بعد ان اختلفت أهواء أهل المدينة المنكوبة بين صحوة وغفوة وحشود وبنود ترف في سمائها وتنطق بغير ما يؤمن حوران والآخرون من الغارقين في عتم الجهل والتخبط والتشرذم الذي قادهم مساء ذلك اليوم وما قبله وما تلاه لجسر الأحزان المتأرجح الجوانب قهرا وخوفا وحذرا من ان لا يكون قدر المسؤولية بتحمل من يمر عليه من المقهورين النازجين كجيش مهزوم .

ـ وهل كل هذا مقدر علينا يا حوران ؟؟

سألت عجوز ممددة داخل عربة دفع يدوية يسوقها حفيد لها لا يملك من القوة البدنية ما يعينه على عمله لكنه مجبر عليه هو الآخر مذ رضي لنفسه ان يكون احد الفارين من جحيم مدينته لجحيم آخر قد يحرقه بأسرع مما يظن لذلك يرى أن عليه لزاما التمسك بعربة جدته فقد تكون هي المنقذة له في القابل من الأيام .

ـ نعم مقدر . . قال حوران وأردف (ان الأرض يرثها عبادي الصالحون) (١) . وبما اننا عجزنا عن ان نكون الصالحين المعدين لوراثتها فسوانا أولى بها منّا حتى وان كانوا أقل التزاما وأضعف عقيدة اذ في مثل هذه الحالات يحتكم الخالق للأقوى عددا وعدة ما دام الطرفان متساويان في النهج وضعف العقيدة والأيمان .

ـ والله يا (الخبيل) تحكي عدل

ـ خذو الحكمة من أفواه المجانين . . علّق شيخ سبعيني محاذ لهما في سيره حيث لا يستطيع تجاوزهما ولا هو قادر على هذه المراوحة التي يسميها سيرا بين اجساد دبقة من عرق مغلف بتراب الصحراء ودموع اليتامى والثكالى والنازحين .

حوران يتذكر (يوم الهجّه) التي انساح معها باتجاه سلستا مع قطعان من البشر اسلمت امرها لمن يحركها دون وعي منها في طريق مجهول لم يسبق لأي من سالكيه اليوم المرور به من قبل ، وامام ناظريه تتعاقب صور كئيبة لا يطيق نسيانها او عبورها دون استرجاع للعميق من (الونات)على الاقل .

ما كان لتلك المرأة التي تحمل على كتفيها جسد ولدها المعاق الذي يتجاوزها طولا وهي تترنح تحت ثقله وحقيبة ملابسه التي تعلقها بذراعها أن تغادر عينيه الا الى صورة الطفل الجميل الذي تنساب دموعه على خديه وبفتحه شدقيه على سعتهما صارخا مستنجدا بالمحيطين به الغارقين جميعهم في دموع أكثف من دموعه وان خجلت رجولة معظمهم من اظهارها ، واذا تخطى الصورتين فكيف به لا يقف و(يصفن) طويلا مرددا سورة الفاتحة امام جثة لأمرأة مطروحة على الأرض وقد فارقت الروح لبارئها وما من معين يعين ابنتها الناحبة فوق رأسها على دفنها واكرامها عملا بالمقولة (اكرام الميت في دفنه)!!، لا ضير كثيرا في ذلك . ستتكفل رمال الصحراء ورياحها بدفنها ان تخلى الآخرون

عـن هـذا الـواجب فقـد علمتنـا الاحـداث ان للطبيعـة وبعـض الطيـور والهـوام مواقـف اكثر انسـانية من مواقـف الانسـان لأخيـه وما حكايـة الغـراب بقصـة ابني آدم بغائبـة عـن اذهاننـا وقـد غـدت مـن موروثنـا الشـعبي وتراثنـا الـذي احتفظنـا بقشـور قصصـه وأضـعنا لبهـا . ان للمخلوقـات غيـر البشـرية حسـا يتفـوق عـلى احاسيس الآدميين الذين ما عـادوا يملكون من أمرهم شيئا سـوى التمعن في صور المآسي التي تحيط بحوران كنموذج من الفارين من المـوت الى المـوت وبالجسـر الـذي سـيقول لـو تكلـم يومـا : ليـت الله قد هيأ لي من ينقذني (يوم الهجّة) من وحشية بشر أوجعوني بمـوت ضمـائرهم وهـم يتحلقـون حـول عجـوز متهالكـة شـدت على وسـطها حزامـا طبيـا تعين فيـه فقراتهـا على تحمـل السـير في حـين تصـورها القنـاة الفضـائية الرسـمية لسلسـتا على انهـا تشـد حزامـا ناسـفا تريـد بـه الأقتصـاص من اهـل سلسـتا ، وتـروّج لهـذا الأعـلان الفـج باقتراب جنـود منهـا مـا زالـوا يحتفظـون بشيء من المرؤة باغيـن اعانتهـا على تجـاوز العثرات ويصـر الأعـلام الطـائفي الموبـوء على انهم من فرسـان مكافحـة الأرهـاب وقـد امسـكوا بأرهابيـة داعشـية . وبين مـا يفكـر بـه الجنـود ومـا يروجـه الأعـلام فـرق مـا بـين السـماء والأرض . وحـوران الـذي حـافظ حتى تلـك السـاعة على تماسـك أعصابه رفع عقيرته صارخا :

بلوه ابتلينا بأهل الكذب والزور

وليا شكينا صرنا لهم عدوان (٢)

صور كهذه كانت تكتظ بها ذاكرة حوران الذي ما زال مطرقا امام (بسطته) و(كومة) الملابس المستعملة التي جمعها من مصادر شتى ليعتاش ببيعها وسط تهديدات معلومة ومجهولة من ميليشيات ورايات ومجاميع وحشود ما عادت تطيق رؤية صورته او ايا من أبناء مدينته التي القى بها طوفان الدواعش والميليشيات في شوارع سلستا وأسواقها عندما صدم سمعه صوت لم يكن غريبا عليه باسمه المجهول للآخرين ليجد حين رفع عينيه نحو صاحبة الصوت سلمى تنتصب امامه بقامتها الممشوقة المنكسرة وقد سرا في خديها الأصفرار والذبول بعد ان تقاذفتها الشوارع والأسواق ومساكن أصدقاء رديف الذين ما تخلوا عنها مذ حلت بسلستا وان عانت من خجل وحرج وتحطم كبرياء ناء بها جسدها النحيل .

غامت الدنيا والأجواء ازدادت اكفهرارا ولا مطر يهطل فيغسل اديم الأرض الغارقة بالخطايا من ادرانها ، ولا دلالة لظهور شمس في سماء غلفتها الكآبة والوجع وألقت بظلالها على أنفس غامت هي الأخرى وتجهمت فقست القلوب بحامليها حتى ليظن المرء بنفسه شتى الظنون .

الشوارع يزداد زحامها والوجوه التي يغلفها الصمت المؤطر بدموع غير منظورة تتهادى رائحة غادية لا تنطق بمفردة الا مضطرة وان تكلمت فـ (بالمثاقيل) لا عن كبر او عنجهية بل عن وجع كامن في النفوس وزهد في كلام غير مفيد .

نساء غارقات بالسواد وصبايا يطفو اليأس على وجوههن وهن يقلبن بأكوام (اللنگات) باحثين فيها عن قطع من الملابس بنصف عمر يسترن بها اجسادهن التي ما تعودت على ارتداء غير الجديد لولا الظروف واحكامها القاسية وحين يحصلن عليها يساومن كثيرا قبل ان يدفعن بثمنها لحوران .. وحوران بلحيته الكثة يقف امام (البسطية) التي نثر عليها بضاعته لا يجادل كثيرا ولا يرد الا بهمهمات لا يفهم غالبها وهو يمد راحته لاستلام اوراق نقدية صغيرة ثمنا لها فما يستحق الفا يباع بربعه وما دون ذلك يذهب صدقة لزبائنه المهجرين جميعهم من مدن تعرضت للأبادة والتخريب عن قصد وغير قصد . لقد اتخذ من المتاجرة بالملابس المستعملة مهنة يقتات منها ويعيل بها صغاره .

ـ ببقايا ملابس المسعدين نبيع ونشتري آخر اعمارنا . ماعليش . كل شي يجي من الله زين ..

هكذا يقول حوران بقناعة يحسده عليها سواه حين يسأل ممن يصادفه من معارفه . حتى اذا انتهى بنهاره الى ظلام لا يرحم الفقراء يكون في استقباله هيكل بيت استغنى عنه صاحبه لأنه لم يكن بالمواصفات التي يتمناها.

منهمك حوران بعمله . ازرار دشداشته مفتوحة و(زيگه دالع) ونعاله الاسفنجي الذي أكله حصى الطريق تنبأ عن حال صاحبه وما بينه وبين زبائنه من فروق ظاهرة الا انه رجل واغلب زبائنه من النساء ، ولنفسه يقول : لو كنا رجالا ما رضينا بما لا

نرضاه لسوانا ، لكنه حكم الزمن او (حكم القوي عالضعيف) أوصلنا لهذه الحالة المزرية . البائع والشاري شحاذون . والكل مهيأ للعويل لا البكاء وحسب مع اول كلمة يحسون بثقلها عليهم وكل ما يسمعوه ثقيل .

حين امتطى حوران في صغره جريدة نخل يابسة وحمل عصاه وهاجم مناوئيه وكانوا كثرا خانته عصاه مذ انكسرت بيده وهو في بدأ معركته فاتخذ من فرسه (الجريدة) سيفا استعان به عليهم فهزمهم . كانت عصاه فارغة كفراغ (زلم هذا الوكت) او كفراغنا نحن . (شبقه نستحي منّو ؟؟) . حدث حوران نفسه بصوت خفيض وهو يجيب على زبائنه ومساوماتهم دون ان يدري عمّ يساومون وماذا يدفعون . كل اجاباته محصورة ودون تفكير بمفردات محددة لا يمر على لسانه سواها (لا ، قليل ، ما يخالف ، ياالله ، ماشي ، بالعافية) ويقبض ما يناولوه من النقد الذي لا يكلف نفسه بالنظر اليه لمعرفة قيمته من اياديهم او اياديهن ليلقي به في علبة حلويات تجسم قلبا فارغا كفراغ قلبه من الأمن والأمان متخذا منها صندوقا لجمع ما يحصل عليه من اثمان بيعه وما كانت تشبه في وضعها امامه الا آنية الشحاذين المنتشرين امام ابواب الجوامع وداخل السوق وبين بسطياته العديدة ، وحين يعود لمستقره مع الظلام حاملا ما يتبقى من بضاعته نقدا وعينا تكتشف زوجته ان معظم وارده من العملات ممزقة او تالفة وقد لا يقبل بها البقال القريب منهم والذي ما

ردهم يوما او حاسبهم على قليل او كثير ولا صحيح او تالف . وقد تعاتبه زوجته على استلامه التالف من الاوراق النقدية فيجيبها ممتعضا :

ـ احد گلچ آني ابيع بمولات دبي ؟؟ .. كل اللي يشترون مني مگادي مثلي . يلمّوها من المحسنين وينطونياها جزاهم الله خير ، وعمر المحسنين بهالوكت ما تصدقوا الا بالتالف . هم شايفه زنگين يعطي للشاحوذ بلوك لو نواط ام الميه ؟؟

ولا تعلق زوجته او ترد عليه . انها تدري به محقا وصادقا فيما يقول كما انها تدري ان لا احد من الباعة او البقالين يرد عليها نقدها لتلفه . هي الأمور هكذا ..(ماشية ومستورة) وهوخير من سواه على علاته وقلة ادراكه او ما يتظاهر به من بله وتخلف . لو اننا استعنا بعصينا وهي كثيرة وافرة كما استعنت بفرسي الذي حولته لسيف في صغري لما جرى لنا ما قد جرى . ولا هجّرنا من بيوتنا ولا أدمنا سكن الخيام والهياكل والخرائب التي تعافها الانفس ، ولو عدت لمدينتي الآن لما وجدت بيتي الا خرابة دون الهيكل الذي حططت به رحالي لكنه بيتي .. والموت في البيت خير منه في القصور الغريبة ، فكيف وهذه القصور التي حللنا بها ليست اكثر من هياكل بيوت مهجورة وابنية متداعية وخرائب آيلة للسقوط ؟ . كيف ارتضيت لنفسي مغادرة بيتي الى هنا وانا الذي كنت (على جور الزمان صبور؟) (٣) لا بد لي من العودة . النزوح غربة وغربلة ومذلّة ، والغريب مهما كان اديبا يبقى غريب

.غريب وشحاذ بين عيون اجنبية . من يعطيه لا يعطيه كرما وانما منّة وبدافع (الخطية) ، (والموت اهون من خطية)(٤) . من ... ويقطع على ذاكرته الغارقة في تقليب صفحات البؤس والخيبة صوت يسأله :

- هذي بيش ابو ستار ؟

- بكيفچ

- عندي ربع دينار بس

- حلال عليچ .. واذا تبقّين الربع عندچ هم آني راضي

ـ عفيه أخويه ابو ستار .. الناس لبعضها ، وانت تدري بالحال

- براحتچ يمّه .. كلنا بالهوا سوا

وتنساب دمعتان حارقتان من عينيه و(يمّه) تذكره بأمه التي اقامت الدنيا ولم تقعدها على اولاد الجيران لأنهم تمكنوا منه ذات يوم وأوقعوه في الوحل فاتسخت ثيابه . نادرا ما كان يقع ، لكنه وقع آنذاك وكما وقع اليوم هو وسواه . تعثر بحجر خلفه فاسقطته ارضا وتجمع عليه الموتورون وكما تجمعوا علينا اليوم فأوجعوه ضربا لذلك زمجرت امه وعصفت بأهاليهم لأنها لم تتعود هزيمة لحوران المهزوم اليوم رغم انه حينها وقبل ان يمر على الحادث يومان اخذ بثأره منهم مضاعفا او(مربع) كما يقول . لو يعود ذاك التجمع ويعود اولئك الأصحاب لأتلف اليوم معهم وقادهم وانتصف لما احاق بمدينته ومزق رايات اصحاب الرايات

وكفنهم بها ، كل اصحاب الرايات بكل الوانها وشعاراتها الفارغة الا من الحقد والبغضاء . من يصغي له يظنه قد اختص السوداء منها وقد يوحي للسامع بذلك بحكم اقامته لاجئا بين ابناء وطن الدّاء فليفهموها كيف يشاءون ، اما انا فأعني ما اعني . سأعود يوما .. سأعود ذات يوم وأنتقم .

كان يردد بصوت خافت لا يسمع حين نادته احداهن باسمه المجهول لدى الكثيرين وهي تسأله عن ثمن ثوب التقطته من بضاعته :

ـ حوران صاير بياع شراي ، عفيه عليك حوران . هذا بيش ؟؟ شگد سعره؟؟ ومدت يدها اليه به . لم ينتبه لها بداية الامر وهو يسمع خطابها اياه باسمه الصريح . مأخوذا بالصوت كان اولا ثم بالوجه الماثل امامه بعد (صفنة) لدقائق محدقا بها :

ـ والله اخاف اگول ام سلام .. لو آني غلطان والله يخلق من الشبه اربعين؟؟

ـ احد صاح لك باسمك گبلي؟؟ اشو كلها تصيح ابو ستار !!. أي ام سلام . آني ام سلام ما غيري .

ولم تحمله قدماه بعد ذلك ، وما نطق بكلمة الا بعد ان جلس على الارض واضعا رأسه بين كفيه منخرطا في بكاء صامت عميق أعقبه بمسح دموعه من على خديه بكمي ذراعيه المتسخين وقال :

ـ وين سلام ؟؟ مادا ذراعيه نحو ولدها الممسك بها

ـ روح سلومي يم عمو حوران . هذا صديق بابا
ـ تعال يا ابني .. يا ابن البطل تعال .. ولفّه بذراعيه مقبلا ما يقع من جسده تحت شفتيه وعيناه محمرتان تموج بها الدموع
ـ ليش تبكي عمو ؟؟ انت رجال . من كنت ابكي يگول بابا : عيب الرجال يبكي .
ـ انا ابكي فرحا بك يا سلام ، ومن حقي ذلك يا ابن الذي لم يعرف قلبه سوى الطيبة والحب .. ثم موجها حديثه لأم سلام :ـ وين صرتم ؟؟ لو أعرف انتو وين أجيكم على راسي . لكن .. اوووووف انعل ابو الوكت اللي ذلنه . شأخباركم ؟ وين صرتو ؟ انا حاضر لكل شي . من ايدك هاي لأيدك هاي . ماكو خبر من استاذ رديف ؟ بس ترى هو يرجع . والله الا يرجع
ـ لا عليك يا حوران . الله كريم . بس هلّه هلّه وياي . لا تزيد ناري . خليها يم الله وگلّي انت وين ساكن ؟ اخبار عيالك؟ شوكت اجيت هنا ؟
ـ اجيت ويّه الهجة الچبيرة . واسكن هنا .. قريب من نا .. يالله وياي عالبيت .. يالله هسه انعزل
ـ لا خوية . ظل ابشغلك الله يرزقك . آني هسه يم ابو جمال صديق رديف ، واجيت هنا بشغلة وشفتك صدفة . ردت اسلم عليك بس ما رايده شي تسلم وجزاك الله خير بس اوصيك بنفسك الدنيا مو خوش دنيا . دير بالك على روحك وجهالك وسلم لي على عيالك

ـ لازم تبقين ام سلام . بيتنا صحيح مو گد المقام بس لازم تبقين

ـ البيت باهله حوران وانتم اهلي وعلى راسي . والله لأجيك ثانية وثالثة وما انگطع عنكم ، بس هسه لا

ـ شنو كان بايدك ؟؟ وين راح؟

ـ مو فد شي . هيچ قطعة عادية شلتهه حتى انبهك بيها ، گبالك آني واگفه ربع ساعة وادحگ عليك وانت ولا منتبه . صحت باسمك وگلت بيش هاي ؟؟ وزين جاوبت .

ـ خذيها .. وينها ؟؟ وين ذبيتها؟؟

ـ ما محتاجتها والله . گتلك ردت انبهك بس واسلم عليك . وهسه ارخصني اخويه حوران

ـ خوش . دقيقة وحدة بس انتظريني ...

وقبل ان تجيبه استدار يسارا ومضى مسرعا لدقائق ثم عاد وبيده (علاگة نايلون) مملوءة بالحلويات التي اكلت نصف ما حصل عليه ذلك اليوم في تجارته البائسة مادا بها يده اليها ...

ـ هذي لسلومي واخو ما دام لازم تروحين

ـ شلك بهالسالفة حوران ، قابل جايه اجربك؟؟

ـ والله غير تاخذيها ... وحين ترددت في ذلك تحول بيده الى صغيرها الذي تراجع هو الآخر قليلا الى الخلف مرددا : شكرا عمو .. اشكرك والله عندي ، الا ان امه اشارت اليه باستلامها

بعد ان قرأت آلام حوران التي طفت على وجهه فأخذها منه عن غير رضا لكنه أسعد بتناولها وامساكه اياها حوران الذي قال له:

ـ وليدي .. ما احد يفهم ابوك مثلي . ولو آني صاحي ما كان افتهمته . العاقل العاقل مثل ابوك ما يفهمه غير المجنون المجنون مثلي . قالها ومسح دموعه وهو يقبله مودعا اياهما وعائدا بذكرياته الى حيث كان يقيم بين الوادي وصخرته الأثيرة وغروب الشمس وشروقها على الوادي وجسره المنهك الذي اتخذ فيما مضى منه رديف ممشى وملهاة ومنتدى والذي حمل هموم رديف وسواه من العابرين كما لم يحمل جسرا سواه . ويلهم من الله ...

(لم يخرجونا من قرانا او من المدن الرخية
لكنهم قد أخرجونا
من صعيد الآدمية) (٥)

بما اقترفوه بحقنا من الأنتهاكات وما رتبوه ضدنا من مقولات وافتراءات متناسين اننا شركاؤهم بالارض مناصفة واننا من حمى اراضيهم ومدنهم وبذل الدم رخيصا في الدفاع عنها وعنهم . لقد جوزينا بجزاء سنمار ووضعنا في مواضع الأتهام بعد ان تكالبت الأمم علينا والأقوام واستضعف جمعنا بتآمر المتآمرين شرقيين وغربيين ، اشقاء واصدقاء .

يبدو اننا ولدنا في الزمن الخطأ ، وكان علينا ان نفكر بالموت مبكرين قبل التفكير بترك مدننا وقرانا وعبورنا الجسر المتهالك

جسر الأحزان الذي سينقطع حتما تحت ثقل ذنوبنا وأخطائنا التي اقلها اننا احسنّا الظن بمن ليسو اهلا للاحسان .

الايام تتعاقب والأزمات تترى والرايات تتعدد وتسمو وترتفع والعيون معلقة في الفضاء تبحث عن راية واحدة لا يسمح لها ان تغمر الوطن بظلالها . انها راية الوطن الذي تهاون بكرامته فضاعت بين الحشود والبنود ضيعة الأيتام في مأدبة اللئام وبينها وبين أمانينا فيها تعلقنا بخيوط غدت اوهى من خيوط بيت العنكبوت . نحاول تجاوزها فنعجز ، ونتمسك بها فنتّهم بكل باطل متمنين مستقبلا واعدا لا نرى ما يشير اليه وموتا محققا نحث الخطى نحوه على وقع تصريحات لمسؤولين وسياسيين ولصوص لا يربطهم بالمسؤولية الا القدر الذي به تمتلأ جيوبهم وكروشهم من السحت الحرام متغافلين ومتسترين باخطاء يدّعونها عن معاناة مدننا وقرانا وجسر الاحزان اليتيم المتآكل الذي يترنح تحت اقدام الزاحفين الى وراء والنازحين الى حدود موت يتربص بهم على اطراف سلستا وهم ونحن عنه غافلون .

(٤)

فليسقط الشعراء

ولتسقط قصيدتك الجديدة

ماذا ستكتب غير لغوك

(خيمة .. شمسا..) وظلا

وحكايتين عن (الحصار)

وتلعن الزمن المملا

وتخط (نصا في المجاعة)

.. ليس يفهمه سواك

سعدي يوسف

(بتصرف)

ـ ألا ترى أنك يا جلال أوغلت في التيه بعيدا وتنازلت عن حقوق سواك ممن أودعك ثقته وزرع على ضفافك أمانيه ؟؟ ، بل وحشرت نفسك في زاوية ضيقة راقصا على دقات طبول سميّك الرومي بلا ساق كما يقول الفيتوري في رقصات درويشه المتجول مسندا ذقنك بيمناك سارحا ببصرك في البعيد الذي لن تناله وأنت تتهجا خطى المغادرين اياك واحدا تلو الآخر وأحيانا زرافات لا أفرادا مستعينا على بلواك ببلوى أشد حرقة وطالبا (التذري) بمن لا يملكون لأنفسهم ذرا كانوا وصاروا أسيادا بحكم انقلاب الموازين وخنوع أهل الحق وصعود أهل الباطل متسلقين

سـواري رايـات ظللتهم بـالخير والرفعـة على شـرها وظللتك وسـواك بالعوز والـضنك وسـوء المنقلب في البلد وأهله ؟؟

ـ (يلومك الـنـاس عـن جهل فتعـذرهم ..) (١) وتتحـرى لهـم عـن سـبعين عـذر ، وحـين تلقي انـت بلائمتـك في وجهي أردهـا عليـك داحضا اياها بسؤال أوجهه لك دون سـواك عن امكانية أن يعمل جـلال الـذي تعرفـه بغير قناعتـه ؟؟ وكيـف لمـن تربى على عـزة الـنفس أن يهينهـا وأنـت وهـو قبلك يـدري بـأن (نفـس الدنيّـه توگـع گدر راعيها) ؟!(٢)

ـ أبـدا.. من قالها؟ أنا لا أريد لك التدني لسـواك ممن لا يـود الا أن يكون عليك سـيدا ، وحاشـا لله أن أطلب منك ما لا يطلب وأنـت بعضي ولي عليك حق ابـداء الـرأي والنصح والمشـورة حتى دون استشـارة منك ، ولك علي ان أرضى بتصويب فهمي اذا شـط بعيدا على ان تقنعني بما تراه صوابا وأرى عكسه دون دراية مني .

ـ حسـنا .. سـأتحدث معك حديث الطبيب للمريض والمريض للطبيـب فكلانـا طبيبـان مريضـان نبحـث عنـد بعضـنا عـن دواء لعللنـا وسـنأخذ بـه حتى لـو كان آخـر الـدواء الـذي هـو الكي ، لا حديث الشـاعر او المثقـف ولا الصـوفي المتزمت المسـتبد بـرأي يـراه لا سـامح الله وقد جانب الصواب .

أذكـر ممـا قـرأنـاه في صبانا ان ابـن الخطـاب عمـر مرّ بصبية يلعبـون في الطريق وفيهم عبـدالله بن الزبير ففروا ووقـف . وحين سـأله عمـر عـلام لـم تلحـق بأصحابك أجـاب : لـم أذنـب فأخـاف ،

ولـم تكـن الطريـق ضـيقة فأوسـعها لـك . ومـن هـذه الحقيقـة أسـتوحي مـا سـأقول لـك مـذ ولـدت لأب أثقـل ببضـع بنـات قبلي فمنحني فوق ما يمنح الآباء لأبنائهم صفة الأبوة للسابقات لي من البنـات واللاحقين واللاحقـات منهن ومنهم مـذ شـاءت الصـدف أن أكـون الكبير حتى على من يكبرني لأنـه رحمـه الله أوحى لي بـذلك وقبلته هما ثقيلا ووسام شرف لا يناله كل الأبناء من كل الآباء . وكبرت مـدللا وتصـويباته لخطاي مستمرة ورفـده لـذاكرتي وقـد اتخـذ مني صـديقا بمـا يحفـظ مـن حكايـات وشـعر وعتابـات وطرائف جادا حينا وهازلا آخر تصحح مسيرتي مرة

وتـدفعني أخـرى للمشاكسـة حتى اذا تفوقـت بدراسـتي واخترت العلـم دون الأدب رغـم عشـقي ايـاه ضـعت بـين الأثنـين وتلقفتني مـن قريتي مدينـة متسـعة وجامعـة فضفاضـة وزمـلاء دراسة غدا بعضهم أصدقاء ضعت وانا معهم بين الشك واليقين والأيمان وظلالـه والشعر ونبؤاته والسياسـة والحـروب و.. و .. و .. وجنونها وجنوني الذي تشلبى رأسي فطوّح بي بين الملحدين ليعاود انتشـالي مـن تـرعهم الآسـنة ويلقـي بـي على حافـات تهويمـات الصـوفيين ونقـائهم كي أغـدو لهـم تلميـذا غير نجيـب أضـاعته تهيـؤاتهم فـانقلـب الـيهم وأحـبهم وحفـظ شـعرهم وتمـادى بهـواه متجاوزا على علم اختاره اول أمره سبيلا للحياة فأنهى رحلته بين كتبه بست سنين بدل أربع لا عن جهل أو غباء ولكن عن صعلكة

صوفية مطعمة بشيوعية غاب زمانها وتشدق محبيها بأمان ليست بالمنالة عند أصحابها الحقيقيين فكيف تكون لنا ؟...

الشعر هواي وجنوني . وعشقي موزع بين أحلام يقظة وظباء رائحات غاديات في ساحات الجامعة وممراتها ، وهوى كل ما عتق تجدد وكلما أفل نجمه سطع من جديد والتزامات أب مزعوم لأبناء غير معترفين بأبوته تعذبني وتحمّلني فوق همومي هموما ، وانا الذي لم يجرم بالذوبان في ادعاء الأبوة وفرض ما لا يطيق الأبناء عليهم فيخافوني ولم ينازعني على الطريق أيا منهم لأخليه له وأنصرف لشؤوني الخاصة بعيدا عن تحمل هموم الآخرين . احتملني يا صديقي ، قد أكون ثقيلا ... احتملني .

ـ معك .. لم اشطح بفكري عنك بعيدا . انا معك

ـ اياك ان تضجر من حديثي فتحاول تبديد ضجرك بحرق سجائري بعد ان نفذت سجائرك . تذكر أني محاصر وأن علبة السجائر تكلفني على شحتها أكثر مما تتصور بكثير .

ـ لا عليك .. سأدخن كلماتك ، وأتخذ من قلمك سيجارة أتظاهر بتدخينها ، وللطرافة اقول ومن ذكرياتي وكنا طلابا ان زميلا لنا كان من المفلسين الدائميين سألناه ذات صباح وقد جائنا مستبشرا : شلافيك عصام؟ شمتريّگ اليوم ؟ فأجاب : شي بسيط ..على گد الحال (گيمر السدة وكاهي حار وبيضتين نص ستاو وماعون مربى) . وحين رأى اننا لم نصدقه ونحن أدرى بحاله أقسم أنه صادق فيما قال . وبعد التحقق معه .. ومن اين

لك بثمن كل هذا وقد تركناك أمس ولا دينار ولا درهم في جيبك ؟ قال : لشوكت تظلون غشمة؟ دومكم غشمة . ولكم استكان شاي وصمونة حارة من افران المثنى الأوتماتيكية ، وصفنة دقيقة دقيقتين .. تخيلت بيها هالأشياء ولگيت طعمها كلها وكأني ماكلهن كلهن . شفتو ؟ هسه آني صادگ لولا ؟ بقى شي تردون تعرفوا؟؟ .

ضحكنا حينها وأمّن احدنا على ذلك قائلا : فعلا.. هي حشو مصران . اكل صمون وتخيل الكباب يصير كباب . كم مرة آني اسكر بگلاص شاي لو بطل ببسي !! للعلم الخيال هو الياكل مو المعدة . المعدة ما تميّز بين الكباب والصمون لكن الخيال هو اللي يميز وهو اللي يختار .آمنا بما قالا حينها وطبقته بالنسبة لي في حياتي الطلابية ، وعلى ذات الطريقة سأدخن الآن قلمك وأصغي لأشعارك المحشوة بالهم والذكريات المرة المنثورة أمامي . واصل يا جلال حديثك . واصل ولن أضجر وانا معك .

ـ خوش ... وين وصلنا ؟؟

ـ للكعب

ـ مو بالحيف . ولا نوصل .. ولا نلحگ العرب ولا العجم ولا حتى الكلاب ..

ـ ها يابه ؟؟ طبگن ؟؟ استوت عندك ؟؟ ارجع أبويه ارجع .. ارجع للرقص بلا ساق مثل صاحبنا الفيتوري

ـ اوووووف ... (يحگلي لاصير دللي ... وأطلگ الدنيا وأولي) (٣)

. سأوجز . . لقد مللت . . قلت لك تخرجت من كليتي وتوظفت

واستلمت اول راتب في منطقة نائية عملت على ان يكون لي فيها مكان يقال له (هذي نخلة الماز)(٤) غير ان السفينة لم تجر بما يهوى سفانها . اولادي كبروا . غدوت ابا مكررا بعد أن غادرنا أبي لبارئه تاركا لي عائلة كبيرة لكنها بفضله متمكنة وممتلئة ومتماسكة . كل أفرادها أيسر مني حالا وأأبى بما زرعه ابي فيّ الا ان اكون أبا لهم وهم ليسوا مثلي . بيني وبينهم كالذي بينك وبين حملة الرايات بكل الوانها ومسمياتها من المسافات لا من المعتقد والهوى . صرت أبا غير مستشار أحيانا وشاعرا غير مقروء لأني لا اجيد لعق أحذية المسؤولين وأديبا وموجها غير مسموع الكلمة لذلك شددت رحلي نحو (العتابات) بعد أن شد الجميع رحالهم خارج (الوردية) التي تركوها ممزقة الثياب بين مغتصبين أجلاف ومحاصرين يبغون هم الآخرين اغتصابها وكسر أنفها لا حبا بها ولكن نكاية بالقائمين على أمرها ممن دخلوا بها عنوة لاعن طيب خاطر.

ـ هذا موجز موجع ويكاد يكون مقرفا . علام الأيجاز ؟؟ أطل بحديثك عن ناسك ففي الوقت متسع للكلام ولا تخشى على سجائرك مني فقلمك لم يحترق بعد ..

ـ حسنا .. سأعاود ، ولكن من حيث لا تريد فأقول :

ناسي هنا أدلجوا في ظلمة الياس

من لي بمن يوقظ النيام من ناسي ؟(٥)

وقلمي سيستعصي عليك حرقه لأنه ما زال يقطر دما وسيكتب بعد ان كسر صمتا عاهدت نفسي عليه لولا ما يرسم لناسي ومدينتي التي أوجعتني وهي تتأرجح على شفا حفرة من النار ليقول والقيح يملأ فمي ويسد لهاتي : لله ما أعطى وله ما أخذ يا (وردية) الخير كانت وصارت بؤرة للجوع والحرمان والموت.

كنت يا مدينتي المضرجة بدم ناسها ورقة قمار رابحة بيد الساسة الخساسة والعشائر والميليشيات لأكثر من عام تتنازعك قوتان ما فيهما شريف ولا حريص عليك ولا على ناسك ممن سيلجم بلجام نار لو تكلم ايا منهم بمعاناتك او صرّح بغير ما يوافق هوى المتصدرين للأمر وسيقتل او يهجّر وفي أهون الحالات يهدد بماله وارضه وعرضه .

بين عباءات السماسرة وأربطة عنق الزناة وعمائم الجهلة والأغبياء ضعت وصار لك الخبز حلما والماء سرابا . ما عدنا نريدك مستقرا ولا منتجعا ولا ظلا نستظل به من جحيم الأصدقاء قبل الأعداء . ما عدنا نطالبك الا بفتح الطرق لصغارنا وضعاف ابنائنا المغلوب على امرهم للمغادرة الى أي جهة سواك قبل ان يموتوا جوعا او ذبحا وحرقا بجريرة سواهم ممن لا يخافون الله ولا يرقبون في اهل (الوردية) الا ولا ذمة .

لنا فيك يا مدينتنا المدماة بسهام الأغراب وشذاذ الآفاق والمرتزقة والطائفيين أحبة وأصدقاء ، شعراء وأدباء وكتاب وفنانون . ارث ما عاد بالامكان الحفاظ عليه ، فلنفتح له كوى

اخرى عساه يثمر في ارض غير ارضك وتحت سماء سوى سمائك الملبدة بغيوم المرتزقة من الفاتحين والمتربصين ، وأنتم ..

يا ولاة أمرنا الغافلين

يا ساسة السنة الساقطين

يا عرب الشيعة الناكرين للمعروف

يا ايها الشيوخ اللصوص المستهترين

يا قادة الكرد اللاعبين على ألف حبل وحبل

أعطونا حلا ..

فسّروا لنا ما يحدث ..

علمونا ... فلقد أطبق علينا الموت من كل الجهات والاتجاهات . ولكم اقول ايها المتصدرون للأمر من مسؤولين ونواب محسوبين على مدينتنا ، انزعوا بذلاتكم الأنيقة والتحقوا بأهلكم وقاتلوا معهم وموتو على ما يموتون عليه أو (حسّوا على أنفسكم) واتركوا كراسيكم ومنتجعاتكم فقد ضقنا بكم ذرعا . كرهناكم . لعنتم أحياءا وامواتا . اتركوا مدينتنا لأي جهة كانت غير المتسلطين على رقابنا فهي أرحم بنا منهم ومنكم لأنها لن تكذب علينا حتى في ذبحنا لو فعلت ذلك . اتركونا لنعرف رأسنا من ارجلنا وعلام وكيف ولم نقتل ؟ علّنا نعيد برمجة بوصلة امرنا لتشير لنا الى الطريق الذي ننهجه في قابل الأيام .

الى رحمة الله يا جارات (الوردية) من المدن والقصبات والقرى المحترقة اللواتي سبقنك للعالم السفلي . وهنيئا لك

الشهادة التي تقفين على أبوابها يا مدينة الخير المساقة للموت ظلما وصبرا ، وحسبك وحسبنا أن من قتل مظلوما دخل ملكوت الله . بعد ..؟؟؟

ـ سخّم الله وجهك . حتى ببسي اللي نتصوّره ويسكي ونسكر بي هم ماكو ، ولا العرگ والبيرة طلگناها من زمان الخير . شنو هالخربطه جلال ؟؟؟ احنه گلنالك سولف لو عدد وألطم وشگگ هدوم؟؟ تاليها وياك ؟؟ صاير مثل السمك منين ما ينلزم يزلگ . ما تريد تحكي ؟؟ يطبك مرض . سأقول عنك ما يلائم مزاجي ...

ـ لا يابه .. على كيفك . عندي بطل ببسي مضموم . كل يومين .. ثلاثة افتح الثلاجة التي تحولت لصندوق بفضل اختفاء التيار الكهربائي ، احدق فيه ، أشمّه . احاول فتحه وأتظاهر بأنه عصي على الفتح فأعيده لمكانه . سأفتحه الآن وأسكر به وأقول لك ما لم يقل مالك في الخمر .

ـ قم اذن وافتح (ببسيك) واشرب نخب الضمأى من أهل مدينتك وكل المدن المنكوبة التي مرت بها عربات الغزاة وأقامت . ولا تنسى ان تذكر عطش صاحبك الذي لن اسميه ، وارقص ان شئت بساقين او بواحدة أو بدونهما ما دام قد فارق عالمنا صاحب (رقصة الدراويش)(٦) بعد ان أدى ما عليه وتوقف اليوم عن تجواله حيث اسلم الروح لبارئها هاربا بجسده من ثكنات العوز والفاقة التي نسميها تجاوزا مدن الى فضاء وعالم ارحب لا

يجيعه فيه احد ولا يضطره للسكر بالشاي او الببسي مع توفر الخمور احد . ولحين دخولك لعالمك الذي تختار وكسر قيود انغلاقك على همومك سأتلبس بصوتك وأتكلم باسمك وأدل السادرين بغيهم على حقيقة يحاولون تجاهلها ، وفحواها أن المدينة التي استعصت على السراق وشذّاذ الآفاق ما استعصت ببروز عضلات الممانعين او نخوة وصحوات الغافلين وما شاكلها ، وانما اريد لها ان تلعب هذا الدور ليكون لها في المستقبل المنظور للبعض الغائب عن المجموع نقطة انطلاق في تأسيس (الثاية) التي يحوّلون فيها وعبرها ماء الفرات لسواق تمتد الى تل أبيب وترفدها بماءه وسمكه وخمره ولبنه كما تهيأ لأمريكا رصيدا من احتياطي عالمي لمختلف المعادن والثروات التي تعينها على استمرار نبضها بعد ان قاربت شرايين المنطقة على الجفاف من نفطها وغازها فلا يزايد على اهل (الوردية) المنكوبة مزايد ولا يدّعي مدّع بعد ان عرفنا البئر وغطاءه وصار كل شيء (واضح ومبيّن .. مثل طيز المزين) .

انفجر جلال ضاحكا من المثل الشعبي الذي وافق على ما يبدو هواه بعد ان كان قد عقد ما بين حاجبيه وكاد ان يتفجر غيضا فقال :-

ـ توّا خليتها بمكانها .. الم اقل لك اننا طبيبان لمريضين ومريضان لطبيبين؟! جالك كلامي ؟؟ المشكلة ان لا احد يفهم هذا غير القليلين الذين يتجنبون الحديث في الأمر خوفا وهلعا

من الآتي ، وقد يكون من (سبطانات) البنادق المصوبة لكل من يفتح فمه بكلمة حق قد تدمغ اباطيلهم خاصة وان الأعراب الذين هم اصل لكل خراب كما يقول ابن خلدون ازدادوا استخفافا بأهل الحاضرة وما زال فهد وزبانيته الذين يتفوقون عليه سوءا هم سادة الموقف العاجزين عن حسمه لأن (الطبخة ما استوت بعد) في الوقت الذي ترف به الرايات السوداء التي صرنا لما نعانيه نتلهف لوصولها احيانا ونتمناه اليوم قبل غد تشاكس مدينتنا وتظلل اطرافها بل وتتنقل داخلها بين حين وآخر .. كان جلال لما يزل يتدفق في حديثه حين توقف فجأة وقد ارتفعت يمناه لتمسح عن عينيه دمعتان هلّتا وهو يستذكر ما مر به ويمر مذ دخل الأوغاد لسلستا وأوقفه على احد مداخلها جنديا منهم مطالبا اياه بهوية تعرّف بشخصه فانتفض وتشنج وخاطبه بلغته التي كان جلال يتقنها صابا عليه جام غضبه وهو يخاطبه قائلا : أغريب وغاز لبلدي يطالبني وانا ابن البلد بما يثبت شخصي وانتمائي ..؟؟ والله عال ..! انها الكارثة التي ما حسبنا حسابها ؟ كان الأولى بنا ان نموت تحت سرفات دباباتكم قبل ان نصل الى مثل هذا الموقف ! وكاد على اثر حديثه المتشنج ذاك والذي أرفقه بأبيات شعر غابت اليوم عن ذاكرته ان (يروح ستة گاصر) ويقضي ما تبقى له من أيام بين جدران سجون الغزاة الذين غدونا اليوم نتمنى عودتهم ثانية لتخليصنا من هول ما نعانيه من ذوي اللحى والعمائم والرايات المتعددة الألوان

والمذاهب والمشارب السائرة في نهج واحد مفض لأبادتنا وتخريب مدننا وتجريف مزارعنا غير ان لطف الله الذي شمله آنذاك وحماه منهم لم يحضره الساعة وقدوضع قدح (الببسي) من يده بتوتر ظاهر ولفتات متوجس من شيء مجهول وهو يقول : أشم رائحة شيء غير عادي يحيق بنا . قلت معترضا : لكني لا اشم ولا ارى . هل بدأت شياطينك تلعب فيك وفق هواها ؟؟ أم ان لك نبؤات لم أصل لسرها بعد؟؟

ـ ابدا .. غير اني وبي ما ليس بسواي اذ ما ان تدمع عيناي حتى تتفتح حاسة الشم التي أفتقدها على سعتها لأغدو انشط من غزال في ذلك . بل وأكاد اصدق انفي واكذب عيني كما يفعل الغزال فيما يقولون ، وقد نشطت عندي الساعة هذه الحاسة التي ارجو ان يكون ما وراءها خيرا .

ـ ومن اين يأتي الخير .قلت ... وقبل ان اتم ما اريد قوله دخل طفل جلال هلعا مرتجفا وهو يصيح : (بابا .. يريدون يحبسونا) مادا يديه باتجاه الباب الخارجي فنهضنا انا وابيه مسرعين للشارع لنفاجأ بجمع من المسلحين يحيطون بصبيين لم يبلغا الحلم بعد وينهالون عليهما ضربا . حاولنا التدخل والأستفهام عما يجري فكان الرد حازما قاس من المهاجمين :

ـ ذوله دواعش ، جواسيس ، خونة . خوات گحبه . والله الا انيچ امهاتهم

ـ وكيف وصلتم لهذه النتيجة .قلنا .وحتى وان كانت لديكم معلومات بخصوصهما .. ألا يستوجب اخذهما لمقراتكم والتحقق من الأمر قبل كيل التهم والشتائم وانزال العقوبات بهما في الشارع وأمام الناس؟؟

ـ وهاي يابه انتو وين عايشين ؟؟ يعني ننتظرهم يفجرون انفسهم بينا ؟؟ فوتو خالي فوتو .. هذا مو شغلكم . لا تخلونه نتصرف وياكم غير تصرف ...

وحتى لا يتصرفوا معنا بما يرضي اهواءهم فيلقون بنا جثتين على قارعة الطريق استدرنا عائدين الى البيت وما ان جلسنا حتى قال جلال بصوت مختنق اقرب منه للبكاء من الكلام وعيناه تتقادحان شررا

ـ مو اگلك اشم ريحة بلوة ؟ انفي لا يخطأ .. خشم غزال...

ـ لعنت ولعن انفك وانف الغزال واليوم الذي عرفتك فيه . لو باقين عالأمريكان هوايه اشرف من هذا الحال

ـ واحفظ للكرامة التي ما عدنا نملك منها غير اسمها . لو وقع هذين الصبيين بيد الامريكان ما جرى لهما الذي رأيناه الان . ولتعاطف معهما الآخرين واسموهما ثوارا وابطالا ومقاومين لا دواعش ولا جواسيس او ارهابيين . لأين يسير بنا هؤلاء؟ اجبني قبل ان ارتكب جريمة بحق نفسي . (الا موت يباع فأشتريه؟) (٧)...وكي احمل عن جلال بعض انفعالاته تظاهرت بالتماسك واللا ابالية وتكتمت على ما بي من وجع وانصرفت له اشد من

ازره واهدأ من ثورته مشاكسا ومشجعا اياه للعودة الى ما كنا فيه قبل فاستجاب وقال :

يگول شاعر العتابة عبدالله الفاضل : گصه بينه الزمان بكثر ما مال ... وخلانه دحايس للاجناب . ليت للأجناب ان يعودوا ولنكن دحايس عندهم خيرا لنا مما نتجرع على مدار الساعة ولو اني تمثلت ذات يوم بهذا وانا على منصة الشعر حين حصل هرج داخل القاعة اثر وصول وفد ممن يسمون انفسهم شيوخا ويتزعمون الصحوات اليوم مع ضباط من الغزاة فاجئوا قاعة الشعر وما هم من اهله ولا المصغين له من قبل ولا المدعويين له فأوقفت قرائتي لحين أخذوا أماكنهم ثم عدت لأقرأ من جديد مبتدئا بـ :

هلي يا مركب البلبحر ما مال

هديب وگلطوله الحمل ما مال

گصه بينه الزمان بكثر ما مال

وخلانه دحايس للاجناب (٨)

وزعل حينها من زعل من الشيوخ ولم يرض من رضي حتى اذا ترجلت من منصة الشعر أقسمت ان لا أعتليها بعد قبل خروج المحتل . وسأقولها الآن ولن استحي منها : (ليته لم يخرج) . لقد خرج وتركنا سبايا عند من يتكلمون بألسنتنا ويزجون بنا في معترك الهم والظلم والضغينة و(ظلم ذوي القربى اشد مضاضة)(٩)

خرجوا وأسلموا حدودنا المفتوحة كأفخاذ العواهر للرائح والغادي وتركوا بلدي لمن هب ودب وأوكلوا قيادته لمن أعجز من ان يقودوا اسرهم وما لهم من كلمة حتى على نسائهم فكان ان صرنا الى ما صرنا اليه ...احتلال مبطن ، وجوع قاس ، وظلم وفساد مستشري ، وحصار يدمي الأنفس والقلوب وأنفاس معدودات لو تجاوزها المرء لغدا داعشيا ، وما رأيناه اليوم مصداق لما اقول . ألا من ينجينا من جور ولاة امرنا الذين تولوه بالغدر والزيف وهدر الكرامة ؟. لقد وضعونا بين سندان الحصار ومطارق المسلحين بمختلف انتمائاتهم . نظاميين وغير نظاميين فكان ان بدأ اهلي يتساقطون على اعتاب الموت جوعا ويستجدون الخبز من المحسنين ومسؤولين اولى واجباتهم توفير الغذاء والدواء او يحيون كما نحيا هنا بضنك وقرف رافعين اكف الضراعة والأبتهال ما بين محاصرين ونازحين عن مدننا المنكوبة لسماء قد تستجيب ولن تستجيب لأننا لسنا من الفصيلين الذين يستجاب لهما .

يقول مثل شعبي يتداوله المأزومون ان الدعاء لا يستجاب الا من (حرة طاهرة او قحبة عاهرة) ولسوء حضنا لسنا من هؤلاء ولا من اولئك وحاشا لأهلنا حتى العاقين منهم ان يكونوا من الثانية وان حيل بينهم وبين الأولى واضاعوا المشيتين كما اضاع الغراب مشيته بين الطيور او (كما ضاع عقد على خالصة)(١٠)

غربان نحن يا صديقي فلا تستنهضنا . محبطون وتائهون ومفلسون نحن .أحسننا حالا من وجد له موطىء قدم في حافات المياه لعرصات يسمونها مدنا آمنة . اما اثرياء مدننا واغنياؤها الذين غفوا بحدائق قصورهم وصالات شققهم في عمان وعواصم الخليج وتركيا واربيل وسواها فليسوا منّا نحن الذين تدثرنا بالحصر وبطانيات الفقر المتهرئة ايام الغزاة وقبل وفودهم . فلا توجعونا اكثر مما نحن موجوعون .

نموت جوعا بكرامة ندعي وجودها ويموت اخوان لنا ذلا وهوانا باحباط يأكلهم وغربة تتشفى بمعاناتهم وتضع في طرقهم المطبات والمعوقات والكفالات ليوقعوا بهم بعد ذلك ويلقون بجثثهم على حافات المدن وطرقها .

سيكتب المتفيقهون ذات يوم بأننا تجاوزنا حدود اللياقة فيما نقول وقد يقولون اكثر من ذلك وستكال لنا التهم بالخيانة العظمى لكنهم لن يقولوا عن انفسهم انهم من تسبب في حشرنا بزاوية ضيقة سعيد من طعنته بأحد رؤوسها وأردته قتيلا خيرا له من حياة التشرد والنزوح التي يعاني منها الكثير من ابناء مدننا .

لهم المال والجاه والسلطات والوجاهة ولنا القلق والخوف والتسكع في شوارع لا ترحب بأقدامنا او الأنطواء مقهورين تحت رايات تسومنا باسم الوطن والدفاع عنه سوء العذاب .

لهم البدلات والأربطة الأنيقة و(العگل) مانعة الذكاء والغيرة والعباءات المنشاة التي يزهون بها في الفضائيات ومواقع

الفيسبوك ولنا القهر والمعاناة والتوجس من آت لا نطمئن له لأننا ما زلنا انقياء لم تلوثنا السلطة المفرغة الا من التسلط علينا ولا دولارات العمالة الأمريكية والفارسية والأرصدة التي ما تكدست في (قاصاتهم) الا من السرقات والمتاجرة بالوطن والأرض والعرض.

سنرفع ايادينا بالدعاء وهو اضعف الأيمان وهيهات لـ (الوردية) ان تكون المدينة التي نتمنى لكننا سنعض بالنواجذ على حجارة بيوتنا ونتشبث بها رغم الجوع والقهر وعهر ولؤم المتسلطين على رقابنا و(الزناگين) ممن فقدو (الغيرة) فما عادت تعني مدينتنا لهم شيئا بعد ان جف ضرعها وتخلى عنها القريب والبعيد غير اننا واثقون بان الدنيا لا بد وان تصحو وتخاض المخاضات ويصل الخائضون الجرف . وعلى ضفاف نهرنا المكبلة بالطحالب والطفيليات سيفرز آنذاك (ابو گريوة) عن سواه .

ـ وستقتلني يا جلال بشظايا مما تصبه من لعنات مخفيات في حديثك المكتظ قهرا وغيظا وغضبا مكبوتا ما انت بقادر على البوح به امام غيري وما انا بقادر على تحمل كل ارهاصاتك هذه . كنت اشكو من ذوي الرايات السوداء وأعدهم مثلبة القى بها الحظ العاثر في واقعنا المعاش الا ان ما اسمعه منك وارى بعضه على الساحة من ممارسات لمسلحين تجاوزوا كل حدود الأدب واللياقة والمنطق يجيز لي ان اجد لك الف عذر لا سبعين وحسب وانت تتمنى لو يمرون بالمدينة ويكسرون شوكة من (شاف ما

شـاف .. شـاف كـس امـو واخترع) وتجبر وطغى وعـدّ نفسـه بطلا ومحررا وفاتحا وما هو الا بيدق على رقعة يحركه ولاة الأمر الـذين يحركون سـواه في الجانب الآخر المعادي وكل حسب دوره والـوقت الذي يجب ان يتحرك فيه .

ـ صدقني ان وجـودهم وانـا لا أطيقهم ارحـم بنـا مـن الكثير مـن الصـامدين ، وقـد شـهدت بعـض اخلاقهـم وممارسـاتهم . هـم مارّون غير مقيمين وسـيعود بعـد انتهاء مهماتهم الموكلة اليهم كل شيء لحالـه وكمـا كـان رغـم خسـائر لـن تنـال الا مـن الغبي الـذي يتصدى لهم واضعا يده بيد من اذا انتصروا فيا ويلنا منهم ، واذا انهزمـوا فسـيعاملنا المنتصـرون على اننـا طـابورهم الخـامس ولـن ينجينـا مـن غضـبهم حينهـا عـذر ولا حجـة ظـاهرة او مسـتترة . ان بقاء المسلحين على طغيانهم الذي تمثل باستيلائهم على كل ما في مـدينتنا استيطان لها لا اسـتعمار يمـر وينتهي بانتهاء مرحلتـه . ان الأعـراب يقـول ابـن خلـدون اصـل الخـراب واذا دخلـوا حاضـرة أفسـدوها ، فكيـف اذا اسـتوطنوا وتمكنـوا وهـذا مـا نخشـاه ونتمنى ان لا يكـون ويبـدو انـه سـيكون لأنهـم الـورقـة الـرابحـة بيـد مـن سلحهم وأوقفهم بوجوهنا بحجة التصدي لذوي الرايات السـوداء رافعـين رايـاتهم الحمـر والصـفر المصـبوغة بـدم أبنائنـا ممـن سلخوهم دون ان يكلفوا أنفسـهم البحث عـن دليـل لتعـاونهم مع أي جهـة معاديـة لهـم . كلنـا في عـرف المسلحين أعـداء مـا دمنـا غير مناصـرين انحـرافهم ، وكلنـا في عـرف أعـدائهم أعـداءا ايظـا لأننـا

استكنا لهم واستسلمنا لأوامرهم ، ونحن عند الطرفين من الخاسرين ، ومدينتنا تئن من الجوع والوجع وابناؤها بين أذلاء خرس غير مسموح لأي منهم التفوه بكلمة شكوى او مهجرون ملغيون من التقويم أساسا لذلك يحرم مرضانا وفقراؤنا من أي اغاثة تصل لمدينتنا حيث تصير غنائم لأبطال الدفاع عن الارض ليباع في سوق المدينة بأثمان لا طاقة لأحد على تحملها وقد رأيت بأم عيني والليل في أوله والشوارع خالية الا من عجلات (الصاحين) من صحوات الغدر اذ لا احد سواهم قادر على تعبئة عجلته بالوقود وسط الغلاء الفاحش الذي يضربها .. وعيون اهل المدينة معلقة بنجوم تعدها آملة غروبها وشروق شمس نهار جديد تمنّي فيه الأنفس بعبوة زيت أو شيئا من الطحين والأرز الذي وصل المدينة من منظمات اغاثية ارادت المساهمة في التخفيف من الحصار المضروب عليها عندما انشغل الشارع بضجيج سيارات ونهيق ذكور ما كانوا رجال ليل قدر ما هم قطاع طرق وسرّاقا استغلوا الأسلحة المكدسة بمخازنهم والسلطة الممنوحة لهم ليسطوا على هذه المواد الأغاثية ويضخوها بعجلات الدولة التي غدت تحت تصرفهم لمساكنهم دون وازع ضمير او خلق او احساس متجاوزين مشاعرالآخرين من المستضعفين في المدينة التي اكلها الجوع وأذابها الحصار ، و (يا غافلين الكم الله) .

تلك هي اخلاق حماة الديار المتسلطين على رقابنا ولو كان ذوو المحتلون على سواد اعمالهم مكانهم ما فعلوها لأن لهم على شذوذ عقائدهم ما يحول بينهم وبين اكل اموال الفقراء واليتامى ولأنهم لا يفكرون بالأقامة والأستيطان كهؤلاء البغاث الذين ضقنا بهم ذرعا وضاقت الأرض بانحرافاتهم وسوء خلقهم مذ عرفناهم لليوم الذي نعيش مآسيه بسببهم ذلا وجوعا وفقدان امن وامان .

وواصل جلال حديثه لي بلغة الشاعر وعواطفه وتيقن العارف بالأمور وقد أتى على آخر جرعة من (ببسيه) الذي احتفظ به طويلا ونازع غطاءه لمرات فما قدر عليه لأنه كان عشقه الذي يطالعه صباح مساء وقد غدا اليوم في عداد المفقودين وان على يديه هو لا يد من يستكثر على اهل (الوردية) ان يرتووا بالماء ويبخل به عليهم مؤبنا مدينته ومجدها بأبيات من الشعر يقول فيها :.

هنا اندحارك

هذي صورة القاتل

على يمينك كان الجوع محتشدٌ

وكان الصمت مرتبكٌ

وكان الشعر منهمكٌ

يؤبن مجدك الآفل

وبالباب الخطى سكنتْ

طبول السعد ما قرعتْ
ونصر كنت تنطرهُ
غدا موتاً
أتى تواً
وبثته الفضائيات سطراً منهكا عاجلْ
هنا اندحارك لا (الببسي) ينعشهُ
ولا الصحوات تسعفهُ
ولا زيف انتصارات تمجدهُ
وما غير الردى السافلْ
على شمالك يبني مجد عصبتهِ
وبالنقدي والأقساط والآجلْ
يبيع دماء اهلينا
ويزعم ان وادينا
تقاتلهم حجارتهُ
وغضبتهُ
سرت في الطفل والملتاث والعاقلْ
وما صدقت روايتهم
وهذي صورة القاتل
على ابوابنا وقفت
تواري مجدنا الآفلْ (١١)

(٥)

على أبواب (سلستا)

وقفت وقلت للعينين :

قفا نبك

على أطلال من رحلوا وفاتوها

- فدوى طوقان -

لم تكن بكامل وعيها عندما ألقت بنفسها بين يديه ناحبة قبل أن يفارقها الوعي تماما وهي تتملى بوجهه مأخوذة بعد أن استوعب سمعها نبرات صوته قبل دخوله للصالة التي غدت مسرح لقائهما مرددة ..(مو معقولة .. ما أصدگ !!!) وبحضور ولديها وأبو جمال المرتبك التائه بين دموع تترقرق في عينيه وكلمات لم يفهمها سامعوها من أفراد عائلته التي استنفرتها صيحات سلمى فحضروا للصالة من كل زوايا البيت وقد ترك الجميع ما في أياديهم وتجمعوا في ذات الصالة المسرح وان ميزوا بضع كلمات مما كان يرددها ابو جمال لعل أرسخها في آذانهم كانت (كل الليالي مباركات والليلة ابركهن) وهي من العبارات التي حفظها عن والده حيث كان يستقبلهم بها حين عودتهم لمدينتهم في المناسبات والعطل الصيفية اذ كانوا يدرسون في العاصمة التي تنفرد دون سواها من المدن بالكليات والمعاهد العالية . وحين عاود سلمى الوعي بعد ان رشتها ام جمال بالماء البارد انخرطت

ببكاء عميق وجد له صغيرها سلام مبررا وهو يعتذر عنها للحاضرين رغم صغر سنه (كافي ماما .. ادري هاي دموع الفرح اللي گال عنها عمو حوران .. بس هوّ ما كان يبچي !!) منشغلا حتى عن ابيه الذي جذب أخاه الثاني وضمه اليه شادا اياه لأمه محتضنا الأثنين معا موجها كلامه المخنوق لسلام الذي لم يلامسه بعد وهو يقول : (والله رجّال . . عفيه سلام . . عفيه ابني) ليعقّب عليه ابو جمال (رجّال ونعم الرجّال .. ابن رديف بعد ! شتريده يصير ؟؟!) ثم مخاطبا سلمى التي ابتسمت ماسحة عينيها وهي تصغي لزغرودة علت من شفاه ام جمال مهللة مرحبة : (هلا بالجاي لينه من غير ميعاد).

كان الجو ما زال مشحونا بالمفاجئة والتأثر والأنفعال الذي طغى على الجميع وابو جمال خاصة المنشغل بتقليب يديه مرددا (لك شاگول ؟.. والله ما ادري شأحچي .. صدگ .. چذب ؟! رديف گبال عيني ؟؟ شسويت بينه لك رديف ؟!) وملتفتا الى الخلف صائحا (غدا قوي . اريد غدا قوي لأبو سلام) وتجيبه زوجته ضاحكة :- (على كيفك يابه .. يا غدا ؟؟ كلها نص ساعة يأذن المغرب . والله ليصير الكم عشا بعرس امهاتكم ما ضايگي . غالي والطلب رخيص) . ووسط فرح عمّ الجميع واجواء بهجة غمرت البيت بمن فيه أضاع رديف التركيز متفوها بكلام غير مترابط يحار لمن يوجهه ومن يشكر فيه ..

ـ معقولة ؟!.. آني هالگد مهم ؟. خجلتوني والله .

ثم يضم سلام لأحضانه مقبلا اياه ومخاطبا الجميع مركزا على سلمى التي لم تستعيد توازنها كاملا بعد

ـ يابه مو اجيينه ..! آني شعندي وياهم ؟؟ سفرة اتعرفنه بيها على ناس غير ناسنه . الحمد لله .. صارت سوالف

ـ بس لويش ما خابرت ؟؟ . استفهم ابو جمال منه .هيچ .. تجينه غفلاوي؟؟ حياك .. حياك الله حياك

ـ هوّا ليش بقه عندي تلفون يا ابو جمال ؟ بقه بدماغي رقم ما انمسح ؟ جزاهم الله باللي يستحقوه ، مو زين لسّه ما مضيّع بيتكم ؟؟ هم هذي نعمه . الحمد لله على كل حال !!!

وتوزعت العائلة داخل البيت وخارجه بعد أن قبل الجميع رديف مهنئين اياه وزوجته بسلامته . لقد حدد لكل منهم مهمته فمنهم من ركض بأشارة من امه باتجاه الباب الخارجي ومنهم من دخل المطبخ وام جمال توزع المهام على ابنتيها واولادها الثلاثة

ـ شيل هذا من نا . . روح للسوگ ابني ركض .. فوتي هيوفه للمطبخ .. شوفي شغلك بنتي .. جيبي فراش سعاد لعمچ خلّي يمدد شويه .. يرتاح من تعب الطريق .

البيت يسوده احتفال سعادة لم يمر به مذ دخلت سلمى اليه قبل اشهر بالرغم من محاولاتها الحثيثة بأن لا تدع لهمومها ان تظهر على محياها امام اهل البيت الذي رحب بها وضمها اليه فتنعكس عليه وعلى من فيه

ـ الـدنيا مـا واسـعتني .تقـول سـلمى .وهي تتملى رديـف .. ضعفان سوده عليّ .. انطيت بالله علم لحجي ثابت ؟؟ لأبو محمد ؟؟ لأهـل ولايتـك ؟؟ الحجي كان يگـول : والله الا يرجـع . صـدگ حجي ثابـت مبـارك .. مـن اهـل الله وتـرد عليهـا ام جمـال ملاطفـة : خـاف حجّـيكم چـان يشـتغل ويـاهم ؟ وتجيبهـا سـلمى : مـو بـالحيف ! الحجي مبـارك .. والله الا اگوم أخـابرهم كلهم . ويشجعها على ذلـك ابـو جمـال : أي .. عفيـه . بشـريهم . النـاس تـودكم ، مـا بطلـوا اتصـالات بـيكم . ثـم لرديـف : لـك ملعـون .. انـت مسـويلك قاعـدة انتخابية هناك . مو بالله ؟ يمكن چنت ناوي ترشح للبرلمان .. والله يمكـن تطلـع بيهم گـول . النـاس تحبـك ، وانـت خـوش رجـال رديـف والنـاس مـا تضـيع الـزينين ، والله ناطيـك مـرة واولاد .. مـا شـاء الله عليهم . تستاهلهم . وترد سلمى : ابـو جمال شـما نسـوي مـا نجازيـه . اخـوك رديـف مـا الـه لا شـبيه ولا رديـف . الله مـا خـالق غيره .. بس هـوّا .. وتقـاطعهـا ام جمـال ممازحـة : (وحـده معـذبني) وتضـحك سـلمى مـلء شـدقيها . لأول مـرة تضـحك مـذ وطـأت قـدميها عتبـة هـذا البيـت .. أي والله يـا ام جمـال (خلاني بشـوگ ولهفـه..) (١) ثـم تنـدمجان بينهمـا بهمسـات وايمـاءات واشـارات تطغـى عليهـا البهجـة وترفـرف حولهـا السـعادة ورديـف بذقنـه الغـير مشـذب الـذي لـم يـر الحلاقـة منـذ ايـام وعينيـه الحـائرتين وهزالـه البـادي عليـه يـرد علـى هـذا ويجامـل ذاك ويمضـي بحـديث متقطـع يحكـي مـن خلالـه معاناته وما صادفه مذ ألقى به ذوو الرايات السـوداء في صندوق

السيارة حين كان يبكي صاحب الجثة المجهولة قرب الجسر لحين اطلاق سراحه قبل خمسة ايام ووصوله الساعة الى سلستا دون أوراق ثبوتية كاد خلو جيبه منها ان يلقي به في سجون الميليشيات لولا البله الذي تظاهر به وشرود الذهن الذي ادعاه واجاد تمثيل دوره امام كل من اعترض طريقه او استفهم منه وتسائل عنه . قالت له سلمى : ولا تهتم .. كل اوراقك جبتها . هويات .. موبايل .. كل شي موجود . لا تاكل هم . انت هسّه انولدت من جديد . بمدينه جديده . لا جسر ولا وادي . ولا يوگع حملي ، ولا عمي شيّلني . اليوم راحة وباچر الله المعين . وقبل ان توغل بالحديث قاطعتها ام جمال من خارج الصالة :

ـ كافي عيني سلّامة كافي . خلّي الرجال يغسل .. يرتاح . اخذتي حاصل فاصل . الحمام جاهز اخوية ابو سلام . وانت هم حركي روحچ . حضري الحمام لرجلچ ...وهي ضاحكة . خو ما ابتلينه بيچ احنه ؟؟ قابل خلفناچ ونسيناچ ؟؟ گومي حبابه گومي ، الليله كله الچ ابو سلام ما احد راح يشاركچ بي

ـ على راسي احبيبة .. انتو ما خلفتوني صدگ ، بس والله ما نسيتوني . كل عمري فدوة الكم وهم ما اجازيكم

وقبل ان تقوم من مكانها ينهض ابو جمال ويشير لها ولرديف

ـ خمس دقايق . انتظرني رديف هسة اجيك .. يلقي بكلماته سريعا وهو يمشي باتجاه الباب الخارجي . وحين يطل عليهم قبل

ان تكتمـل الـدقائق الخمسـة يعـود وبـين يديـه اكيـاس لملابـس جديـدة ومنشـفة وليفـة حمـام وعبـوة شـامبو مـع مكـائن حلاقـة جاهزة وقنينة عطر جلبها من الحانوت المجاور لبيته ليضعها بين يدي رديف قائلا : خذ يابه خذ .. وروح هسه للحمام .

كانت وجبـة العشـاء الأولى لرديـف بمعيـة زوجتـه وطفليـه في ضيافة ابـو جمـال كرنفـال حـب والفـة وحفـل تعـارف بـين عـائلتين كأنهمـا مـا التقتـا مـن قبـل بحيـث انطـوت السـاعات التـي سـبقت الخلـود للنـوم بسـرعة البرق زينتها مقتطفات من احاديث ورؤوس نقـاط لا احاديـث كاملـة تناولهـا رديـف وقصهـا على المصغيـن لـه بلهفـة والـم وتـرقب لما يتلـو الحـديث من توقعـات وتحليلات خـرج بهـا رديـف عمّـا سـيؤول لـه الحـال بعـد ان عـايش ذوي الرايـات السـوداء وتوصـل الى فهـم شـئ ممـا يفكـرون فيـه . وحـين ضمـه لسـلمى فـراش واحـد اعـد لهمـا بعـد ان غفـا ولـداهما اللـذان مـا تعودا النـوم من قبل مبكرين وكأنما ارادا بذلك المساهمة في خلق جــو أســري لوالــديهما او لأنهمــا نامــا لأول مــرة وهمــا يشــعران بالأطمئنـان لوجـود والـدهما معهمـا بعـد غيـاب طـال أمـده تلمـس رديف خدي زوجته متحسسا فيهما تعبها ومعاناتها الظاهران من ذبولهمـا رغـم بقايـا تـورد مـا زالـت آثـاره باديـة فيهمـا وقـد أنعشـهما وجوده بجانب سلمى (حمالة الأسية) التي تحدثت لزوجها طويلا عـن معاناتهـا وتعبهـا والقلـق المشـوب بالأسـى مـن مسـتقبل مجهـول وانتظـار غير مضمـون النتـائج لعودتـه كان يرافقهـا في كل خطـوة

خطتها مذ تلقت خبر اختفائه لحين وقوفها امامه في الصالة قبل ساعات من الآن .

حكت له عن صاحبه ابو محمد وخطبته الوداعية المرثاة قبل انطلاق السيارة التي تقلهم الى سلستا وعيناها تدمعان وكيف ابكى الحاضرين وعن زوجته الحاجة ام محمد وزيارتها وما قدمته لها ، وعن جاراتها وأساهن وهن يودعنها . وحكت عن الحاج ثابت وثقته بعودته سالما مقسما على ذلك بيقين مطلق ، وضحكت وهي تروي له كيف اخذ سلام موقعه كرجل بيت بسرعة وهو يعيب عليها حزنها ويؤنبها لبكائها معقبة على اقواله التي كانت تنقلها لزوجها وهو يميل رأسه حين الحديث معها و(لويش آني مو رجّال ؟ لازم مو بعينچ ؟؟ عيب بابا تبچين .. مو فضحتينا ..الناس شتگول علينه) لتعود من جديد الى حفل وداعها الذي اقامه جيرانها وحضورهم جميعهم (من مصباحية الله) وتسابقهم في اظهار ودهم بنقل ما حملته من اغراضها على قلتها الى السيارة مثنية على الجميع بما فيهم السائق ابو صادق الذي كان يناديها (خيّه .. وشگد حلوة وحنينه بلسانه . احس بيها طالعة من گلبه) . وعن معاناتها في الطريق وامام الحواجز وكيف مرّت عليهم ليلتان امام المعبر الأخير قبل دخولهم سيلستا ، ونذالة الرائد احمد التي لم تنفع كل التوسلات فيه وتثنيه عن موقفه بعدم السماح لهم باجتياز المعبر لكنها تقول (بس مرتك كانت گدها .. وگفت بعيونهم . صحيح توسلت وبچيت لكن لو مو آني چان رجعونه

منـين اجينـه) . ولـو ان الفضـل كمـا تقـول هـي يعـود للضـابط الحـدث الـذي صـادف مـروره بهـم ويمينـه الـذي اقسـم بـه غـاضبـا وأنـه (سـيدوس على الرتبـة بالبسـطال اذا مـا عبّرنـا اليـوم) . كانـت تسـميه (ابـو الغيرة .. مـا قصّـر الشـهادة لله ويانـه . جـزاه الله الـف خير) . وتحـدثت كثيرا عـن همومهـا في سلسـتا ، وعـن كـرم ابـو جمـال واهـل بيتـه ومـا بـذلوه مـن أجلهـا وأولاده الـذين ينادونهـا (بـاجي) حتى الكبـار مـنهم مادحـة حسـن خلقهـم وتـربيتهم قائلـة (صـدگ رديـف انـت تعـرف تصـاحب .. والله ابـو جمـال مـا يتجـازه . اخ ونعـم الأخ . عفيـه علي .. وعفيـه عليـك انـت ، تعـرف تختـار ربعك) . ولم تنس لقاءها بحوران صدفة و(علاگة) الحلويات التي اشتراها لسلام واكلت اجور عمله لذلك اليوم على ما اتصور . قالت .عائدة بها لـ (علاگة) الحاجة ام محمد التي حمّلتها اياها ليلة سفرها ولولاها لمات الأولاد جوعا .

واصلت سلمى سـردها لـدقائق الأمـور وكأنهـا تقـرأ في كتـاب مفتـوح امامهـا ومـا كـان لرديـف ان يقاطعهـا ابـدا لكنـه بـين حـين وآخر كان يمرر يده على شعرها الـذي خطّه الشـيب ممسـدا اياه وعينـاه تترقرقـان بـدموع يسـاعده ضـوء الغرفـة الخافـت على اخفائهـا وهـو يتمثـل مواقـف الجميـع ويكبرهـا فـيهم وان لـم تكـن غريبة عليهم فيقول (حتى تعرفين ليش احب الـوادي والجسـر ؟؟ اهلها طيبين .. خـوش نـاس) وتصـدّق على ما يقـول (ابـدا بعـد مـا الـومـك . والله اذا انصـلحت الأمـور وآنـي گلـتلهم الا ارجـع يمهـم .

صدگ كانوا احرص علينه من اهلنه . والله ما ابدلهم بملك الدنيا) . وحين سألها وهل تبقى لديك من ثمن ما بعت من اثاث البيت شيء ؟؟ قالت : (تريد فلوس ؟؟ هيله عليك . كل شي ما صارفه . اجور الطريق دفعها ابو محمد ، وهنا مرة وحدة اطلعت ويه ام جمال للسوگ واشتريت شوية معلبات وشرابت ونساتل للزغار ، زعلت ام جمال وگالت لويش اختي ؟ تردين تسويلي مشكله بالبيت ؟ شيخلصني من ابو جمال اذا عرف ؟) . قلت لها : لن يعرف . انت من دفع الثمن . قولي هكذا . (لخاطري ، اكذبي كذبة بيضه) ووعدتني بذلك غير انها ما ان دخلنا البيت وقبل ان نجلس قالت لزوجها : (شفت ام سلام شسوت ؟ غافلتني واشترت من جزدانها ، اشترت كثير) . فأجابها مخفيا انفعاله وعدم الأرتياح باد عليه :(ما يخالف .. آني اعوضها . تريد تحسس اولادها هيّ ما بحال احد . صدگ انت ام سلام ما بحال احد . انت يم اخوچ وبعدين انسولف . ضوگينه من مسواگچ ، يالله اشو . وحين ناولته علبة من العصائر وزوجته تهم بالخروج من الصالة اخرج ورقة نقدية كبيرة وناولني اياها قائلا : خذيها . راح تحتاجيها بعد كم يوم . ولا تسويها بعد . هالمرّة سماح . مرة ثانية ازعل وآني من ازعل اصير مو خوش آدمي . ديري بالچ اختي . اخذي فلوس مني .. من اختچ ام جمال واشتري اللي نفسچ بي . ماكو مشكلة ، بس تصرفين من فلوس رديف وهوّ غايب ؟؟ لا .. ما ارضى . ابدا ما اغفر الچ مرة لاخ).

تحدثت كثيرا وأصغى كثيرا . ووعدها بأن الحال سيتحسن ولن نبقى بسلستا طويلا . سنسافر . قالها ثم مد يده اليها ضاما اياها لصدره .

ـ كافي ما شبعتي سوالف؟ خليني اشوفچ . ثم أمطرها بقبلات اذابها فيها واعاد لوجنتيها حمرتهما قبل ان يمتصهما خدر لذيذ غابا اثره في اجواء افتقداها منذ اشهر طويلة تعد بالسنوات لا بالأيام .

مرت ليلتهما الأولى سريعة ليست كلياليهما السابقات اللواتي (شدت نجومها بيذبل) وفي الصباح كان لرديف شأن آخر بعيدا عن سلمى واولاده والآخرين . كان مع ابو جمال وحسب .

ماكان بحسابه وابو جمال يطوف به في شوارع سلستا وأحيائها القديمة خاصة التي فارقها من عقد ويزيد ان يراها بغير الصورة التي الفها وفهم احياءها وقرأ شوارعها شارعا بشارع . ولا كان يخمّن انه سيصدم بها ويتلقى اعنف الصدمات في أحب أحيائها لنفسه ولا دار في خلده انه سيصحو ذات يوم ليجد نفسه وهو ابن سلستا غريبا فيها ، لا غريب الوجه وحسب بل غريب اليد واللسان ايضا ، فهو لم يسمع في تجواله العبارات التي تعود سمعه عليها في سلستا مما على شاكلة (اروحلك فدوة) و(فدوة الك عيني) و(آسف حبيبي) و(اذا ماكو زحمه اغاتي) ولا سواها من مفردات اهل سلستا التي كانت لا تفارق سمعه مع كل من يشاكسهم ويشاكسهن عامدا او غير عامد . لا رقة على السن

من يلتقي بهم الآن ولا اناقة في الفاظهم بل مطارق تدق بسمعه مفردات خشنة متعجرفة غريبة حتى في أحرفها كـ (انت اعمى؟) و (چا شنهي .. ولاية ابوك) و (خايب دگم) و (طرگاعه لفتكم) وأشباهها في كل زاوية وشارع وحتى في المقهى الوحيد المتبقي من مجاميع من المقاهي التي كان يتردد عليها وتفيض كراسيها بالثقافة والأدب والفنون . الشيء الوحيد الذي ذكّره بسلستا الأمس اغنية قديمة دمعت عيناه لها وجهاز تسجيل من سوق قريب يبثها :

يا حافر البير لا تغمّگ مساحيها

خاف الفلك يندار وانت التگع بيها (٢)

وكان يتمنى وهو يصغي لها ان يعي الوافدين على سلستا هذا التحذير وان لا يتجاوزوا الحد المسموح بعمق آبارهم فقد يقعوا فيها . بل سيقعوا .. سيقعوا...

قالها بألم وحرقة موجها كلامه لأبي جمال الذي أجاب عليه بسؤال آخر :-

ـ من هم ... من هم يا رديف ؟ وعمن تتحدث؟؟

ـ عنهم .. حافروا البئر يا ابو جمال . بئر التشرذم والطائفية وتغيير معالم سلستا. الا تسمع هذا التحذير ؟ انا لم ار اليوم سلستا . لم ار عادات ناسها ولا طبائعهم . ولا احيائها ولا ازقتها وشوارعها . حتى شوارعها ما عادت شوارعها . اغلق شريانها الرئيسي وغدا مكبا للنفايات ومرتعا للقطط والجرذان نكاية بحامل اسمه وباني مجد سلستا . وحيل بين شارع الكتب والكتب

الحقيقيـة التي كانـت تتجـول بـين مكتباتـه وايـادي المثقفـين الحقيقيين . ما الذي ارى ؟؟ ما الذي جرى ؟؟ أهذا شارعنا الأثير الذي كان متنفسا لكل المثقفين والأكاديميين ؟ لا وجه من وجوه اصحابه الحقيقيين واهله ومرتاديه . لا ابو مثنى ولا ابو هشام ولا اكرم ولا الخضري ولا الحياوي . لا مكتبة النهضة ولا الآفاق ولا الوعي او المثنى ، ولا البيان ولا التبيين ولا . . ولا . . وحلّت اطارات النظارات والحقائب والساعات وبوسترات الزعيم الأوحد الذي ما جلب لسلستا خيرا بقدر ما اضر بها مذ ضخ لها مجاميع من المتخلفين والشعوبيين من اهل الريف الذين بدلوا وجه سيلستا الحقيقي وطغوا على اهلها متمترسين خلف لحى وعمائم عربية وفارسية اخذت بوستراتهم مكان الصدارة من ساحات سلستا عامة وشارع الكتب خاصة المغرق بكتب لا تدعو لسوى التشرذم والفرقة والتجمع حول الفارغين السائرين بسلستا الجميلة الى الجحيم واعماق الكهوف المظلمة . لم القى شاعرا واحدا او مثقفا اصيلا . تحول الشارع الى سوق مناظرات ومنصة يافطات وهتافات كاذبة سياسية وطائفية مقيتة . كما حلّت قناني الماء البلاستيكية المستوردة وعبواتها الجاهزة محل بائع عرق السوس وجرّته الصفراء الباذخة الجمال ظاهرا وباطنا ، وانهزم شربت الحاج كاظم امام عصائر معبأة لا طعم لها ولا مذاق . واستبدل كباب الأخلاص وكبة السوق وكاهي السيد و(بقصمه) بهمبرگر العم سام وصوصج الخال حام . أي مهزلة أرى وأي سماجة

اسمع يا صديقي ؟ المقاهي المتعددة التخصص غدت مقهى واحدا يكتض بالكذابين والمدعين وبائعي الدم والضمير وبائعات الهوى اللواتي اسمين انفسهن شاعرات واديبات ومثقفات . كان للعواهر اسماء اختاروهن وكل اهل السوق والشارع يعرفوهن بها : فطومة وزكية ورمزية وسواهن ممن ااتممن بعواهر اللمبجي داود فاختبئن خلف اسمائهن وتشبه بعضهن بالمغنيات وراقصات السينما فاخترن لشخوصهن اسماء اكثر حداثة من الأولى وعرفن انفسهن بفادية وشادية وحنان وسواهن وكن جميعهن مكشوفات لرواد الشارع وزبائنه باسمائهن واشكالهن وطرق تعاملهن مع الآخرين عكس عواهر اليوم المتمايلات فخرا ببناطيرهن وكلوتاتهن والستريجات التي تظهر من اجسادهن اكثر مما تخفي وهن يتأبطن كتبا ومجلات دعارة ويدعين الفضيلة والشعر والأدب وما هن من اهل هذا ولا ذاك . يحادثن الرائح والغادي باساليب التميع والتهتك والتفكك متلاعبات بأحرف مفردات العربية على اهوائهن (ما تايقة) و (عاتي) و (كتله آنه) و (مكهورين كلش) خالطات مازجات بين اللهجات على السنتهن كما يخلطن بنطف الذكور بين أفخاذهن . يدخنّ السجائر والأراجيل باعتبارهن اديبات متحضرات وما لهن من الأدب بمعنييه ولا الثقافة والتحضر الا ما يدعين به على ذكور يمتهنون القوادة باسم الشعر والسمسرة باسم الأدب والبيع والشراء والمتاجرة بالأجساد باسم زيجات المتعة والمسيار وسواها مختبئين

خلف نصوص شرعية كسيحة يسرها لهم ولقنها اياهم اصحاب اللحى والعمائم المشرعة صورهم في كل مكان وعلى كل جدار .

ما عاد في سلستا ما يبشر بخير يا ابا جمال ، فلنخرج من هنا . اكاد اختنق بروائح (المني) التي اشمها في اجساد المارة نساءا ورجالا . ما عادت بي رغبة لأن ارى اكثر مما رأيت . لنعد من حيث أتينا ونؤجل ذهابنا للحي الذي عشت فيه أحلى ايامي فيما مضى واتخذ حوران من أحد هياكله المهجورة سكنا كما حدثتني عنه سلمى . بي شوق لزيارة ذلك الحي قدر شوقي لحوران وتنبؤاته واستكشاف ما يجول في رأسه .. لا بد لي من لقائه ، فيه اشم روائح لنقاء مفتقد وجنون نقي مطلوب اليوم اكثر من عقل نشقى به وسط مجاميع المدعين الأغبياء . قال رديف ذلك ويده تسحب ابا جمال من وسط الزحام قائلا : هيا بنا .. لدار الأوبرا .. عسى ان نرى فيها ما يخفف من غلوائنا ويغسل الهم الذي كلكل علينا

ـ أي اوبرا ؟؟ لقد تحولت يا صاحبي الى قيصرية يباع فيها كل ما تعافه الأنفس .

ـ كذا اذن ؟؟

ـ اجل .. وحتى أختصر عليك الطريق سأقول لك بكل الم ان لا اوبرا هنا ، ولا سينما او مسرح . ولا مقهى برازيلي ولا يماني او كوبي . ولا برلمان ولا اعيان . وما عاد ابو نؤاس شاعرا ولا منتجعا او متنزها ولا سواه . اما حكايات شهرزاد فقد توقفت عند اقدام

شهريار الذي علت قاعدته القمامة ، وان سألت عن كهرمانة فقد اقترح البعض اضافة الف جرة لجرارها الاربعين رمزا للملايين السراق الذين يتصيدون المغفلين في سلستا ويتقدمهم السادة المسؤولين من وزراء ونواب واصحاب الدرجات الخاصة خاصة وهم يتحدثون بالدين والمذهب والشعائر والمشاعر . واياك ان تفكر بزيارة لضريح امام او مفكر . لقد غلفت جمالية تلك الأضرحة لافتات سوداء واعلام ورايات كفنت العتبات منها والقباب والمنابر والمنائر . خلّي عنك ما تفكر به يا رديف . نحن اولاد اليوم و (اليوم يوم الملحمة) ، يوم التصاق اللحم باللحم وتداخله ببعضه باسم الدين والدين منه براء لا يوم قتال وتحرير وملاحم مجد وشعر لأبطال كگلگامش وعنترة او جرير والمتنبي . لقد غزا زرادشت بأفكاره المشوهة الساحات فلا تتعب نفسك في البحث عما تتمنى لأنك لن تجده . وحتى اخفف عنك هول الفواجع ارى ان نأخذ (تكسيا) من هنا ونعود به من حيث أتينا قبل ان يصدمك ويروعك ما هو اقسى وأعنف .

ـ وعلام لا نستذكر ايامنا الجميلات ونستخدم في تحركنا الباص الجميل ذي الطابقين؟ كم اشتهي الجلوس في مقاعده الأمامية من طابقه العلوي ومراقبة انسياب السيارات وحركة السابلة في الشارع والصاعدين والنازلين منه واليه ؟ كم احن لمقاعدك ايتها (الليلاند) الحمراء الانيقة الجميلة ؟!!

ـ هنا (سايبة) يا رديف . (سايبة) وحسب . قلت لك تبدل كل شيء في سلستا . لقد اختفت (الليلاند) الحمراء بعد اختفاء (الأيكاروس) البيضاء . وتبخرت (الفورتات) من الشوارع . (السايبة) يا رديف لا سواها . انها سيدة الشارع اليوم .

ـ السايبة ... السايبة !! وهل من(سيبة) اكثر من (سيبتنا) اليوم ؟؟ ام انهم ارادوا التعبير عنها باستيرادهم لهذه السيارة الهجينة التي اكتضت بها شوارع سلستا كما تقول ؟!

ـ قل ما تشاء . وفكر بما تشاء واياك ان تمر على مفردات محرمات قد تكون (السايبة) احداهن بحسب عائديتها لبلاد فارس المقدسة كالكثير من المدن والأحياء التي الحق التقديس والتشريف باسمائها وغدا الرأس ثمن من يذم او يتبرم بأي منها ، حتى مدينة الزعيم التي تقلبت بين الثورة والقائد والمرجع اخيرا لحقت بها صفة القداسة السائدة اليوم في بلد لم يتبق فيه شيئا مقدسا بعد ان انهار وتهاوى وصار مرتعا للطامعين والمتسللين اليه من كل حدب وصوب تحت رايات وشعارات مزقت نسيجه وتلاعبت بأرضه ومواطنيه .

ـ اذن .. افضل ان نركب اقدامنا ونذهب سيرا ، فتوكل ان كنت قادرا على ذلك . وسارا معا حتى اذا عبرا الجسر وجدا قاعدة لنصب تذكاري ازيل وغدت (بسطية) لبيع الأحذية بعد ان ازاح السراق النصب من مكانه ، والى جانبها احواض لبيع السمك الحي . انحرف رديف باتجاهها ووقف على حوض منها وغمز

صاحبه قائلا : كنا نسير ذات يوم في شارع يحاذي ضفة النهر وتكثر فيه احواض بيع الاسماك ومطاعمها فلفت انتباهنا رجل يلف رأسه بـ (چراوية) محلية ويعلن عن بضاعته صائحا .. (الحگ .. سمك يلعب دنص) . هل هذا السمك هو الآخر من لاعبي (الدنص)؟ تعال لنرى ..

ـ ابدا .. هذه اسماك احواض مدجنة لا اسماك انهار حقيقية لذلك تراه لو دققت فيه خاملا مستكينا كخمول سلستا واستكانتها .

تأوه رديف بعمق وسار دون تعليق والى جانبه صاحبه الذي قال له منبها .. هنا مركز الفنون وهنالك المتحف . اتذكرهما ؟

ـ بلى .. غير اني لا ارى فيهما ما يدل على فنون او تراث او تأريخ لحضارة .

ـ صدقت .. لقد تحول الأول لمقر حزب كبير من الأحزاب الوافدة مع الأحتلال واستحال الثاني لقاعة معروضات جامدة لصور وتماثيل وآثارا كانت فيه وسافرت عبر الحدود بسيارات المسؤولين وتجار الحروب والآثار والتحف ولا ندري اين حط بها المقام وفي أي متحف او عاصمة رست .

ـ أوقف لنا سيارة اجرة على ان لا تكون سائبة ولا خائبة فما فينا من خيبات تكفينا . اني اختنق . اكاد أتقيأ دما . نجّني من هذه الوجوه العابسة والبوسترات القميئة التي ارى القمل يتعلق

بلحى اصحابها واشم رائحة الرذيلة والفسوق تفوح من داخل اطاراتها . تبا لهم وله من زمن رديء .

القى رديف بشتيمته المؤدبة جدا وهو يهم بركوب السيارة التي عادت به لبيت صاحبه الذي احتوى احزانه كاملة حين حدثه عن معاناته في سجن ذوي الرايات السود مقلبا صفحات من ذكرياته فيه واهماله اياما دون الألتفات اليه لأنشغالهم بمهام يرونها اهم من متابعتهم لأوراق انسان لم يجدوا في الكثير من افكاره وممارساته ما يبيح لهم الأسراع في تصفيته رغم اختلافه معهم في نهجهم الذي سلكوه بغية الوصول لما يبتغون . انه يتحدث عنهم احيانا بعاطفة ويبرر حين الحديث عمن تعامل معهم مباشرة ومعظمهم من الفتيان والشباب المغرر بهم الذين اتخذوا من هذه الرايات ظلا لهم لا حبا بها وانما ثأرا لكرامتهم التي استهان بها المتسلطون عليهم وعلى مدنهم منفذين قوانين اجتثاث لأفكارهم وعقائدهم وتخريبا لديارهم ومدنهم والتعلق والتبعية لأجانب كانوا ولوقت قصير قبل سقوط سلستا من اعتى اعداء وطنهم وافكارهم وانتمائهم القومي والعقائدي لهذا يظن بهم رديف خيرا ولو تهيأ موجّه نظيف وقائد قادر على احتواء هؤلاء الشباب لغزا بهم العالم واعاد لسلستا واخواتها سابق عهودها النظرة التي كانت عليه. غير ان ضياع ممثليهم او من يدّعون تمثيلهم بتوافه الأمور وتشبثهم بمصالحهم الذاتية وتبعيتهم لمن اهدر كرامتهم واوصلهم للواقع المر الذي يعانون منه دفع بهم

للأرتماء تحت ظلال هذه الرايات دون قناعة بها او انتماء حقيقي لأفكار مؤسسيها وهذا بعض ما توصل اليه حين كان يحاورهم بخفاء وسرية بعد ان استطاع احتواء الكثير ممن تعامل معهم من هؤلاء الصغار الذين تناوبوا على حراسته واخبروه انهم ما تجمهروا تحت ظلال هذه الرايات الا طلبا للثأر من عملاء وشيوخ وساسة اذاقوا مدنهم المر وأزروا بشبابها وعملوا على نشر الرذيلة بين سكانها اظافة للبطالة التي كانوا يعانون منها وسوء التدبير واختلال القيم والموازين .

لقد مال هولاء الشباب لرديف المعتقل في سجونهم واحبوه وعملوا على اخراجه من السجن واعادته لمدينته التي احبته واحبها ، وحين لم تفلح محاولاتهم بل لاقى المتصدين لها التوبيخ واللوم والعقاب عملوا سرا على تهريبه ونجحوا في ذلك فكان ان وصل الى سلستا دون أي وثيقة تيسر له التنقل بحرية استطاع تخطي معوقاتها بحذقه واتباعه لطرق مشروعة وغير مشروعة منها تظاهره بما ليس فيه من البله والشرود وفقدانه الذاكرة والعقل الذي يقول انه اضاعه فعلا مذ ارتضى ان يظل حيا ليرى ما يراه اليوم في سلستا مما ادمى قلبه وذكرياته وحب لها ثابت في القلب ويزيد مذ تدلهت في صباها بمتجبر افتض بكارتها واسلمها لثلة من (الشلايتية) الذين تخلوا عنها يوم شدتها وعافوها مباحة لمن هب ودب من الأمعات والحثالات الذين وصلوا اليها على ظهور دبابات احتلال اشترى اصحابها منهم كل ما يشترى من غيرة

وكرامة ومرؤة قبل ان يستهلكهم ويركلهم بحذائه (ليشيخوا) على سلستا واصلاء اهلها الذين غادروها مجبرين او مبعثرة جثثهم بين اكوام القمامة وعلى ارصفة الشوارع ومكبات النفايات .

ليس كل ما يعرف يقال .قال رديف لأبي جمال .ولا ضرورة للاصغاء لنعيق الغربان والتصفيق لها وهي تطير في سماء سلستا، اما السواد الذي غدا قاسما مشتركا بين كل الجماعات التي تصول في الساحة كما اللحى التي تغزو وجوه افرادها و(الطرة) السمراء المطبوعة على جباههم فانها لا تنبي الا عن توحد اعمالهم وممارساتهم التي يعاني منها المستضعفون من ابناء الشعب بمختلف اتجاهاتهم . الفقر والبطالة وسوء المنقلب بين السنة والشيعة والعرب والأكراد وسواهم كان بالأمكان اتخاذه سبيلا لتوحيدهم لو تهيأت قيادة حكيمة للبلد الذي سحقته الأزمات ببساطيل جنود الأحتلال واحذية عملائهم واجرائهم من كل الأديان والمذاهب والقوميات . ومن الصعب في هذه الأجواء العثور على القائد ما لم يتم الزمن دورته ويأخذ السيل الجارف مداه في تنظيف البلد من المستكينين والنفعيين واللصوص والجبناء الذين يقيمون في قاع الوادي وينشطون بمقتضى مصالحهم قبل ان يرتفع السيل تدريجيا وكما يحصل اليوم ليجرف في عنفوانه اكتاف الوادي ومن تربع عليه متفرجا وسارقا وسمّى نفسه وسمّوه مسؤولا او منتخبا اورجل دين وقبيلة وموجّه . وصدقني ان الصبح آت (ولابد لليل ان ينجلي) اذ لا

يصح الا الصحيح حتى وان طغى الخطأ مؤقتا في هذه البلاد المنكوبة بالرايات الخضراء والصفراء والحمراء والسوداء ايظا من جهة اخرى ، يوحدها جميعا هدف هدم حاضرنا والبحث في مثالب ماضينا واسدال الستار بيننا وبين مستقبلنا الذي ستشرق شمسه وتخترق كل الستر والحجب وبيننا الايام يا صاحبي و(اللي يعيش يشوف) وهيهات لخيام المقاومة والثورة والتحرر ان تولد الا من رحم خيام النزوح والتهجير والغربة والمعاناة كما لن تنبثق خيوط الفجر الا من رحم الظلام .

ـ متفائل جدا اراك الساعة يا رديف .قال ابوجمال .عكس ما كنت عليه في الشارع قبل ساعات !! . مالذي استجد عندك يا ترى ؟ حيرتني يا صديقي .

ـ حيّر الله من يحيرك ، هذا انا . وهذه رؤاي في المستقبل الذي قد لا نحياه وسيحياه ويعيشه اولادنا واراه رؤيا العيان بعد ان عايشت ذوي اللحى في سجونهم وطالعت بوستراتهم اليوم في شوارعنا فوجدتهم يعملون بخط واحد وبقيادة واحدة توجههم . وما العامّة الا صورا مغيبة فكريا ومندفعة كل مع تياره دون تفكير واستجلاء للأمور بجهل مطبق غير انهم سيلتقون . سيلتقي التياران ذات يوم ، العامة منهم اعني . وسينزاح القادة الى (حيث القت رحلها ام قشعم) (٣) . غير ان هذا لا يعفينا من ان نجهد انفسنا في التنوير واشعال الشموع حتى وان كانت صغيرة وقليلة وسط هذا الظلام علّنا نسرّع في تبديده ليسير المغفلون في

ضـوئها ويكتشـفون الهاويـة التي يـدفعون لحافاتهـا وهـم عنهـا غافلون . يهمني ان القى حوران قبل ان اودع سلستا وارحل .

ـ تـودع سلسـتا ؟؟ لأيـن ؟ وعـلام نويـت يـا رديـف؟؟ اجبني يـا سندبادا ما عـاد يطيب لـه المقـام في ارض محـددة ؟ لأيـن تريـد ان تمضي ؟؟

ـ ليس الآن . . ليس الآن . . سنتحدث في ذلك لاحقا . لا عليك . أرى ان لأنفسـنا حقـا ولزوجاتنـا وابنائنـا ايظـا فلنسـلك بحـديثنا غير هـذا الطريق ونعلّـم اهـل بيوتنـا الصـمت حاليـا فالصـمت في مهرجانات الهذيان المحموم الصاخب عبادة .

وقبل ان يتوغل في حديثه وينفذ ما نوى الحديث فيه وعنه قاطعته سلمى التي باغتتهم قائلة :

ـ عيني رديـف .. يمكـن مـا النـه بيكم حصـة؟؟ .گضيتوها من الصـبح ليهسّـه بـرّة البيـت.. وتـردون انـوب تكملوهـا هنـا !! مـو راح تطلعـون بـاچر ؟؟ خلّـو سـوالفكم المـا تخلـص بينـاتكم بـرّة .. وهنـا خلونه نشوفكم .. نسمع منكم ...

ـ والله يابه حقچ .قال ابو جمال . استريحييي .. وين صاحبتچ .. ام جمـال يعني ؟؟ تعـالي ام جمـال . تعـالي عيني داشـو شـراح تعشـونه اليـوم ؟؟ سـيد رديـف افنـدي طلّـع غدانـه زقنبـوت . عوضونه انتو عاد بفد شي ..

ـ هاي هيّه .. هـاي الگـدرانين عليها .قالت ام جمال وهي تقف بباب الصالة .شتغدونه ؟ شتعشونه ؟ دگول وين رحتو ؟؟ منين

اجيتو ؟؟ .. الصدگ آني يا ابو جمال طاگة روحي ، وما الي قرصاغ احچي ولا اسوّي أي شي . العشا اتعهدت بي ام سلام . كل شي عليها . المسواگ من جيبها .. والطبخ بيديها .. والأكل علينه .

ـ خادمة آني عيني .قالت سلمى .

ـ عليچ .. عليها .. مو مشكلة .قال ابو جمال .بس خلي نفهم منكم شكو .. شصار بهالدنيا ؟؟ اخبار ..علوم ؟ لأن احنه من طلعنه من يمكم ليما ردينه كل شي ما مفتهمين . راكبين رجلينه ونسولف .

ـ ما كو شي يريح عيني .قالت ام جمال .لازم ما سمعتو ؟؟ مو الدواعش اخذوا (الجزيرة) كلها !! وناس تصيح يا عمر وناس تصيح يا علي واحنه (بين حانه ومانه ضاعت لحانه) و (حايط يصدنه وحايط يردنه) ولا عمر يرضى بهيچ لا علي گاله .

ـ عمر وعلي بريئين من ذولي .قال رديف .لونمشي على سيرتهم ما چان صار بينه اللي صار . بس شوكت اخذوها لـ (الجزيرة)؟ هذا ابد مو خوش خبر .

ـ يگولون ليلة البارحه . التلفزيون يگول استغلوا سوء الأحوال الجوية .. واي واي .. شلون حكومة !! صايرة عجة وترابه بالجزيرة وداخليها الدواعش .. (العذر اقبح من الفعل)!! وشمدرينه وين الصدگ ؟؟ ضاع وبعد وين الگيه .. مثل ما يگول داخل حسن . يجوز باعوها .. ناس تبيع وناس تشتري والنار مشتعله وحطبها ولد الخايبات .

ـ رحـم الله والـديج   .قـال ابـو جمـال   .اللي يبيـع يقـبض واليشتري يقبض واحنه واگعين بيها . الله موجود . (الله اگوه من ابن سعود) .. گومي عيني ام سلام .. گومي ما دام العشا عليج شوفينه شطارتچ (اليوگع من السما تتلگاه الگاع) . خلي نشوف ياهو يطبخ احسن انت لو ام جمال؟

ـ مو بالحيف .قالت سلمى .وهي تتهيأ لدخول المطبخ وقد نهضت من مكانها : ام جمال استاذة بكل شي وآني حي الله تلميذة عدها ، ليش شوكت لحّگت بيها بشي ؟ أي شي .. حتى اصير احسن منها بالطبخ ؟ .ثم مائلة الى ام جمال منحنية عليها مقبلة اياها . گومي فدوة اروحلچ وياي ، ما اعرف اشتغل وحدي . انت عودتيني .. صوچچ

ـ يالله يمّه يالله .. خليهم يشبعون من بعضهم

ــ لا عيني .. شـحدهم !! والله الا ادز الهـم الجهـال همّـه وطراگيعهم واخليهم يطينون عيشتهم . صبريلي .. آني الهم ..

وبين دخولهن المطبخ لاعداد وجبة العشاء وخروجهن منه حاملات اطباق المقبلات لم يستغرق الوقت غير نصف ساعة او دون ذلك اذ ان معظم المائدة كانت قد احضرت من السوق جاهزة قالت سلمى ضاحكة :-

ـ هذا عشاكم والله من ابدالكم . كل شي طيب لو من السوگ لو بيد ام جمال . وكل شي مو طيب شغل ايدي وانصحكم لا تورطون بي انفسكم حتى لا تتندمون .. ومرت

الليلة واليوم وليال وايام بعدها ورديف يحاول استعادة ذكرياته وعلاقاته في سلستا فلا يجد فيها الا كل غريب وغير مألوف . لا الناس ناسها ولا حتى الشوارع شوارعها . كانت نبضه الحي وعلى دقاته يسير فصارت موته الذي يمشي اليه وداخله فما عليه الا ان يشد الرحال من جديد عنها لأرض سواها ما دام افتقد فيها عزه متمثلا بقول مأثور ينسب لعلي ابن ابي طالب يقول فيه (عجبت من امرء يشكو الذل وارض الله واسعة) وعلي لا يدري ان هذه الواسعة التي يتحدث عنها تحدد خطواته وتعدها عليه وهو لا يدري بأن ما بين مدينة وأخرى ولا نقول بلد وآخر انهار من دم وجبال من جماجم تحول دون تحركه عدا قلة ما لديه من مال يعينه على الحركة وتغيير المكان بعد ان بدأ ما لديه بالنفاذ ولا عمل له يعمل به ولا تجارة يستثمرها ولا دولة تهتم به وتتفقد شؤونه كما كان في ايامه واسلافه من الزعماء . فكر ببيع مكتبته والأستعانة بثمنها اكثر من مرة وكان يظن بداية الأمر انها ما تزال هناك تربض داخل بيت عتيق ينام على ضفة الوادي المجدب في مدينته المحاطة بالصحراء ، وتمنى لو كانت ما تزال هناك غير ان سلمى ابلغته حين اشتهى مرة لو كانت مكتبته في متناول يده وهو يردد ابيات شعر غابت بعض مفرداتها عن ذاكرته بقولها : اوتظن اني سأتركها وهي احب ما لنفسك للغربان هناك ؟ لقد دفعت لأجلها ما دفعت حتى جئت بها هنا . أفرحه الأمر حينها وأحزنه الآن وهو يفكر جديا ببيعها واهون عليه بيع نفسه دونها وهو

الـذي جمعهـا كتابـا كتابـا وكراسـة كراسـة بمـاء العـين و(دوخـة) الـرأس و(طيحـان) الحـظ كما يقـول . فكم من ليلة بات دون عشـاء مـن اجـل شـراء احـدها ! وكـم اسـتغنى عـن ركـوب البـاص وركـب قدميـه ليـوفر قيمـة كتـاب منهـا . ـ لا يليـق بـالمهجر والنـازح ان يحتفظ بمكتبة او يقتني كتابا .قـال .وقـد أضـاع مدينتـه وبيتـه ومآواه . وهـو محـق بـذلك ، ولقناعتـه بتلـك الأحقيـة الموجعـة التي اقرهـا لنفسـه تفـرغ لجردهـا وفهرسـتها بقـوائم بـدأ عرضهـا في سـوق الكتـب الـذي غـدرها تجـاره كعـادة كـل التجـار الفجّـار وفي أي بضاعة حتى لو كانت مكتبة او فكرا وصفحات مكتوبة بدم ودمع كتابها .

قال له حوران حين زاره للمرة الثالثة والأخيرة وهـو غـارق بين (لنگاته) المبعثرة على (بسطيته) حيث اتخذها سبيلا لجلب الـرزق لعياله ، انه تخلى عن (صندوق عجائبه) ومكتبتك عندي . قـال . لا تساوي مفردة مما في صندوقي الـذي ضحيت به وتركته في بيت لا ادري لأي ميليشـيا سـيكون مقـرا وكيـف سـيتفاهم هـؤلاء الأوغـاد مع محتوياته ؟

ـ بيع كتبك يا رديـف بمـا تعين بـه نفسـك على همـوم الزمـان فمثلنا لا يحتاج لمكتبة صارت ديكورا للمترفين والأميين والمدعين ومـا انـت ايـا منهـم .، كمـا ان لكـل واحـد منّـا بمـا عانـاه ورآه ومـر بـه غـدا مكتبـة متنقلـة تتضـائل امامهـا كـل افكـار كونفشـيوس ومـا سـطره السـابقون واللاحقـون بـدئا بعـرب الجاهليـة ومعلقـاتهم

واساطير اليونانيين وطب الفراعنة واهراماتهم وانتهاءا بـ (موسم الهجرة الى الشمال) (٤) وأصحاب غسان كنفاني الذين (كان سينجون لو دقّوا على جدران الخزان) (٥) الذي ماتوا بداخله مختنقين وهم يحاولون اجتياز الحدود داخل خزان الصهريج العابر بهم سرا حدود العراق الى الكويت مرورا بفلسفات ارسطو وافلاطون وابن رشد ومن سبقهم او لحق بهم .

ـ ما الذي اسمعه يا حوران ؟؟ تفاجئني انت كل لقاء بجديد . أوقرأت لكل هؤلاء ؟ ام سمعت بأسمائهم وحفظتها كالآخرين لتلقي بها في وجهي ؟؟

ـ أوما سألت نفسك يا رديف علام (انهبل) حوران ؟؟ ولماذا يفهمني اكثر من سواه؟. كلنا مجانين نتنقل حسب الضرورة بين الكتب والتأمل على صخرة الوادي وادعاء الجنون هربا من واقع مر وعقلاء لا يفهمون .

ـ حسنا . سأسافر متخذا الشمال وجهة بعد ان غدونا نعيش جميعا مواسم الهجرة الى الشمال بعد ان تخلى عنّا الغرب وحمل الشرق لنا الموت بالتضامن مع الجنوب واهله ممن نعدهم اهلنا مستمرئين ذل اعدائنا لهم الذين اتخذوهم انصارا ومقارع يضربوننا بها باسم المذهب وسيضربوهم بعدنا ببعضهم فما عدوّنا بواحد ولا من يحالفنا الا ليتخذ منّا جسرا للوصول الى ترسيم حدود امبراطورية يحلم ببنائها على اشلائنا وبدماء اولادنا .

ـ كلهم هكذا يا رديف . لا فرق بين راية وراية . جميعهم موتنا والموت واحد وان تعددت اسبابه غير من يعي ذلك قليل وقل نادر.

ـ نعم .. نادر . كندرة العابرين لجسر الأحزان اليوم وقد اكلتهم الصحراء وبعوض النهر وهوام ضفافه وسموم الرمال المحيطة به .

ـ اذن .. توكل . اما انا فلا املك ما استعين به وبضاعتي كما ترى ليست الا اسمالا لموتى اتاجر فيها مع الموتى لأستخلص منها ما يسد الرمق ويوقفني على قدمي ويكفيني ذل مد يد السؤال لناس احيا بين ظهرانياهم واتوجس منهم وجلهم من الميليشيات المكتضة حقدا وان لم ينتموا على حد قول من تدلهت به سلستا ذات يوم وتسبب لها بما وصلت اليه .

سأجهد نفسي بمسك عصاي من منتصفها الى ان تحين ساعة موتي ولا اسف على حياتي ورؤاي (الفاينة) الفانية وسأغني بعدك مستذكرا اياك بما غنى به قدري الفاهم ذات ليلة حزينة وما اكثر ليالينا بفضل الله ومن ساسنا بالذل والهوان .

ـ وماذا عند قدري هذا يا حوران ؟؟

ـ عنده ...

فارگت بدر فلا مثله يلوح بدار

والگلب امسى حزين وصابغينه بدار

ظليت اباري ضعنهم والمسير بدار

الجسم عندي وروحي يمكم تبرى

وسيوف اهل الغدر بمفاصلي تبرى

ما اظن جرحي يطيب وعلتي تبرى

من فينة الحظ صرنا كل يوم بدار (٦)

كان رديف يحدث نفسه بما جرى ودار بينه وبين حوران في آخر لقاء له حين زاره مودعا على ان يترك اللقاء التالي للايام قبل ان يخبر سلمى بقرار السفر وانه باع كتبه وسيأتي غدا من يحملها ويدفع ثمنها فالتيه في الشمال ينتظرنا . يبدو اننا سنموت هناك .

ـ وهل علم ابو جمال . قالت سلمى . بقرارك هذا ؟

ـ هو يعلم .. لكنه لا يدري بساعة الصفر التي حددتها . سأخبره غدا ،

ـ واذا عزمت فتوكل على الله

ـ توكلنا يا سلمى . توكلنا فما عاد لنا غير الله وما كان لنا من قبل سواه

ـ حسنا .. ومتى سيكون لأعد نفسي ؟؟

ـ قريب جدا . اقرب مما تتصورين .. بضع ايام لا غير

كان الحر على اشده وتكاد الشمس ان تأخذ وضعها العمودي في سماء سلستا منتصف ظهيرة حارة تضيق فيها الأنفاس عندما انتهى رديف من مساعدة الكتبي الذي اشترى

مكتبته في نقلها للشاحنة الصغيرة الواقفة بباب البيت بعد ان ساومه حتى نشاف الريق قبل ان يدفع الثمن الذي ما كان لرديف ان يعطيه نصفها به لو كان (مترهيا) غير ان حاجته للنقود دفعته للرضى بما يدفع له وان لم يكن دون ثمنها وقيمتها الحقيقية بكثير .

تنفس عميقا ودخل البيت الذي آواه ليجد ابو جمال يتفتت غيضا على فعلته اذ عرض عليه ان يعطيه ثمنها على ان يبقيها امانة عنده لحين تحسن الأمور ورفض عرضه لأنه يدري بثقل ذلك على كاهل صاحبه لكن حرصه عليه وعلى آخر واعز ما تبقى من مقتنياته دفعه لعرضه هذا .

تظاهر بالأرتياح على غير حقيقة ما يكتم قائلا لأبي جمال :

ـ اضحك . شبيك مغنتم وگالب خلقتك ؟ يعني حاسدني على خلاصي من هذا الهم ؟ دفعناها وخلصنه . انت هم ارتاح .. مو زين خلّصت بيتك من هالعث وخليت بجيبي كم فلس تفيدني هناك ؟ شمدريني شينتظرني يا ابو جمال بولاية ما اعرف بيها احد؟ بعدين شبقى فايدة بالمكتبه ؟ لو اعرف بيها فايدة ما بعتها يا اخويه .

ـ لك لو ادري صدگ انت مرتاح .. ولو ما اعرف شنو جواك ما ضجت . يالله .. انت اعرف بحالك . قال ابو جمال .. اما سلمى فعضت على شفتها بصمت حزنا ووجعا على كتب رافقتها مذ عرفت رديف وان لم تقرأ الا عناوينها والقليل منها . وفي حقيقتها

كانت مرتاحة لذلك رغم المها لما تدري برديف من حب وهوس بكتبه وما يعانيه من قلق لغياب ايا منها عنه . وهي واثقة انه سيعيد بنائها من جديد حال احساسه ببعض الأستقرار لذلك قالت :-

ـ ابو جمال .. احنه رايحين بخير وسلامة وتجيك الأخبار . شهر شهرين ويرد يجمع من جديد . هاي مو اول مرة يسويها .ـ لا عيني .. ما يگدر . رديف غير العربي ما يعرف وكتب بالعربي ما راح يلگه. هناك الوضعية تختلف هواية .

ـ يا ريت .. الله يسمع من حلگك . آني هم رايده هالشكل .

حدد موعد السفر ولم يتبقى غير يومان قضاهما بالتسكع لوحده معظم الوقت في شوارع سلستا مستذكرا اياما له كانت وطرائف حدثت ودموع سكبت في غابر الأيام وتجددت اليوم وهو على مرمى حجر من مغادرتها دون عودة هذه المرة كما يرى .

زار بعض الأئمة في اضرحتهم .. ودخل بارا وعب من بيرته رغم انقطاعه عنها منذ زمن بعيد حيث كان آخر عهده بالخمرة حين ودعها قبل زفافه بيومين وودع في مشربه آنذاك اطياف ناهدة التي اكلت الكثير من شبابه ومبادئه وقواه واستقبل حقيقة اخرى اسمها سلمى معاهدا نفسه على توفير اثمان ما يدفعه للبارات لاحتياجات بيت سينشأ واطفال سيأتون . والتزم بعهده ذاك لهذه الساعة التي حدّث فيها نفسه وتحدث مع ظله وقرينه الملازم اياه مقسما عليه ان يلطف به ويعينه على القادم

من الأيام . وحين غادر البار اتجه لحي من احياء سلستا كان يعشقه ويموت في ظباءه فساح في طرقاته وازقته حتى وصل لشارع دفن فيه ذكرياته التي احيتها قناني البيرة من جديد في ذاكرته فتمايلت امامه اطياف ناهدة وايام كان لا يرى الدنيا الا من خلال عينيها وضحكاتها ومشاكساتها فناجى طيفا لها متمتما :

حبابي شلون حالتكم بعدنه

شبدينه والوكت عنكم بعدنه

كان انتو نسيتونه بعدنه

بذكركم كل صباح وكل مسا (٧)

مرّ ببيتها وحياه وحين التفت بجيده لباب كم دخله من قبل التفت قلبه باحثا على مهل امامه عن خطاها مؤملا قدميه بمطابقة آثار قدميها حتى اذا رأى انه قد اوغل في احلام (لا تودي ولا تجيب) اتجه لمسجد قريب من محراب ذكرياته ودخله وتوضأ وصلى ركعتين اهدى ثوابهما لسلستا وناهدة ولكل من احب وعف مات ام لم يمت ثم تلا صفحات من مصحف داخل المسجد وقبله ثلاثا واضعا حافته على جبهته ملتمسا بركاته قبل ان يغادر مكانه عائدا من حيث أتى .

لم يتبق مما يفصله عن سلستا وينأى به عنها وشواطئها وذكرياتها واحلام الصبا والشباب فيها الا ساعات الليل التي ستنطوي سريعا ويطمح ان يبقى خلالها قويا محافظا على رباطة جأشه امام صغيريه وزوجته على الأقل . وحين مرت ونهض في

الصباح الباكر وتوضأ وصلى اتخذ مقعدا في حديقة المنزل وحيدا وذرف دمعتـين حـارتين ونظراتـه تستكشـف البيـت الـذي آوى زوجته وطفليه لأشهر عديدة واحتضنهما وحماهما من الضياع ثم آواه لأسابيع مغدقا عليه كرما وطيبا ووفاءا لمالكيه الذي لا يعدله وفاءا وحين داهمه ابو جمال وهو سائح في (دوالغه) التي انتشله منها قال له :.

ـ يا ابو جمال . اخجل ان اشكرك اذ لا اجد ما اعبر به لكني لن انسى صنيعك مع اهل بيتي في محنتي كما لن انسى ان لي في سلستا اخا يوجعني بعده ويشدني اليه وفاءه وينأى بي عنه زمن الرايات والميليشيات والمذاهب والطوائف التي ما فرقت بيننا بقدر ما زادت من لحمتنا وشدتنا لبعضنا وزرعت داخل اولادنا ما يعمل الزمن الرديء على تقطيعه وتفتيته . فأجابه ابو جمال :

ـ كأني اراك تتحدث عن طائفية كنت تخشى ان تنمو بينهم ؟. وهيهات ان يكون ذلك ونحن احياء نتنسم هواء هذا الوطن المنهك ، واذا متنا فـ (كلمن يجيبه مرضعه) ومراضع اولادنا نقية كانت وستبقى .

قم لنتناول آخر افطار لنا معا ودع هواجسك فما بيننا اقوى من ان يصرعه الأغبياء والجهلة من ذوي الرايات بكل الوانها وشعاراتها . نحن جيل تربى على (حب الوطن من الأيمان) وايماننا اقوى مما يتصور ويرسم ويتخيل المتفيقهون والمعممون والملتحون المنضوون تحت أي من تلك الرايات نكّسها الله ، وانا

واثق انك هناك .. حيث الغربة ستلقي بك الأيام بين من يرى ما اراه وتراه وستسعد بأذن الله ..

السيارة التي ستقلهم الى حيث اختاروا تقف بالباب وقبلات تتبادل ودموع تسيح على الخدود وآهات تتصاعد لتعود بسلمى لذكرياتها وهي تقف ذات الموقف قبل اشهر في مدينتها الأولى وبين هذه وتلك فرق شاسع لعل من اسبابه وجود رديف الى جانبها اليوم .

اتخذ رديف واسرته الصغيرة اماكنهم في سيارتهم ووقف ابو جمال واسرته مودعين وسط عواطف حقيقية لا تصنّع فيها ترجم صدقها ابو جمال حين تأوه بعمق وجر انينا مخنوقا مؤطرا بدموع حارة انسكبت على وجنتيه وهو يلوّح للسيارة المغادرة باب بيته حاملة داخلها رديف وعائلته مرددا :

((آآآآه ..

يا طريق نجران . . .

كم أخذ وكم رد)) (٨)

تم بعون الله القسم الثاني

القسم الثالث

العـــــودة

٢٥ / ٥ / ٢٠١٥م - ٢٥ / ٥ / ٢٠١٥م

تيقن رديف انه لن يعود الى مدينته حيا ، وان حلمه بالعودة سيظل مترافقا مع حلم الشهيد غسان كنفاني بالعودة لفلسطين والذي مات دونه . وأنه لو دق على جدران الف خزان ومليون جرس انذار لن يسمعه احد او يستجيب ، لذلك ارتأى ان يؤجل كتابة القسم الثالث من هذه الرايات لحين عودته ان ظل حيا مكتفيا بهذا الاعلان عسى ان يتهيأ من اطفاله من يتم هذا العمل بقلمه حين يعود مودعا خيام النزوح والتهجير الى خيام المقاومة والتحرير التي ستأخذه دون سواها الى مدينته الأصلية وواديها وجسرها في بلد محرر لا تظلله سوى رايته الأولى بكواكبها الثلاثة التي تمثل اهل العراق ، و (الله اكبر) فوق كيد المعتدين من ميليشياويين وشذاذ آفاق وطائفيين واعراب اشد كفرا ونفاقا واعداء ازليين يتمنى رديف ونتمنى معه كما تمنى الفاروق قبلنا جميعا (جبلا من نار) يصد عن بلدنا وبوابة وطننا الرياح الصفراء المحملة بالسل والطاعون الهابّة علينا من قم وطهران وبقية مدنه وقراه ... والى ذلك الحين ..

يقف الشاعر مخذولا

في حومة جوع وحصار

يترقب عصف الأعصار

بغداد ٢٠١٥/٥/٢٥

ملاحظات واشارات

القسم الأول .. الأميبا

اولا/

ا۔ (حسبنا الله ونعم الوكيل ...) الآية (١٧٣) من سورة (ال عمران)

٢. (ومن يتق الله ...الخ) الاية (٣) من سورة (الطلاق)

ثانيا /

ا. (ماذا سأكتب عن الخ) من شعر المؤلف

٢ . (الغاية تبرر الوسيلة) .... ميكافلي

٣ . سلستا : اسم لمدن سياحية الاولى في فرتسا والثانيه في كندا وقد اتخذها المؤلف رمزا .

٤ . (الهاكم التكاثر ...الخ) الآيات ١ و٢ من سورة (التكاثر)

٥ . (اذا زلزلت الارض ...الخ) الآيه (١) من سورة (الزلزلة)

٦. (ومن شر النفاثات ...الخ) الاية (٤) من سورة(الفلق)

٧. (وآية لهم الارض ..الخ) آية (٣٣) من سورة (ياسين)

٨۔ (قالوا لنابليون ....الخ) للاديب والشاعر جبران خليل جبران

٩ . (لا يؤلم الجرح ....الخ) شعر ابو الطيب المتنبي

١٠ . (سبع بقرات ....الخ) الآيتان (٤٦) و (٤٧) من سورة (يوسف)

١١.(جان هذي ...الخ) مثل شعبي يضرب للخيبة ... وترد في الرواية بجميع فصولها الكثير من الأمثال الشعبية ولا أرى موجب للتعريف بها اذ هي دارجة ومفهومة من الجميع .

١٢ .(دلللول يالولد ...الخ) تنويمة اطفال شعبية

١٣. (كل من عليها فان) الاية (٢٦) من سورة (الرحمن)

١٤ .(ما يدوم الا ...الخ) عبارة شعبية تقال لمواساة المصاب بوفاة عزيز عليه

ثالثا /

١. (ظلي تكلم عني ....الخ) من شعر المؤلف

٢. (لا اكراه في الدين) الآية (٢٥٦) من سورة (البقرة)

٣ - (نظرنا بأمر الحاضرين ....الخ) للشاعر (معروف الرصافي)

٤- (قد آذن صبحك بالبلج) للشاعر (الأمام الغزالي ـ القصيدة المنفرجة)

رابعا /

١.(أظن أنا هرمنا ....الخ) من شعر المؤلف

٢.(في مدخل الحمراء ....الخ) مطلع قصيدة غرناطة للشاعر نزار قباني

٣ـ (اركض برجلك ...الخ) الآية (٤٤) من سورة (ص) استخدمها الكاتب بمعنى الركض والجري في حين ان معناها في الآية الكريمة : اضرب برجلك الارض ليخرج الماء اليك

٤ - (كطان جني صرت ....الخ) بيت زهيري معروف ينسب لزاير الدويج

٥ - (يحرم عليهم الخبائث ...الخ) الآية (١٥٧) من سورة (الاعراف)

خامسا /

١. (بيني وبينك ...الخ) من شعر المؤلف

٢. (وجعلنا من بيت ايديهم....الخ) الآية (٩) من سورة يس

سادسا/

١. (تباله في الحياة....الخ) من شعر المؤلف

٢. (لا بد للغيم ان ينجلي) ..للشاعر ابو القاسم الشابي

٣. (فكل مطاف الى منتهى) .. للشاعر محمد مهدي الجواهري

٤- (وذو العقل يشقى ....الخ) من شعر ابو الطيب المتنبي

٥- (ما كان في الموت شك...الخ) من شعر ابو الطيب المتنبي

٦- (من خلل الثلج الذي ....الخ) من شعر بدر شاكر السياب

سابعا /

لا يوجد

ثامنا /

١. (جمعة بلا تمجيد ....الخ) ...من مقولات المؤلف

تاسعا/

١. (لا تبك من اودى ....الخ) من شعر المؤلف

٢. (لكل اجل كتاب) الآية (٣٨) من سورة (سورة الرعد)

٣ (قالت الاعراب امنا ....الخ) الآية (١٤) من سورة (الحجرات)

٤ـ(قصخون) و (خان جغان) : الاولى تعني مجلس التسلية والثانية اسم لخان استراحة بغدادي من اشهر خانات بغداد ومالكه جغان اليهودي

عاشرا /

١.(ومن مزاياهم....الخ) من مقولات المؤلف

٢ـ السلاحسزجيه : غير المسلحين من الجنود وهي مفردة تركية

٣ـ (يحسبون انهم يحسنون ...الخ) الآية (١٠٤) من سورة (الكهف)

٤.وطني ليس حقيبة ..الخ) من شعر محمود درويش

٥ـ (ذل من لا سفيه له) من المأثور العربي وينسب خطا للرسول الأعظم محمد (ص)

٦.(ادينك اذ أرى قسمات وجهك...) لشاعر عراقي

الحادي عشر /

١.(اذا لبس العمامة...الخ) من شعر ابو دلامة

٢.(الخير لجدام ...الخ) للملوجست العراقي عزيز علي

الثاني عشر /

١.(داوني باللتي كانت،،،،الخ) من شعر ابو نؤاس

٢.(دائما اسمع في الليل...الخ) من شعر محمود درويش

٣.(لماذا؟ لماذا ؟لماذا؟ ...الخ) من شعر فاضل عزاوي

الثالث عشر /

..(لا يوجد

القسم الثاني

النزوح

أولا .. من سفر النزوح

(١) أغنية عراقية شاعت ابان الحرب الطائفية سنة ٢٠٠٦ م للمطرب العراقي حسام الرسام

(٢) بيت نايل من شعر سليم العبدالله

(٣) الامام احمد بن حنبل (قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم الجنائز)

(٤) عنوان أحد فصول رواية (أم سعد) للشهيد غسان كنفاني

(٥) نصف بيت نايل للمطرب البدوي احمد عزيز

(٦) من شعر بدر شاكر السياب

(٧) (عدودة نسائية) .. من شعر النواح في التراث العراقي

ثانيا .. المجنون

(١)من اغاني الفولكلور العراقي

(٢)من عتابات عبدالله الفاضل

(٣ ، ٤، ٥ ، ٦،٧، ٨) من شعر المؤلف

ثالثا .. جسر الأحزان

(١) قرآن كريم (سورة الأنبياء – الآية ١٠٥)

(٢) من شعر المؤلف

(٣) من شعر ابن الفارض : والله ما مال الفؤاد لغيركم ... واني على جور الزمان صبور

(٤ ، ٥)من شعر بدر شاكر السياب

رابعا .. الشاعر

(١)من شعر حافظ جميل : يلومك الناس عن جهل فتعذرهم ... وأي عذر كطول الصمت تبديه

(٢)بيت زهيري من التراث العراقي

(٣)من اغاني التراث العراقي

(٤)الماز الجفران : رجل حديثي كان يعمل سائقا على خط حديثة – رمادي .. صادفته نبتة نخل على الطريق بين حديثة وهيت فداوم على سقيها حتى كبرت وغدت من شواخص الطريق . اطلق المسافرون عليها اسمه فذهبت مثلا وذكرا طيبا له رحمه الله

(٥)من شعر المؤلف

(٦) التذكير بوفاة الشاعر محمد الفيتوري في ٢٠١٥/٤/٢٤م والذي صادف اثناء كتابة الفصل مع الاشارة الى قصيدته

(معزوفة لدرويش متجول) .. ومنها : في حضرة من اهوى .. عبثت بي الاشواق- حدّقت بلا وجه .. ورقصت بلا ساق

(٧)من شعر الوزير ابو محمد المهلبي : الا موت يباع فأشتريه ... فهذا العيش ما لا خير فيه

(٨)من عتابات عبدالله الفاضل

(٩)شعر طرفة بن العبد : وظلم ذوي القربى أشد مضاضة ...على المرء من وقع الحسام المهند

(١٠)من شعر ابي نؤاس : لقد ضاع شعري على بابكم ... كما ضاع عقد على خالصة

(١١)من شعر المؤلف

خامسا .. اللقاء الوداع

(١)من الأغاني العراقية للمطربة مائدة نزهت

(٢)من الأغاني التراثية العراقية

(٣)من شعر زهير بن ابي سلمى : فشد فلم يفزع بيوتا كثيرة ... الى حيث القت رحلها ام قشعم

(٤)رواية الطيب صالح – موسم الهجرة الى الشمال

(٥)رواية غسان كنفاني – رجال في الشمس

(٦)زهيري من شعر سليم العبدالله

(٧)بيت عتابة من التراث العراقي

(٨)رواية عبد الرحمن منيف – مدن الملح (التيه)

طلال سليم آل جعفر

شاعر وكاتب وباحث في الأدب والتراث الشعبي

- المواليد : ١٩٥ : م / حديثة – الأنبار – العراق
- العمل : موظف اداري في مصرف الرافدين / فرع الرطبة .. احيل الى التقاعد عام ٢٠١٨م

المؤلفات المطبوعة:

- الهوسة : دراسة أدبية عن هذا النمط من الشعر الشعبي العراقي صدر عن البيت الثقافي في حديثة / الأنبار عام ٢٠٠٨م.
- شعراء شعبيون لم يقرأ لهم أحد : الطبعة الأولى صدر في عمان / الأردن عام ٢٠٠٩م ./ الطبعة الثانية .. صدرت في دمشق – دار العراب ٢٠١٧م
- وحدثنا الحكواتي فقال .. : مجموعة شعرية صدرت عن دار العراب / دمشق عام ٢٠١١م.
- المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر حسام آل جعفر : جمع وتحقيق صدر عن المطبعة الغربية للطباعة والنشر في الأنبار عام ٢٠١٢م.
- ديوان سليم العبدالله : جمع وتحقيق صدر عن مكتبة اليسر في حديثة / الأنبار عام ٢٠١٣م.
- بحوث في الأدب الشعبي : صدر عن مكتبة اليسر في حديثة / الأنبار عام ٢٠١٣م

• معلقة اللون : قراءة في اعمال الفنان التشكيلي العراقي دهام بدر: صدر عن مكتبة تنوير في بغداد / ٢٠١٧م

• تهيؤات في متاهة الرؤى : رواية .. صدر عن مكتبة اليسر في حديثة / الأنبار ٢٠١٨م

• على شواطىء الأدب : متابعات أدبية ونقدية : صدر عن مكتبة اليسر في حديثة /الأنبار ٢٠١٨م

• سفر النزوح : مجموعة شعرية صدر عن مطبعة اليسر – حديثة - ٢٠١٨م

. القرار : مسرحية جادة في (٣) فصول/ صدرت عن مطبعة اليسر – حديثة – ٢٠١٨م

المؤلفات المخطوطة:

- على رصيف الجوع تنمو الشقائق ... رواية

• مجاميع شعرية /عدد (٣) . . . ومخطوطات في النقد الأدبي والأدب الشعبي

المشاركات:-

• نشر الكثير من شعره ونتاجه الأدبي في الصحف والمجلات العراقية والعربية وعلى المواقع الألكترونية وشارك في جميع المهرجانات الأدبية والشعرية في محافظة الأنبار

• درسه وزميله الشاعر مهند ناطق صالح الاديب العراقي طلال سالم الحديثي بكتاب نقدي خصهما به وصدر عن مكتبة اليسر في حديثة بالعراق وتحت عنوان (في الطريق الى القصيدة.)

- خصه الاستاذ عبد المطلب حامد الراوي بدراسة وافية في كتابه (شعراء معاصرون من الأنبار/ج٢
- خصه الاستاذ شكري صبري الحديثي والمقيم في عمان قبل ان يتوفاه الله الى رحمته فصلا في كتابه (حديثة – في الانسان والزمان والمكان) الصادر في عمان /المكتبة الاهلية للنشر والتوزيع .. وكذلك الاستاذ معتز الحديثي رحمه الله وسواه ممن ارخ لحديثة وادبائها.
- من المؤسسين الأساسيين للمركز الثقافي في حديثة /الأنبار